سلسلة العقائد



إثبات علو الله على خلقه

والرد على المخالفين

تأليف

أسامة بن توفيق القصاص

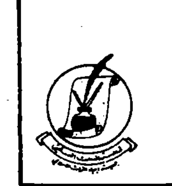
قدم له

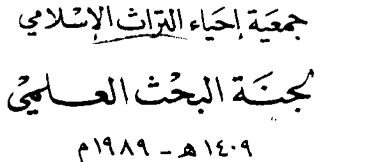
عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف

حقق أصله وعلق عليه

عبد الرزاق بن خليفة الشايجي

الجزء الأول





جمعية إحياء التراث الإسلامي

لجنة البحث العلمي

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م




بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتقريظ :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين العلي العظيم، الكبير المتعال، الذي خلق السموات الأرض، واستوى على العرش، يدبر الأمر، القاهر فوق عباده الذي تعرج الملائكة والروح إليه : يصعد إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل. الذي لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، الحي القيوم الذي وسع كرسيه السموات والأرض، والذي لا يتعبه خلق. ولا يؤوده حفظ لهذا الملك العظيم، بل السموات والأرض في كفه سبحانه كخردلة في يد بشر ممن خلق.

أحمده، سبحانه وتعالى وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد سيد البشر، وإمام الرسل، الذي أكرمه الله بالعروج إلى ربه فوق السموات السبع وكلّمه الله وناجاه وقربه،فكان بهذه المنزلة فوق جميع رسل الله، صلوات الله وسلامه عليه من نبي معلمٍ. أرشدنا إلى ربنا بكل سبيل، وعرفنا أسماءه وصفاته بكل بيان، وأحسن مقال. وكان مما قال: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. وبعد،،

فإنني لما اطلعت على مسودة هذا الكتاب الذي ألفه الشاب الهمام العالم الشهيد أسامه بن توفيق القصاص رأيتني أمام عالم أديب، وداعية فريد، وضع نفسه في خدمة العلم، ورفع منار التوحيد الخالص، والتعريف بالله الواحد والتصدي بكل قوة لفرقة ضلت وانحرفت عن

فهم صفات ربها وألحدت في أسمائه، وأكفرت المسلمين، وسبّت وشتمت علماء الإسلام واستحلت دماء الموحدين، وعَاثَت في الأرض فساداً . . وأن هذا الجهبذ الفريد رحمه الله رحمة واسعة كان يعلم أن وراء بيان الحق وانكار منكر هذه الطائفة الضالة أن يعرض نفسه للقتل ومع ذلك فانه لم يأبه لذلك بل قال في كتابه هذا :- (لقد هددوني بالقتل، وأوعزوا إلى أحدهم بالفعل، وهم يجهلون أنني أرضى بأن يطاح برأسي مقابل رأسهم وهم يظنون أن الله غافل عما يفعلون، أو أن المسلمين عنهم لاهون. . ألا إن الصبح قريب. وسبحان ربنا القائل: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المتوكلون، قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾ . الآية . .

وقد اختار الله له الشهادة نسأل الله سبحانه أن يبلغه إياها ويدخله منازل الشهداء وأن يجعل دمه مناراً للحق، وداعياً إلى منهج النبيين، وسلف الأمة الصالح الذين بينوا بأقلامهم ودمائهم الصراط المستقيم.

ثم أما بعد، ،

فهذه الرسالة عرض شامل لأدلة إثبات أن الرب سبحانه وتعالى فوق سبع سماواته مستوٍ على عرشه على النحو الذي يليق بجلاله وعظمته وكبريائه. . . هذا العرض الذي يشمل آيات الكتاب العزيز، وسنة النبي ﷺ، وأقوال الصحابة والتابعين وأعلام علماء الإسلام من الأئمة الأربعة، ورجال الحديث، وتابعيهم بإحسان عبر القرون.

و لم يكتف المؤلف رحمه الله بذلك، بل ذكر - متبعاً للإمام ابن القيم في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) -

أدلـة ذلك أيضـا من المأثـور عن أهل الكتـاب والمركـوز في فطرة الجن والإنس والـدواب من أن رب العباد فـوق عـرشـه فـوق السمـوات.
وَرَصّع المؤلف ـ رحمه الله ـ كتابه بالنقول المتعددة، والمأثورات النافعة، والفوائد العظيمة، والمناقشات الحية، مما يجعـل كتابـه قطعـة فريـدة في الحياة والحركة، وتعدد المشاهد وتبـاين الصور، وسـطوع الأضواء من كـل جانب ممـا يبهت الخصم، وينير درب الحق، ولا يـترك لشـاك ولا لمرتاب في الحق لبسـاً ولا يدع لمتهـرب مهربـاً. فرحمـه الله وجزاه خيـراً وأحسن ثوابه.

وبالرغم من أن عقيدة كون الرب سبحانه وتعالى في السماء مستو على عرشه عقيدة فطرية يقينية قامت كل الأدلة على إثباتهـا وبيانها، ولا تحتـاج إلى أخذ ورد وجـدال لأنها قـد أصبحت من البـديهيـات التي لا يجادل فيها إلا مكابر جاحد. أقول بالـرغم من كل ذلـك فإنـه قد عمي عنهـا الجم الغفير من أهـل الأهـواء من المسلمـين وغـيرهم ممن افتتنـوا بالنظريات الفلسفية، والمماحكات الجدلية... وظنوا أن ما عندهم من الجهل هو الحق الذي لا يجوز خلافه ومن أجله حرّفوا نصـوص القرآن والسنة، وازدروا بالصحـابة والأئمـة الذين فهمـوا القرآن عـلى وجهه الصحيح، وآمنوا بسنة الرسول وفق معناها الحقيقي..

ثم إن هذه العقيدة (كون الله سبحانه وتعالى فـوق سبع سمـواته مستوٍ على عرشه على النحو الذي يليق به) عقيدة أساسية لأن مردّ جميـع صفـات الله سبحانـه وتعالى إلى هـذه الصفـة. فمن هـذه الصفـة يبـدأ الإثبات والإيمان، أو التأويل والكفران والإلحاد.

فمن اعتقد بالله سبحـانه وتعـالى المستوى عـلى عرشـه البائن من

خلقه اعتقد بما بعد ذلك من اتصافه بما وصف به نفسه من الرحمة والرأفة ومحبة الطيبين، وبغض الكافرين وأنه تعالى يسمع ويبصر ويتكلم بما شاء كيف يشاء، وأن السموات والأرض ملك يمينه، وطوع أمره وأنه الرب العظيم الكبير الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وأما من اعتقد أن الله ليس له مكان كما يقولون، وأنه لا يجوز أن يعتقد أنه في السماء أو في الأرض، أو أنه في كل مكان لا يخلو منه مكان - زعموا - نَفَي كل الصفات الأخرى وأولها تأويلاً بعيداً بل حرفها وألحد إلحاداً كاملاً في صفات الرب سبحانه فجعله شبيهاً بالعدم من كل الوجوه فالرب عند هؤلاء الذين نفوا كونه في السماء لا يوجد في السماء ولا في الأرض ولا داخل العالم ولا خارج العالم ولا يتصف برحمة في ذاته، ولا يحب ولا يبغض ولا يتكلم، ولا يأتي لفصل القضاء، ولا يراه أهل الإحسان، وإنما الذي يُرَى هو رحمته وعقابه، والذي يتكلم غيره. وأما الله بزعمهم فلا يصدر عنه كلام، ولا يسمعه أحد البتة لا جبريل ولا محمد ولا غيره.. تعالى الله عما يقولون علواً كاملاً.

والشاهد أن إثبات كون الله في السماء مستوٍ على عرشه إستواءًا يليق بكماله وجلاله يتبعه إثبات كل الصفات، ونفي هذا يتبعه كل النفي والإلحاد.

ومن أجل ذلك كان ما يبذل في بيان هذه العقيدة ليس ضياعاً للوقت، ولا معركة في غير مكانها، ولا إهداراً للطاقة بل هو الحق الذي لا يجوز العدول عنه، والمعركة التي يجب أن يُبدأ بها لأن معرفة الرب والإيمان به كما وصف نفسه والاعتقاد بالصفات التي تليق به، ونفي ما لا يليق به هو أوجب الواجبات في الدين، بل هو الدين كله.

ملاحظة حول عنوان الكتاب:

اختار المؤلف ـ رحمه الله ـ لكتابه عنواناً هو: (إثبات علو الرحمٰن من قول فرعون لهامان)[1]. وقد وجدنا أن هـذا العنوان الـذي اختاره المؤلف رحمه الله غير مناسب لأسباب كثيرة منها:ـ

أ ـ أنه يوهم عند كثير من النـاس أن الكتاب يعتمـد على اثبـات صفة العلو عـلى ما جـاء في قولـه تعالى عـلى لسان فـرعون عنـدما قـال لوزيره هامان ﴿يـاهامـان ابن لي صرحـاً لعلى أبلغ الأسبـاب أسباب السمـوات فاطلع إلى إلـه موسى وإني لأظنـه كاذبـاً﴾ الآية. ولكن الكتاب الذي ألفه المؤلف رحمه الله سفر جامع لإثبات صفـة العلو ليس من هـذه الآية وحـدهـا، وإنما من القـرآن والسنـة وأقـوال السلف الصالح. وبالتالي فهذا العنوان غير مطابق لواقع الكتاب.

ب ـ أن عامة الناس ممن لا يعرفون تأويل الآية وتفسيرها قد يظنـون أن فرعون كان مثبتاً للرب واستوائه على عرشه وعلوه على مخلوقـاته. فيظنون جهـلاً ـ أن المؤلف تابـع لفرعـون في إثبات صفـة الرب، وعلوه على خلقه.

جـ ـ أن العنـوان غير مستسـاغ في السمع، ولا مفهـوم عند الإطـلاق، وبداهة النـظر، ويحتاج إلى تـأمل لفهمـه ومثل هـذا لا يصلح أن يكون عنواناً.

والعذر للمؤلف رحمه الله لاختياره هذا العنـوان هو حمـاسته للرد عـلى المخالفـين، واستدلالـه عليهم بكـل دليـل وبيـان جهلهم في فهم

(١) انظر ص٢٥.

القرآن وتفسيره . . ولكن على كل حال هذا العنوان يفسد الأمر ولا يصلحه ، ولذلك رأينا استبداله بالعنوان الموجود على الكتاب حفاظاً على قيمة هذا السفر العظيم .

وفي الختام أقول أيها القارىء هذا الكتاب هدية مهداة من كاتبه ، وكلمة من كلمات الحق دفع صاحبُه دمه ثمناً لوصولها إليك فقدّر ذلك . . فإن وجدت خيراً فنفعك الله به فادع لصاحبه ، وإن وجدت غير ذلك فاستغفر له .

وأخيراً أسأل أن يجزل العطاء للفقيد الشهيد وأن يجعل ما كتبه نوراً وبرهاناً له يوم القيامة والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة والحمد لله في البدء والختام .

كتبه :

عبدالرحمن بن عبدالخالق السيد اليوسف

بالكويت في ٢٤ من المحرم سنة ١٤٠٩ هـ

الموافق ٥ من سبتمبر سنة ١٩٨٨م .

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم (*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره .
ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا
من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوْتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ﴾ (١) .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجالاً كَثِيراً ونِسَاءً ، واتَّقُوا اللهَ الذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (٢) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوْا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (٣)(*) .

---

(١) سورة آل عمران (الآية/١٠٢) .

(٢) سورة النساء (الآية/١) .

(٣) سورة الأحزاب الآيتان (٧٠ ـ ٧١).

(*) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلها أصحابه رضوان الله عليهم، وخطبة الحاجة =

اللهم إني أسألك في عليائك ، أن تسبغ علي من نعمائك ، فإني أرجو رضاك ولا أبغي سواك ، وإني أقف على بابك ، وأستعيذ من الهوى بك ، سبحانك كلما سجدت لك ، قلت : سبحان ربي الأعلى ، فازداد الإيمان إلى أحلى ، وشخص قلبي باليقين ، وهو بك يستعين ، إلى بروز عرشك العظيم ، وأنت عليه يا رحيم ، ليس كمثلك في استوائك ، وأنت في أسمى سمائك .

أبدأ بعون الله تعالى فأقول .

إنه من المصائب الكبرى ما يردده اتباع الجهمية(*) في عصرنا الحاضر، وهو إنكار علو الله تعالى على خلقه ، وإنكار استوائه على

= هنا عامة تقال في النكاح وغيره على الرأي الصحيح .

والحديث أخرجه عبد الرزاق (١٠٤٤٩) والطيالسي (٣٣٨) والدارمي في « سننه » (١٤٢/٢) وأحمد (٣٧٢٠ ، ٣٧٢١ - ٤١١٥ - ٤١١٦) وأبو داود (٢١١٨) والترمذي (١١٠٥) والنسائي (٨٩/٦) وابن ماجة (١٨٩٤) وابن الجارود في « المنتقى » (٦٧٩) والطحاوي في « المشكل » (٤/١) والحاكم (٢٨٢/٢) والبيهقي في سننه (٢١٤/٣) (١٤٦/٧) والطبراني في «الكبير» وأبو يعلى في « مسنده » (ق ١/٣٤٢) من طرق عن ابن مسعود به . ولشيخنا حافظ الوقت شامة الشام رسالة في هذا المقام اسمها « خطبة الحاجة » جمع طرقها وخرجها تخريجاً لا نظير له فانظرها غير مأمور .

(*) الجهمية : فرقة تنتسب إلى مؤسسها الجهم بن صفوان ، وقد اهتمت هذه الفرقة أولاً في البحث في الأصول ، ثم توسعت بعد ذلك كسائر الفرق التي استفحل أمرها وكثر رجالها. وهي فرقة معطلة يمكن تلخيص أصول مذهبهم في ما يلي : =

عرشه، معتمدين بذلك على عقـول بعض الجهال، الـذين أخذوا دينهم عن المحاولات الفلسفية، والسفسطات الكلاميـة، وراحوا يـردون دين الله بالشبهات، ممـا أدخل عـلى فطر بعض النـاس شوائب كثـيرة، حتى اجترؤوا على كلام الله وكلام رسوله، وظنـوا أن هذا تنـزيهاً لله سبحـانه

= أولًا : نفي الأسماء والصفات التي يمكن إطلاقها على المخلوق .

ثانياً : القول بخلق القرآن ، ونفي الرؤية .

ثالثاً : القول بأن العبـد مجبور عـلى أعمالـه . وبأن الفاعل هـو الله وحده ، وأن النـاس إنما تنسب إليهم أفعالهم مجازاً.

رابعاً : القول بفناء الجنة والنار .

خامساً : القول بأن علم الله تعالى محدث .

سادساً : القول بأن الإيمان هو المعرفة فقط ، والكفر هو الجهل بالله فقط .

سابعاً : تقديم العقل على النقل.

وقيل : إن الجهمية لا تعتبر فرقة قائمة بذاتها كالمعتزلة ، ولذا لم تذكر كفرقة عند كثير ممن كتب في الملل والنحل ، وإنما تذكر ضمن فرقة المعتزلة أو المرجئة .

انـظر الفصل لابن حـزم (٤/٢٠٤ ـ ٢٠٥) المقالات لـلأشعري ((١/٢٧٩ ـ ٢٨٠) الملل والنحـل للشهـرستـاني (١/١٠٩ ـ ١١٢) الفـرق بـين الفـرق للبغـدادي (ص / ١٩٩ ـ ٢٠٠) اجتماع الجيوش لابن القيم (ص / ٧٦٠).

وتعالى وما هو بتنزيه فقد ظنوا التعطيل(*) تنزيهاً، فعبدوا العدم، وقالـوا أقوالاً، لا يجرؤ على ذكرها القلم.

لقد أعاد التاريخ نفسـه ، ولملم معه بعض شتـات الإنحراف ، فـرمى على درب الـزمان ، نسخـة ممسوخـة ، لو قلَّبتهـا بين يـديك ، وأمعنت فيها النظر ، لنظرت فيها نماذج ، من بعض أنواع البشر .

(*) التعطيل ؛ لغة الإخلاء - يقـال عطله أي أخـلاه وهو مـأخوذ من العـطل الذي هـو الخلو والفـراغ والترك . والمـراد به نفي الصفـات الإلهية عن الله تعـالى وإنكار قيـامها بـذاتـه كتعطيل الجهمية ، أو إنكار بعضها كتعطيل الأشعرية . والتعطيل أنواع :

أولاً : تعطيل الله عـز وجل عن كـماله المقـدس وذلك بتعـطيل أسـمائه وصفـاته كتعـطيل الجهمية والمعتزلة ومن نحوهم .

ثانياً : تعطيل الله بترك معاملته وذلك بترك عبادتـه أو بعضها ، أو عبـادة غيره معـه في أي نوع من أنواع العبادة.

ثـالثاً : تعـطيل المخلوق عن خـالقه ويمثله قـول القـائلين إن الـطبيعـة هي التي أوجـدت الأشياء وإنها تتصرف بذاتها . وهو كتعطيل الفلاسفة الذين زعموا قدم هذه المخلوقـات وأنها تتصرف بطبيعتها فهذا من أبطل الباطل إذ لا يمكن وجود هذا الكون دون موجـد كما قال تعالى ﴿**أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون**﴾ [الطور (الآية / ٣٥)].

إن كان قد عُيِّر التاريخ ، بمثل جهم بن صفوان(*)، وبشر المريسي(**)، والجعد بن درهم(***)، وغيرهم من رموز الضلال ،

(*) هو الجهم بن صفوان السمرقندي - أبو محرز - مولى من موالي بني راسب من الأزد ، وأصله من الكوفة ، رأس الجهمية وإليه ينتسبون لأنه أول من نشر المذهب ، أخذ الكلام عن الجعد بن درهم ، وكان فصيحاً صاحب مجادلات في مسائل الكلام التي يدعو اليها ، وكان أكثر كلامه عن الإلهيات ، ولم يكن له نفاذ في علم الحديث والأثر ، وكان يرى أن العلم : ما كان فيه من علم الكلام ، ولذا كان يلقب حملة الأثر بالحشوية .
مات (سنة ١٢٨) مقتولاً على يد سلم بن أحوز رئيس شرطة نصر بن الفضل.
قال الذهبي في ميزانه : «الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمن أصغر التابعين وما علمته روى شيئاً ولكنه زرع شراً عظيماً».
انظر الفضل (٤/٢٠٢) الكامل لابن الأثير (٤/٢٩٢) اجتماع الجيوش (ص / ٤٦) البداية والنهاية (٩/٣٥٠) (١٠ / ٢٦-٢٧).

(**) هو بشار بن غياث بن أبي كريمة ، عبد الرحمن المريسي العدوى بالولاء ، أبو عبد الرحمن ، فقيه معتزلي عارف بالفلسفة ، وإليه تنتسب الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء .
أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف ، وقال برأي الجهمية ، وكان أبوه يهودياً ، وهو من أهل بغداد ، ينتسب إلى درب المريس ، قالوا في وصفه : كان قصيراً ، دميم المنظر ، وسخ الثياب ، وافر الشعر ، كبير الرأس والأذنيين . وقد رد عليه الإمام الدارمي في كتاب النقض على بشر المريسي . توفي سنة ٢١٨هـ .
انظر الميزان (١/٣٢٢) تاريخ التراث العربي (١/٤/٦٥) .

(***) هو الجعد بن درهم ، أول من قال بخلق القرآن ، وزعم بأن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى ، سكن دمشق ، قال ابن عساكر وغيره : أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان ، وأخذها بيان عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم زوج ابنته ، وأخذها لبيد بن أعصم - وهو الساحر الذي سحر النبي ﷺ - عن يهودي باليمن . =

فلا يزال العار ، آخذاً بصفحة عنقه ، ودامغاً على جبهته ، ولكن بصور أخرى لتلك الرموز .

ها هم اليوم أفراخ الجهمية ، يتخذون لأنفسهم رؤوساً ، ليسلكوا تلك الطريق ، التي عجز عن سلوكها أربابهم ، لعلهم ينجحون في المهمة المستحيلة ، ويا ليتهم يعودون عن غيهم إلى الرشد ، ويدركون تلك الحقيقة . . . حقيقة الوعد.

نعم ، حقيقة الوعد من الله ، بحفظ هذا الدين ، فلينظروا كيف قيّض الله عبر العصور ، وعلى امتداد الزمان ، لهذا الدين ، من ينافح عنه ، ويذب كل دخيل ، جاعلاً من نفسه سياجاً ، يقي صفاءه من الكدر ، ويحمي سماحته من شياطين الجن والبشر ، كيلا يحولوا بساطته إلى رمزٍ خفي ، تنقطع دون فهمه أعناق المطي .

= وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الخزري ـ وقيل الترمذي ـ وقد أقام ببلخ وكان يصلي مع المفسر مقاتل بن سليمان في مسجده ويتناظران حتى نفي إلى ترمذ ، ثم قتل الجهم بأصبهان وقيل بمرو ، وأخذ بشر المريسي عن الجهم . وأخذ أحمد بن أبي داؤد عن بشر .

وأما الجعد فإنه أقام بدمشق حتى ظهر القول بخلق القرآن ، فتطلبه بنو أمية ، فهرب فسكن الكوفة ، فلقيه الجهم فتقلد هذا القول عنه .

أنظر البداية والنهاية (٩/٣٥٠) والميزان (١/٣٩٩) والأعلام (٢/١٢٠) .

فقد اتخذ بعضهم شيخاً لهم الذي قال مدعياً كما قال غيره :

اثنــان مــن يـعــذلـني فـيـهـــما فهـــو عـــلى التحقيق مني بـــري
حـــبّ أبي بـكـــر إمـــام الهـــدى ثم اعتقـادي مـذهب الأشعري*

قلت : هذا زعم منك ، وإني لأقول لك :

بـل أنت لا تصـدقُ يـا عبـدري هــا جئتَ بـالمــذمـومِ والمنكَــرِ
إن كنتَ بـالتعـطيـل لـه تــابعـاً قـد عـادَ عن تعـطيله الأشعـري

(*) الأشاعرة : هم أتبـاع أبي الحسن الأشعري المنتسب إلى أبي مـوسى الأشعري ـ الـذين هم علـى مذهبـه ـ قبل أن يـرجع إلى معتقـد أهـل السنـة والجـماعـة إلا في بعض الصفـات ـ والأشاعرة في الجملة لا يثبتون من الصفات إلا ثلاث عشرة أو عشرين على قولين ويؤولون بقية الصفات بتأويلات عقلية بالرغم من ورود النصوص فيها من الكتاب والسنة . وهذه الصفات التي يثبتونها مجموعة في قوله :

حـــي عـــليـــم قـــديـــر والـــكـــلام لـــه ارادة وكذلك السمع والبصر

ويمكن تلخيص أصول مذهبهم فيما يلي :

أولاً : تأويلهم الصفات الفعلية أو نفيها .

ثانياً : قولهم بجواز التكليف بما لا يطاق.

ثالثاً : نفيهم الحسن والقبح الذاتيين .

رابعاً : نفيهم الاقتران الضروري بين السبب والمسبب إذ لا تأثير له فيه .

خامساً : نفيهم تأثير القدرة الحادثة من الفعل .

سـادسـاً : قـولهم بان الإيمـان هو التصـديق بالقلب فقط وأن العمـل والإقـرار من فـروع الإيمان لا من أصله .

=

أو كـنـتَ في شــكٍّ وفي ريـبــةٍ فـانظر لهـذا «كذب المفتـري»[1]
قـد صوَّر التـاريخ عـاراً ، بـدى في صــورةٍ مــن صُــوَرِ الأعصُرِ
مـثــل المــريسيٍّ وجهــمٍ نـــرى فيـك وفي سيِّـدك الكـوثـري[2]

لقد غفل الإمبـراطور وعصـابته ، عن أن صفـات الله لا تقاس بصفـات المخلوقين ، ولم يـدركوا مـا لعلوه سبحانـه فوق خلقـه ، من آيـات العظمـة التي لا تحصى . فكيف يرد الـدين ، لقول الجـاحـدين والجاهلين ؟!!

سبحانك ربي (!) هذا بهتان عظيم .

وقد فصل الله آيـاته ، وأحكمهـا ، فهي هدى ونـور للمتقين ،

= سابعاً : قولهم بالجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ .
ثـامناً : قـولهم بأن كـلام الله هو المعنى القـائم وهو قـائم بـالـذات يستحيـل أن يفـارقـه العبارات والحروف دلالات على الكلام الأزلي .
انظر : الاقتصاد في الاعتقاد (ص/١١٩) العقيدة الأصبهـانية لابن تيميـة (ص/٧٨) الملل والنحـل (١/٩٦) مدارج السـالكين (١/٢٣١) اجتـماع الجيوش (ص/١١٨ - ١٣٣) .

(١) رجع الإمام الأشعري عن مذهب أهل الكلام واعتذر بكتابه «الإبانة عن أصول الـديانـة» أثبت فيه صفات الله ، على مذهب السلف ، وقد حاول بعض المتنطعين أن يشكك في نسبة هذا الكتاب إليه ، ولكن الحجة قامت على أنه له ، وقـد أثبته الحـافظ ابن عساكـر في كتابـه «تبيين كذب المفتري» .
(٢) هو الشيخ محمد زاهد الكوثري ، مشهور عند أهـل الحق بكذبـه وافترائـه على الصـالحين ، وإجلاله للطالحين ، فانظر حقيقته في «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيـل» للإمـام العتمي اليماني . وقد طبعه المكتب الإسلامي طبعة ثانية .

الـذين أرادوا الله ، إذن كيف يدعـونها لقـواعـد فلسفيـة ، بنيت عـلى المقايس !؟ ففي كتاب الله ، فصل المقال ، يهرع إليه عند النزاع .

فالله تعالى يقول :

﴿ آلــر كِتَـابٌ أُحْكِمَتْ آيـاَتُـهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَـدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ﴾[١] .

ويقول سبحانه :

﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾ [٢] .

فهو في كتابه المفصل والمحكم ، وصف نفسـه بالعلو ، ثم جئتم أنتم تنكرون . ﴿ءَآللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَىْ اللهِ تَفْتَرُوْنَ﴾ [٣] .

﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِيْنِيْ فَاعْبُدُوْا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُوْنِهِ﴾ [٤] .

إنكم تـردون الحق بحجج متهـافتة وواهيـة ، كلهـا مبنيـة عـلى المقاييس ، وكل ذلك وحيٌ من الشيطان ، كما أوحى إلى مشركي مكة أن يسألوا رسول الله ﷺ عن الشاة ، تصبح ميتة : من قتلها ؟

---

(١) سورة هود الآية (١) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٤٠) .

(٣) سورة يونس الآية (٥٩) .

(٤) سورة الزمر الآية (١٤) .

فقال : «الله قتلها»[1] فأوحى إليهم أن يقولوا له :

(ما ذبحتموه بأيديكم حلال ، وما ذبحه الله بيده الكريمة حرام ، فأنتم إذن أحسن من الله) فأنزل الله تعالى :

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[2] .

فنحن لا نحب الجدال والمراء ، لأن الله ما غضب على قوم إلا أورثهم الجدل[*] ، ويعلم الله أنني عندما أسير في الطريق ، أتذكر

---

(1) رواه أبو داود (٢٨١٧ و ٢٨١٩) والترمذي (٣٠٦٩) والنسائي (٥٣٧٧) وصححه الحافظ ابن كثير في « تفسيره » (٢/ ٢٧٥).

(2) سورة الأنعام الآية (١٢١) .

(*) يشير المؤلف ـ رحمه الله ـ إلى حديث أبي أمامة الذي يرويه عن النبي ﷺ : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ثم قرأ (ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) .

أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢ و ٢٥٦) والترمذي (٤٨) وصححهُ وابن ماجه (٤٨) وابن أبي الدنيا في « الصمت » (١٣٥ و١٣٦) وابن أبي عاصم في « السنة » (١٠١) وابن جرير في « تفسيره » (٢٥/ ٨٨) والطبراني في « الكبير » (٨/ ٣٣٣ رقم ٨٠٦٧) والآجري في =

قول الله تعالى :

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِيْنِ ، وَأَعُوْذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُوْنِ﴾ [1] .

ولكن الحاجة في بعض الأحيان ، تستدعي المجابهة والمواجهة ، ولا سيما عندما يوجد معهم ، بعض المساكين ، الذين يلبسون عليهم الحقائق ، ويزرعون في أذهانهم الشبهات .

وبفضل الله تعالى ـ وهو ينصر دينه ـ تسقط حججهم في كل جلسة مناظرة ، الواحدة تلو الأخرى ، والله يقول :

﴿فَسَيُنْفِقُوْنَهَا ثُمَّ تَكُوْنُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُوْنَ﴾ [2] .

وقد عرفت بحكم الإحتكاك المتواصل بهم ، والممارسات المتلاحقة ، أنهم لا يأخذون بظاهر النصوص ، فهم يقرون بوجود الآيات والأحاديث ، لكن يتأولون(*) ذلك على غير حقيقته ، الأمر

= الشريعة (ص / ٥٤) والحاكم (٢/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨) وصححه ووافقه الذهبي، والسهمي في « تاريخ جرجان » (ص / ٤١) وابن عبدالبر (٢/ ٩٧ ـ ٩٨) والخطيب في الفقيه (١/ ٣٢٠ و٣٢١) والهروي في « الأربعين في دلائل التوحيد » (ص / ٩٢ ـ ٩٣) رقم (٣٩) والبغوي في تفسيره (٦/ ١١٦) جميعهم من طريق الحجاج بن دينار الواسطي عن أبي غالب عن أبي أمامة به. وزاد السيوطي في الدر (٦/ ٢٠) نسبته لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في «الشعب». وحسنه شيخنا شامة الشام في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٦١).

(١) سورة المؤمنون (الآية/٩٨) .

(٢) سورة الأنفال (الآية/٣٨) .

(*) أصحاب التأويل هم أشد الأصناف اضطراباً إذا لم يثبت لهم قدم في الفرق بين ما يتأول =

الـذي دفعني إلى أن أرد عليهم رداً عقلياً ، يخصهم ، لعلهم يـرجعون عـما هم فيـه من التحـريف (*) ، والله يعلم أنني لم أكن محبـاً لمـا خط

= وما لا يتأول ولا ضابط مطرد منعكس تجب مراعاته وتمنع مخالفته ، بخـلاف سائر الفرق، فـإنهم جروا عـلى ضابط واحـد وإن كان فيهم من هـو أشد خـطأً من أصحاب التـأويل.

والذي حملهم على التأويل خوفهم من تشبيه الله بخلقه فوقعوا في شر من ذلك فجمعوا بين التشبيه والتعطيل فكانوا كما قال الشاعر :

والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

وهكذا فإن كل من فر عن الحق فلابد أن يقع في الباطل وصدق الله حيث يقول :

﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ [سبأ (أية/ ٢٤)] .

(*) التحريف : لغة : هو التغيير وإمالة الشيء عن وجهه . يقال انحرف عن كذا إذا مال .

اصطلاحاً : تغيير لفظ النص أو معناه . وهو نوعان :

الأول : تحريف اللفظ بزيادة أو نقص أو تغيير شكل .

كقول الجهمية في استوى:استولى بزيادة اللام .

وكقول اليهود حنطه لما قيل لهم قولوا حطة.

وكقـول بعض المبتدعـة بنصب الجلالـة في قولـه : **﴿ وكلم الله مـوسى تكليـماً ﴾** ليكـون التكليم من موسى لا من الله .

قال ابن القيم في نونيته :

أُمِـر اليـهـودُ بـأن يَـقـولـوا حـطةً ... فـأبـوا وقـالـوا حِـنـطةً لَهِـوانِ

وكـذلـك الجـهـميَ قِيـل أسْتَـوى ... فـأبى وزادَ الحـرفَ لـلنـكـران

نـونُ الـيـهـودِ ولامُ جـهـمـيٍ همـا ... في وحـيِ ربِّ الـعـرشِ زائِـدتـان

الثاني : تحريف المعنى : هو إبقاء اللفظ على حاله وتغيير معناه.

وذلك كتفسير بعض المبتدعة الغضب بالانتقام واليد بالنعمة.

والنـوعان مـأخوذان في الأصـل عن اليهود فهم الـراسخون فيهما وهم شيوخ المنحـرفـين وسلفهم فـإنهم حرفـوا كثيراً من ألفـاظ التوراة ومـا غلبوا بـالتحـريف في القـرآن ، دون غيرهم من الأمم . أ. هـ. الصواعق المرسلة (١/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

قلمي ، لميلي إلى أسلوب النصوص ، ولكن الحاجة ماسة ، وتستدعي مثل هذا النوع من الردود ، وهو أمر بحسب الضرورة ، لا سيما أن المسلم بحكم طبيعته ، لا ينبغي ـ في حيز العلاقات ـ أن يخلو من رابطتين :

ـ رابطة العبادة ، وتكون بين العبد والمعبود .

ـ ورابطة الدعوة إلى العبادة ، وتكون بين العبد والعبد .

وليس في التوحيد أنانية ، حتى يستأثر العبد به دون سواه ، بل عليه أن يوحد الله ، وأن يدعو غيره إلى توحيده .

هذا ، ولما عرفت من أنهم لا ينكرون النصوص ، بل يؤولونها ، كان الأمر مستدعياً ، أن يرد عليهم ردٌّ يلزمون به ، وإن كان عقلياً ، والضرورة تعظم عندما يعلم المسلم أن رجوع أحدهم عن غيه ، إنما هو رجوع لخلق معه ، بل إحالة دون وقوع أناس في هذا الشرك ، لأن أحدهم لا بدَّ من أن يدعو إلى ضلاله أناساً كثيرين .

وقام بتوجيه مثل هذه الردود ، علماء عظماء ، وعلى رأسهم إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل ، ونرى ذلك في رده الذي أقام به الحجة على الجهمية والزنادقة (*) ، حيث قال رضي الله تعالى عنه :

(*) الزنادقة : جمع زنديق . ومصدره زندقة فارسي معرب ، وهو الذي لا يؤمن بالآخرة ، ووحدانية الخالق ويقول بدوام بقاء الدهر . كما يطلق على كل منهمك مستهتر يتكلم في الدين بما هو كفر صريح دون نظر أو استدلال ، كما يطلق على أتباع ديصان ثم ماني ثم =

(إذا أردت أن تعلم أن الجهميَّ كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان ، فقل : أليس الله كان ولا شيء فيقول : نعم . فقل له : حين خلق الخلق خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه ، فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال لا بد له من واحد منها .

إن زعم أن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر ، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه .

وإن قال : خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا كفراً أيضاً حين زعم أنه دخل في مكان وحش قذر رديء .

وإن قال : خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع وهو قول أهل السنة) [1] .

وهذا من نمط الردود العقلية ، دعت إليه الحاجة والضرورة . . وقد يكون واجباً في بعض الأحيان كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

= مزدك وحاصل مقالتهم : أن النور والظلمة إلهان قديمان ، النور إله الخير ، والظلمة إله الشر ، وأنه يجب السعي في تخليص النور من الظلمة فيلزم إزهاق كل نفس .

يقول المتنبي في هذا المعنى :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن الشانوية تكذب

لسان العرب (١٨٧١/٣) فتح الباري (٢٧٠/١٢) الصواعق المرسلة (٦٤٦/٢) .

(١) « الرد على الزنادقة والجهمية » لأحمد بن حنبل (ص/٩٦) .

وكـان العلماء الأوائل قـد ردوا على أربـابهم بـالنصـوص ، ولمّـا كانت هناك شبهات أخرى حادثة عند هؤلاء الموجـودين بين أرجلنـا ، دعت الحـاجـة إلى أن يـرد عليهم بـالنصـــوص أيضـاً ، مـــع إسقـاط تأويلاتهم وتحريفاتهم ، ورد شبهاتهم بالحجج والبراهين، وهذا ما حبَّذه الكثير من أهل الحق ، وهو أن يرد عليهم بـالآيات والأحـاديث مع رد تأويلاتهم لها ، لا الاكتفاء بسردها (*) .

(*) عنـدما ظهـرت فتنة القـول بخلق القرآن هب علماء السنـة لنصرة الحق ، فرفعـوا أعـلام العقيدة السلفية ترفرف في كل مكان ، تطارد فلول الإعتزال ، وتحذر الأمة منه ، فانحجز في حجره وانقمع أمره فلم تقم له بعـد قائمـة تذكـر ، وبرزت جهـود السلف من العنايـة بالعقيدة والذب عنها في جانبين :

الأول : المناظرة لأصحاب الفرق الضالة وإفحامهم وكشف حقيقتهم .

الثاني : تأليف الكتب في بيان العقيدة السلفية بالاعتماد على الكتاب والسنة وأثار السلف .

وقد اتخذت هذه المؤلفات منهجين مختلفين.

أـ منهـج الرد : أي عـرض شبه الخصـوم وبيان الحق في ذلـك مدعـماً بالأدلـة النقلية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وذلك يتمثل في مؤلفات عدة ، أهمها :

١ـ الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ط .

٢ـ الرد على الجهمية للبخاري (٢٥٦هـ) .

٣ـ الرد على الجهمية للدارمي (٢٨٠هـ) ط .

ب ـ منهج العرض : وهو عرض العقيدة السلفية من الكتـاب والسنة وأقـوال الصحـابـة والتابعين لهم بإحسان ويمثل هذا المنهج المؤلفات الآتية :

١ـ السنة لأحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ط .

٢ـ السنة لعبد الله بن أحمد (٢٩٠هـ) ط .

٣ـ التوحيد لابن خزيمة (٣١١هـ) ط .

وهذه الكتب تركز على قضية مهمة هـي : « العودة بـالأمة إلى الاتصـال المباشر بـالكتاب والسنة واتباع السلف الصـالح في فهمهـا واجتناب مـا جد من الآراء المحـدثة والمـذاهب المبتكرة.

وما كان ضلالهم إلا بالظن واتباع الهوى ، والله تبارك وتعالى يقول :

﴿إِنْ يَتَّبِعُوْنَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَىْ الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدَىْ﴾ (١) .

فقد أرادوا تنزيه الله بعقولهم وأهوائهم ، ونصبوا أنفسهم حاكماً على الله ، يثبتون له ما يشاؤون ، وينفون عنه ما يختارون ، فكان مثلهم كمثل : ﴿الَّذِيْنَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَاْ وَهُمْ يَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُوْنَ صُنْعاً﴾ (٢) .

فهؤلاء هم الأخسرون أعمالاً ، وهم في الدنيا عمي : ﴿وَمَنْ كَاْنَ فِي هَذِهِ أَعْمَىْ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىْ وَأَضَلُّ سَبِيْلاً﴾ (٣) .

وهذا ما عزمنا على القيام به ، مستعينين بالله تعالى .

ولا يمكننا تجاهل ذلك الفرق العظيم بينهم وبين أجدادهم . فهم يقولون (الله ليس في مكان على الإطلاق) فهو عندهم ، ليس فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا يسار، ولا خلف، ولا أمام، ولا متصل بالعالم، ولا منفصل عنه. ولا داخل العالم ولا خارجه. وهكذا شبهوا الرب سبحانه بالعدم.

---

(١) سورة النجم الآية (٢٣) .

(٢) سورة الكهف الآية (١٠٤) .

(٣) سورة الأسراء الآية (٧٢) .

فكان هذان الفريقان بين الإفراط والتفريط .

أوليس كان يسعهم أن يكونوا على منهاج أهل السنة والجماعة (*) يثبتون ما أثبت الله لنفسه ، وأثبته له رسوله ﷺ ، فيقولون : ربنا في السماء ، كما أخبر وأنزل ، فيرفعون أيديهم إليه ، ويسألونه الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، ولكن ماذا نقول !!

فلا اعتراض على قدر الله الذي من يهده فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

وأما الذين يؤمنون بكتاب الله تعالى ، أي الذين يتبعون ما

(*) أهل السنة والجماعة : هم المتمسكون بالسنة والمحكمون بها من القليل والكثير ، والمراد بهم أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، الذين التزموا الحق ودعوا الناس إليه .

قال الإمام ابن القيم في « إعلام الموقعين » : « واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان واحده ، وإن خالفه أهل الأرض ، وقد شذ الناس كلهم زمن الإمام أحمد بن حنبل إلا نفراً يسيراً فكانوا هم الجماعة وإن كان الفقهاء والمفتون والخليفة وأتباعهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة ، ولما لم يتحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة يا أمير المؤمنين : تكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء المفتون كلهم على الباطل وأحمد وحده على الحق ؟

فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالعقوبة بعد الحبس الطويل فلا إله إلا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهذا هو سبيل أهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضى عليه سلفهم وينتظره خلفهم أ.هـ.

فيه ، فهؤلاء اتبعوا الهدى ، إذ يقول المولى : ﴿الم . ذَلِكَ الكِتَـابُ لَا رَيْبَ فِيـهِ هُدَىً لِلْمُتَّقِـينَ﴾ (1) وهم يـزدادون من هـدى الله كلما ازداد اتباعهم [له].

﴿وَيَزِيْدُ اللهُ الَّذِيْنَ اهْتَدَوْا هُدَىً﴾ (2) .

فهذا الهدى لا يأتي إلا باتباع ما أُنـزل وبالإيمـان به عـلى الحقيقة التي نزل بها ، لا تأويل ولا تعطيل ، لأن الله أنزل الكتاب ليبين الحق وينير السبيل .

يقول الإمام العلامة ابن قيّم الجوزية :

(وما عذر من نبـذ كتاب الله وسنـة رسولـه ﷺ وراء ظهره ، في يوم لا ينفع فيه الظالمين المعاذر ؟ أفيـظن المعرض عن كتـاب الله وسنة رسوله ﷺ أن ينجو غداً بآراء الرجـال ، ويخلص من مطالبـة الله تعالى له بكثرة البحوث والجدال ، أو ضـروب الأقيسة وتنـوع الأشكال ، أو بالشطحات والمشارات وأنواع الخيال ؟ هيهات !

والله لقـد ظن أكذب الـظن ، ومنّى نفسه أبـين المحـال ، وإنمـا ضمنت النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره ، وتزود بـالتقوى ، وأتم بـالدليـل ، وسلك الصراط المستقيم ، واستمسـك من التـوحيـد واتباع الرسـول ﷺ بالعـروة الوثقى التي لا انفصـام لها ، والله سميـع عليم) (3) .

---

(1) سورة البقرة الآية (1 ـ 2) .

(2) سورة مريم الآية (79) .

(3) « اجتماع الجيوش الإسلامية » لابن القيم (ص 42 ط 1 دار الكتب العلمية) .

وها قد أضفت إلى صواعق العلماء صاعقة جديدة ، فيها من الحقائق والبراهين النقلية عن الله وعن رسوله وعن علماء الأمة ، ما يدمر الأكاذيب والأباطيل ، لا سيما أن الرسالة الأولى التي ناقشتهم فيها بالعقل ، كانت تحتاج إلى الأصل ، وهو أن يؤخذ الدين بالنقل لا بالعقل ، ولكن سبحان الله ! فقد كانت الظروف والدوافع إلى إخراج تلك قبل هذه كثيرة .

وفي هذه الرسالة برهان لكبارهم وصغارهم، فمن جحد بعدها، فلا أظن أنه يؤمن بحقيقة آية من آيات الله، وقد اتبعت فيها أسلوباً مجدياً، يناسب الشبهات الجديدة التي أوردوها، إذ ذكرت الأدلة من الآيات والسنن ثم جاوبت عن كل عذر اعتذروا به أو تذرعوا، وأبطلت كل مذهب ذهبوا إليه، وكشفت الستار عن شبهات يطرحونها بين الناس ليلبسوا عليهم دينهم، فكبَّلت أقوالهم بقيود الكتاب والسنة، ومدلول العربية التي خاطب الله بها عباده في قرآنه العزيز.

وقد اعتمدت اعتماداً عظيماً على كتابين :

وهما : «العلو» (١) للإمام الذهبي (*) ، وهو كتاب صنفه

---

(١) الذي إعتمدنا عليه هو « مختصر العلو » لشيخنا العلامة محدث العصر بلا منازع ، البحر الإمام شامة الشام ، محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله وسدد خطاه ، وقد استفدنا من تخريجاته ، وحكمه على الأحاديث . والنسخة التي اعتمدنا عليها هي الطبعة الأولى للمكتب الإسلامي .

(*) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ولد سنة (٦٧٣هـ) بدمشق. عاش في طفولته بين أكنان عائلة علمية متدينة برع في علم القراءات والحديث واهتم =

لإثبات ما نحن بصدد إثباته ، من علو الله تبارك وتعالى .

والكتاب الثاني : «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» للعلامة ابن قيم الجوزية ، وقد صنفه لنفس الهدف .

وكذلك نظرت في غيرهما ، مما يفيده في هذا الموضوع ، ومن ذلك : كتاب «الرد على الجهمية» للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ، الذي قال فيه أبو الفضل الفرات :

(ما رأينا مثل عثمان بن سعيد ، ولا رأى هو مثل نفسه ، أخذ الحديث عن يحيى بن معين وابن المديني ، والفقه عن البويطي ، والأدب عن ابن الأعرابي فتقدم في هذه العلوم) [1] .

ونظرنا أيضاً في كتابه الآخر «النقض على بشر المريسي» .

وهما أي هذا الكتاب والذي سبقه ، كتابان ليس لهما نظير ، لما حملا من ردود موفقة ، ونظر ثاقب لصاحبهما رحمه الله تعالى ، ولذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية يعلي من شأنهما ، ويكثر هو وتلميذه ابن القيم من النقل عنهما ، وقد قال العلامة ابن القيم رحمه الله :

(وكتاباه من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها ، وينبغي

= بالكتب التاريخية قال عنه ابن كثير : الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه .

توفي سنة (٧٤٨هـ) . من مؤلفاته « أحاديث الصفات » « العلو العلي الغفار » « ورؤية الباري » انظر طبقات السبكي (٩/١٠١) .

(١) « العلو » للذهبي (ص ٢١٣ / مختصر).

لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمهما جداً) [1]* .

وهناك أيضاً كتب أخرى كثيرة اطلعنا عليها ، ككتاب «الإبانة» للإمام أبي الحسن الأشعري ، وكتاب «التوحيد وصفات الرب» لإمام الأئمة ابن خزيمة ورسالة «الإستواء وإثبات العلو» للإمام الجويني ، وكتب لشيخ الإسلام وتلميذه ، وشروحات كـ «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي ، وكتب كثيرة غيرها لا مجال لسردها بالتفصيل .

والسبب الذي دفعني إلى تسمية هذه الرسالة بـ (إثبات علو الرحمن من قول فرعون لهامان) . هو أنني قصدت إظهار سفاهتهم ، من خلال بيان شبههم لفرعون ، الذي كان يرد العلو، ويكذب موسى عليه السلام(**) .

ولقد وجدتني أمام تلعثم ظاهر وعجز كلي من هؤلاء المكابرين ، كلما ألقيت على مسامعهم آية فرعون ، أو قوله لهامان ، مما دل على أنه لا مجال عندهم للإنكار وتعطيل صفة علو الجبار سبحانه وجل شأنه .

وليست الرسالة مقتصرة على مدلول عنوانها ، بل فيها الكثير من الأدلة القرآنية والسنّية ، وفيها أقوال مستفيضة لعلماء الأمة ، فما كان

---

(١) « اجتماع الجيوش » لابن القيم (ص ١٤٣)* وتتمة كلامه (. . . وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما) أ. هـ.

(**) انظر التعليق (ص / هـ - و).

اسم هذه الرسالة إلا من قبيل ذكر الخاص من العام ، أو لسبب بدء الرسالة بما يحمله العنوان .

وإنني كثيراً ما أسمع من أفواه الجهال قولاً ـ وإن كان واضح البطلان ـ يظنونه مخرجاً ، وهو جوابهم عن قولنا : (الله في السماء) بأن هذا مقبول ، ولكن ليس هو العلو الذاتي ، وإنما هو علو قهر وقدر .

وبالنسبة لقول فرعون ، فإنه يبطل بدلالته هذا الزعم ، ويؤكد أن كل منكر لعلو الله هو فرعوني بإنكاره ، ففي هذا القول ما يرفع الشبهات ، التي تراكمت على القلوب حتى أعمت البصائر والأبصار ، ولا يبقي أمام الجاحدين سوى التسليم بعلو العلي العليم على عرشه العظيم .

ونبدأ بسوق الأدلة ، فانظروا وَعُوا ، ولا تركنوا إلى الجهل ، أو تأخذكم الحمية ، حمية الجاهلية ، واسمعوا مرة واحدة ـ وهذا رجاء منا ـ لغير شيخكم ، فالله هو الهادي ، وهو ينير السبيل .

قال الله تبارك وتعالى :

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاْ هَـامَاْنُ ابْنِ لِيْ صَـرْحاً لَعَلِّيْ أَبْلُغُ الأَسْبَاْبَ ، أَسْبَابَ السَّموَاْتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىْ إِلَهِ مُوْسَىْ وَإِنِّيْ لأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾ [1] .

انظر وتمعَّن بقلب منصف ، هل في القرآن أوضح وأدل من هذا الدليل ؟!!

---

(١) سورة غافر الآية (٣٦ ـ ٣٧) .

فمن لم يكن لـه نصيب فيه ، فهو حقاً عجيب ، وكذاب مريب ، إذ الحق واضح صريح .

ها هو فرعون الطاغوت يقول لوزيره هامان ، ويعهد إليه أن يبني له شاهقاً أو برجاً عالياً ، لعله يبلغ بارتقائه طبقات السموات فيصعد فوقها ، لينظر ويتأكد من أن إله موسى في السماء إذ أن موسى عليه السلام أخبره بأن ربه الذي يدعو إليه فوق السموات السبع .

والذي تتفتق له خاصرة الصغير من الضحك ، قولهم عندما تأتيهم بهذه الصاعقة : إنكم تستشهدون بعقيدة فرعون .

فبربكم هل ترون اعتذارهم مستقيماً !؟

والله ما نتج عنهم هذا القول إلا من عجزهم ، وانعقاد ألسنتهم أمام هذه الشمس ، إذ أنه لا يجرؤ الصبي فضلاً عن الغبي ، أن يقول هذا المقال .

أيها الجاهل كيف تكون هذه عقيدة فرعون ، وهو الذي قال لشعبه :

﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِيْ﴾ [1] وهو القائل :

﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأعلَىْ﴾ [2] أي هو الإله الأرفع والأعظم .

وقال لموسى : ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِيْ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُوْنِيْنَ﴾ [3] .

وقد يقول قائل : أوليس الله تبارك وتعالى قال :

﴿وَقَاْلَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ : أَتَذَرُ مُوْسَىْ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوْا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [4] ؟ مما يدل على أن فرعون يؤمن بآلهة .

قلت : في هذه الآية وجوه من التفسير :

ـ قال بعضهم : (إن فرعون صنع لقومه أصناماً صغاراً ، كانوا يعبدونها ، ولكن كان يقول لهم : إني ربكم ورب آلهتكم) .

وهذا قريب جداً ، فتكون نسبة الآلهة إلى فرعون نسبة إضافة ، وأشبه بالملكية ، إذ هو الذي يختار لهم هذه الآلهة ، ولكن يقول لهم :

﴿أَنَاْ رَبُّكُمُ الأَعْلَىْ﴾ أي أنا أعظم وفوق كل هذه الآلهة .

ـ وقال بعضهم : (كان فرعون يعبد إلهاً في السر) كما ذكر ابن كثير والطبري [5] عن الحسن البصري .

(١) سورة القصص الآ ة (٣٨) .

(٢) سورة النازعات الآية (٢٤) .

(٣) سورة الشعراء الآية (٢٩) .

(٤) سورة الأعراف الآية (١٢٧) .

(٥) « جامع البيان » (م ٦ ج ٩ ص ١٨) .

وهذا لم يثبت ، بل هو مردود بنفس الآية ، فالله قال :

﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ وهذا يبطل وجود السرية في عبادة فرعون ، لأن الملأ يقول له ذلك ، فكيف يكون ذلك سراً وكل هؤلاء يحذرونه من خطر ترك موسى لآلهته ؟!

أليس في ذلك دلالة على أن الأمر غير سري ؟!

ثم كيف يعبد إلهاً في السر ، وقد حذروه من ترك موسى لآلهة بالجمع ؟ ثم لا يمكننا أن ننسى بأن فرعون ليس بالذي يتهيب قومه . .

ـ وذهب آخرون إلى وجه آخر كما ذكر الطبري في تفسيره [1] إذ نقل قراءة عن ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما :

﴿وَيَذَرَكَ وَإِلاهَتَكَ﴾ أي : يتركك ويترك عبادتك ، لأن الإلاهة مصدر بمعنى العبادة ، فتقول : (أله يأله إلاهة) أي (عبد يعبد عبادة) ونَقَل عن ابن عباس قوله : (إنما كان فرعون يُعبد ولا يَعبد) .

فهذا وإن كان قريباً ، ولكن لا نراهَ . لأن القراءة التي أجمع عليها قراء الأمصار هي ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ .

والقول الصحيح الذي ارتأيته ـ والله أعلم ـ بعد النظر والبحث في تاريخ هؤلاء القدامى ، وسيرتهم في تلك العصور ـ ومنهم الفراعنة ـ أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم آلهة لرعيتهم ، حتى أن الألوهية عندهم بالتناسل .

---

(١) نفس الصفحة .

قال ول ديورانت :

(كان الملك عند المصريين القدماء إلهاً ، وكان على الدوام ابن الإله آمون ـ رع» لا يحكم مصر بحقه الإلهي فحسب ، بل يحكمها أيضاً بحق مولده الإلهي ، فهو إله رضي أن تكون الأرض موطناً له إلى حين) [1] .

بل كان عندهم تعدد الآلهة أمراً مسلماً به ، بل لا يؤمنون بغيره ، ولذلك كانوا يستغربون نسبة الإله إلى كل شيء ، فعندما حاج موسى فرعونَ بربه الذي هو رب العالمين :

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ : وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوْقِنِيْنَ ۝ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : أَلَا تَسْتَمِعُوْنَ ۝ قَالَ : رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِيْنَ ۝ قَالَ : إِنَّ رَسُوْلَكُمُ الَّذِيْ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُوْنٌ﴾ [2] .

فقد وصفه بالجنون لأنه جعل الله إلهاً لكل شيء ، وهذا قطع للعادة السائدة ، من أن لكل شعب إلهاً ، وهذا معروف عند المصريين بل (جعلوا لكل مقاطعة ولكل بلدة رباً مختصاً بها أمثال الآلهة : «أمن» و «أنوبيس» و «أونوريس» و «أوزيريس» و «باست» و «حوريس» و «عنقت» الخ . . .) [3] .

ولهذا كان فرعون ينسب الله إلى موسى ، لأنه معبوده ، وكأن

---

(١) « قصة الحضارة » (ص ١٦١ ج ٢) تعريب الأستاذ محمد بدران .

(٢) سورة الشعراء الآية (٢٣ ـ ٢٧) .

(٣) كتاب « مصر » تأليف : دريوتون وجاك فانديه . تعريب عباس بيومي .

الله يخص موسى فقط ، ويظهر ذلك في قوله : ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ وكذلك قولهم ، كما قال تعالى عنهم :

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا : يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ . .﴾ [1] .

فنسبوه إلى موسى ، ولم يقولوا : ادعُ الله أو رب العالمين .

وموسى عليه السلام كان يجهد نفسه على أن يزيل هذا العرف الشركي ، فتارة ينسب الله إلى نفسه اعترافاً بربوبيته سبحانه ، وبأنه عبد له ، كما في قوله سبحانه عن لسانه :

﴿رَبِّيْ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ . .﴾ [2] فقال : ربي . وتارة يشركهم معه ، كما في قوله عز وجل :

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ : إِنِّيْ عُذْتُ بِرَبِّيْ وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [3] . فقال : ربي وربكم .

وتارة ينسبه إلى السموات والأرض ، كما في قوله لفرعون :

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [4] . وتارة ينسبه إلى السموات والأرض وما بينهما ، كما في قوله :

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٣٤) .

(٢) سورة القصص الآية (٣٧) .

(٣) سورة غافر الآية (٢٧) .

(٤) سورة الإسراء الآية (١٠٢) .

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [1] .

وتارة ينسبه إلى المشرق والمغرب وما بينهما ، كما في قوله :

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [2] .

فالله تعالى أرسل موسى وهارون ليزيلا هذا الركام الشركي ، إذ قال لهما : ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [3] . وهذا إبطال لألوهية فرعون . وقال لهما سبحانه : ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا : إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [4] وهذا فيه نسبة الألوهية إلى الله ، وأن كل شيء مربوب له . وفرعون كان يستكبر وينسب الإله الحق إلى موسى وهارون فقط ، ففي نقاشه : ﴿قَالَ : فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ [5] ولم يقل : فمن الرب . وكذلك قال : ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ؟ [6] .

ويظهر من لفظ سحرة فرعون ، عندما آمنوا ، أنهم أبطلوا استقلال النسب واختصاصها و ﴿قَالُوا : آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ○ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [7] وقالوا : ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ [8] فقالوا : (رب العالمين) قبل أن ينسبوه إلى موسى وهارون ، ونسبوه إلى أنفسهم أيضاً .

---

(١) سورة الشعراء الآية (٢٤) .

(٢) سورة الشعراء الآية (٢٨) .

(٣) سورة طه الآية (٤٧) .

(٤) سورة الشعراء الآية (١٦) .

(٥) سورة طه الآية (٤٩) .

(٦) سورة الشعراء الآية (٢٣) .

(٧) سورة الأعراف الآية (١٢١ ـ ١٢٢) .

(٨) سورة طه الآية (٧٣) .

ومما ظهر لي من سيرة هؤلاء القدامى ، أن السلالة الملكية تكون آلهة للرعية المحكومة ، وهذه الآلهة تختار لعبادتها آلهة أخرى ، فالآلهة عندهم تعبد آلهة ، وقد تحمل الرعية على عبادتها ، ويؤيد ذلك أن فرعون كان يقول لشعبه :

﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ ويقول : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ فهذا فيما يتعلق بالرعية ، فهو الإله بالنسبة لهم ، ويحق له أن يعبد إلهاً آخر ، ولذا قال له الملأ : ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ ولم يقولوا : (ويذرك وآلهتنا) فلا يجوز لهم أن ينسبوا هذه الآلهة إلى أنفسهم ، بل هي آلهة فرعون إلههم .

وإذا شاء أن يحملهم على عبادة آلهته فعل ، لأنه إلههم وعليهم أن يطيعوه إذا أمرهم ، ويعاضد هذا ما ذكره الطبري في تفسير سورة الأعراف من قول ابن عباس رضي الله عنهما عن آلهة فرعون ، قال :

(كانت البقر إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها)(١) .

فالأمر يرجع إليه ، وهو الذي يقرر هل يؤمنون بهذا إلهاً أم بذاك ، وتظهر لك حقيقة ما نقول في وعيده للسحرة عندما آمنوا ، حيث قال لهم : ﴿آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ ؟ (٢) فهكذا عودهم .

وحبهم لعبادة البقر هو الذي دفعهم إلى أن يتخذوا العجل ، عندما أبطأ عنهم موسى عليه السلام .

وكذلك عادتهم التي اعتادوا عليها ، وهي عبادة ما يختاره

---

(١) « جامع البيان » (م ٦ ج ٩ ص ٧) .

(٢) سورة طه الآية (٧١) وسورة الشعراء الآية (٤٩) .

رئيسهم ، جعلتهم يطلبون لإشباع وثنيتهم ، آلهة كما للمشركين آلهة : ﴿قَالُوا : يَا مُوسَىٰ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [1] .

فبعد كل هذا البيان يظهر لنا أن فرعون ، وإن كان له آلهة ، فهي ليست في السماء ، لأن البقر على الأرض .

فمن هو هذا الإله الذي يريد فرعون أن يطلع إليه ؟ إنه إله موسى عليه السلام ، كما أطلق عليه فرعون نفسه ، حيث نسبه إلى موسى .

إن في قوله تعالى : ﴿فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً﴾ من الأدلة والبراهين ، ما يفقأ عين الجاحد ، ويبطل عذر المعاند ، فإن ما عهده فرعون إلى وزيره هامان ، من بناء الصرح ، كان ليستكشف ويطلع ، هل فعلاً كما أخبره موسى بأن ربه في السماء ؟

ولذلك فرعون في كلامه مع وزيره ، نسب الله إلى موسى فقال : ﴿فأطلع إلى إله موسى﴾ ولم يقل (إلى الله) أو (إلى إلهي) لأن هذا الإله يدعو إليه موسى ، فكيف يقال : هذه عقيدة فرعون ؟!

ألا لعنة الله على الكاذبين ، الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، وغرهم بالله الغرور .

عقيدة فرعون إذن ، هي عدم الإيمان بأن الله في السماء ، فنسبة الإله إلى موسى ، وإرادة الإطلاع إليه بعد ارتقاء الصرح دليلٌ واضح على أن الله في السماء ، وأما تكذيب فرعون وإنكاره فيظهر في قوله

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٣٨) .

﴿وإني لأظنه كاذباً﴾ فهو يكذب موسى ، وينكر علو ربه ، لا يكذب نفسه أو هامان .

كيف لا تكون عقيدة موسى بأن الله في السماء ، وقد كلمه الله من السماء ، بل قربه إليه وناجاه فوق السموات ؟!!*

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، قال :

(لما كلَّم الله موسى كان النداء في السماء ، وكان الله في السماء) (١) .

وعن مجاهد التابعي الجليل ، إمام التفسير ، وهو تلميذ ابن عباس ، قال في تفسير قوله تعالى : ﴿وقرَّبناه نجيًّاً﴾(٢) :

(بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب ، فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب ، فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم قال : ربِّ أرني أنظر إليك) (٣) . (*)

(١) رواه البخاري معلقاً في « خلق أفعال العباد » (ص ١٩ ط ١ مؤسسة الرسالة) .

(٢) سورة مريم الآية (٥٢) .

(٣) ذكره الإمام الذهبي في « العلو » (ص ١٣٢/م) وقال : [هذا ثابت عن مجاهد إمام التفسير . أخرجه البيقهي في كتابه « الأسماء والصفات » العظمة] .

وقال شيخنا الألباني في « مختصر العلو » (٩٦/١٣٢) : [وأخرجه أبو الشيخ أيضاً في « العظمة » (ق ٤٩/و ١/٥٥) - مصورة المكتب الإسلامي - وبإسناد صحيح ، رجاله ثقات كلهم ، وأعله الكوثري الجهمي في تعليقه على « الأسماء » بالغمز من روح بن عبادة ! وهو ثقة محتج به في « الصحيحين » وشبل بن عباد وهو ثقة من رجال البخاري . .] .

وانظر « جامع البيان » للطبري (ج ١٦ ص ٧١) وتفسير إبن كثير (١٢٤/٣) « والدر المنثور » للسيوطي (٢٧٣/٤) .

(*) «مع فرض ثبوت ذلك عن مجاهد التابعي رحمه الله إلا أن العقائد لا تثبت بمثل ذلك . فلم =

حتى التوراة الذي خطه الله له بيده ، ضمَّنه ذكر علوه فوق مخلوقاته .

عن كعب الأحبار ، قال :

(قال الله عز وجل في التوراة : «أنا الله فوق عبادي ، وعرشي فوق جميع خلقي ، وأنا على عرشي ، أدبر أمور عبادي ، لا يخفى علي شيء في السماء ولا في الأرض») [1] .

فها هي عقيدة موسى في التوراة ، وهي أن الله في السماء ، وما أعظم جهل من نسبها إلى فرعون ، لأنه يقرأ كتاب الله ولا يفقه منه شيئاً ، والله تعالى قد أمر بتدبره ، حيث قال :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [2] .

وهناك آية أخرى تتكلم عن قول فرعون لهامان ، يقول الله عز وجل :

= يثبت عروج موسى إلى السماء ، وأنه دخل الحجب ولم يكن بينه وبين الله إلا حجاب واحد ، والآية القرآنية ليس فيها دليل على ذلك قط . بل تفيد أن الله قربه إليه مناجياً له ، والمناجاة المذكورة كانت وموسى على الطور يسمع كلام الله ويناجيه الله ، ويقربه إليه لا برفعه إلى السماء» المقدم .

(١) رواه الذهبي في « العلو » (١٢٨/م) وجزم بصحته عن كعب في كتابه « الأربعين في صفات العالمين » (ق ١/٢) وقال في السابق ـ أي « العلو » ـ : [رواته ثقات] ورواه أبو الشيخ في « العظمة » (٢/٣٩) وقال إبن القيم في « جيوشه » (ص ١٠٢) : [وإبن بطة وغيرهما بإسناد صحيح عنه] وقال الشيخ الألباني عن إسناده من أبي صفوان الأموي إلى كعب : [وهذا سند صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين] أنظر « مختصر العلو » (٨٧/١٢٨) .

(٢) سورة محمد الآية (٢٤) .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ : يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (١) فتدبر أخي معناها .

إنه بطغيانه يريد أن يصعد إلى إله موسى ليقتله ، وقد ذكر المفسرون : (أن وزيره هامان بنى له الصرح حتى بلغ نهاية ما قدر عليه من البناء ، ثم صعد فرعون ، وصوَّب سهماً إلى السماء ورمى به ، فعاد إليه النصل مخضباً بالدم ، فقال : لقد قتلت إله موسى) .

يقول عبد الوهاب النجار :

(وجه فرعون إلى القوم كلامه متجاهلاً الإله الذي يدعو إليه موسى ، وأنه سيتخذ الوسيلة للصعود إلى إله موسى ليصفي الحساب بينه وبينه . . لا أظن أن فرعون كان من الجهل بدرجة أن يأمل أن ينال السماء ببناء يصعد ، ولكنه أراد أن يتغفل القوم الذي معه حتى لا يخامر أنفسهم خلجة في حطه عن عرش الربوبية . .) (٢) .

وقد جرى أنني ناظرت طائفة من هؤلاء المعطلة (*) في أحد المساجد ، فعندما استشهدت بهذه الآية وشرحتها ، سلَّم معي المناظر بما قلت ، ولكنه راح ينظر هل هناك من مخرج ؟ فإذا به يقول : نعم هذه الآية عليكم ، وموسى فعلاً قال لفرعون : (ربي في السماء) ولكن

---

(١) سورة القصص الآية (٣٨) .

(٢) كتاب « قصص الأنبياء » لعبد الوهاب النجار (ص ١٨٥) .

(*) المعطلة : هم الذين حرفوا الأدلة وسموا تحريفهم تأويلاً وما هو إلا تبديل لكلام الله ورسوله فيما جاء من الأدلة في الصفات صريح اللفظ واضح المعنى لا يحتمل التأويل.

فرعون اعتقد أن قول موسى يدل على السماء الحسية وهو لم يُرِدْ ذلك ، بل كان يقصد أن ذلك (بالقدر والعظمة) .

ففرعون لم يفهم قول موسى ولم يفقه منه ما قال .

قلت :

كم يحمل هذا القول من شناعة وسفاهة !! وهذا التخرص يرد من وجوه كثيرة :

١ - لا بد أن يوضح الله تعالى في كتابه المعنى ، لأنه أنزله هدى وتبصرة للناس ، فكيف يلبس عليهم المراد !؟

٢ - من أين لكم أن تتقولوا على الله الأقاويل ؟ وما هو مستندكم فيما قلتم ؟ فأتونا بحديث أو قول صحابي أو تابعي أو حتى مفسر ، فإنكم لن تستطيعوا ، لأن مثل تأويلكم كمثل الذي يحاول أن يحك رأسه بأصابع رجليه ، فكيف تصرف الحقيقة الظاهرة إلى مجاز ، مستنده العقل والظن ، واتباع الهوى ، واعتماد المذهب الفاسد ؟!

٣ - قولكم بأن موسى لم يُفهم فرعون ، مما أدى إلى عدم فقه فرعون لقوله : (أبي في السماء) فيه من الباطل ما لا يحتمل ، ولا يمكن السكوت عنه ، لأنه من أعظم الإفتراءات على رسل الله ، وعلى كتاب الله ، بل على الله نفسه ، تعالى عما تقولون ! فإن معنى كلامكم يشير إلى أن بعض الأنبياء والرسل ، لم يبلغوا الرسالة حق التبليغ ، ولم يفهموا الناس معنى كلام الله تعالى ، فهذا باطل لا شك في بطلانه ، وحاشا لأنبياء الله ورسله أن تكون هذه صفاتهم .

فكيف يرسلهم الله لتبليغ آياته ، وهو العليم بطاقة كل إنسان ؟!! حتى وإن عجز أحدهم عن الإفصاح لحبسة في لسانه ، فلا يمكن أن يرسله إلا بعد تأمين مستلزمات الرسالة ، لأن الحجة لا تقوم إلا بها ، ولأن المقام يقتضي الوضوح والبيان قبل اقتضائه سوى ذلك ، إذ أن المسألة تتعلق بالتعليم والتبيين والتوضيح ، وهذا لا يتأتى إلا من فصيح ، عليم اللسان .

ولو كان موسى كذلك ، فكيف يرسله الله إلى فرعون والملإ معه دون تأمين اللازم؟!

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [1] .

وهذا يظهر أن الرسل عليهم أن يبلغوا رسالاتهم إلى الناس ، ويوضحوا لهم بنودها ، ولذا وصف الله هذا البلاغ بأنه مبين ، أي واضح موضِّح ، ولو قال سبحانه : (وهل على الرسل إلا البلاغ) لكان كافياً في الدلالة على أن الرسل عليهم أن يوضحوا ويبينوا الأمور ، ويزيلوا الشبهات ، لأن البلاغ لغةً هو (الوصول والإنتهاء) ومنه البلاغة أي (الإفصاح والبيان) وعند الرسل ما ليس عند غيرهم من هذه البلاغة .

وورد في «لسان العرب» : [رجل بليغ : حسن الكلام ، فصيحه ، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه] .

---

(١) سورة النحل الآية (٣٥) .

هذا ولمّا كان هناك زيادة في الإعتناء من الله بشأن هذا الأمر ، أضفي على البلاغ صفة التبيين ، كل ذلك من أجل وصول الحق إلى المكلفين .

وقد يقول قائل : ولكن الله يثبت في كتابه أن موسى لم يكن قادراً على الإقناع لعدم فصاحته ، وهذا يظهر في قول فرعون عن موسى : ﴿أَمْ أَنَاْ خَيْرٌ مِنْ هَذَاْ الَّذِيْ هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَاْدُ يُبِينْ﴾ (١) .

نقول لمن تخرص بما لم يفهم :

إن موسى عليه السلام كان فصيحاً ، ولكن أصاب لسانه لكنة أو حبسة ، وكان قد دعا ربه أن يحلَّ عقدة لسانه حتى يفقه القوم قوله ، فاستجاب الله له ، إذ قال كما ينقل عنه ربه :

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِيْ صَدْرِيْ * وَيَسِّرْ لِيْ أَمْرِيْ * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَاْنِيْ * يَفْقَهُوْا قَوْلِيْ﴾ (٢) وسأل ربه أكثر من ذلك فقال له ربه تبارك وتعالى : ﴿قَدْ أُوْتِيْتَ سُؤْلَكَ يَاْ مُوْسَىْ﴾ (٣) .

لا يشك اللبيب في أن المدعي لعدم إفهام موسى لفرعون ، بسبب لسانه ، لا يشك في افترائه على الله وعلى رسوله ، لأن الله تعالى استجاب لطلب موسى بحل عقدة لسانه ليفقه قوله من يسمعه .

---

(١) سورة الزخرف الآية (٥٢) .
(٢) سورة طه الآية (٢٤ ـ ٢٨) .
(٣) سورة طه الآية (٣٦) .

فهل يعقل أن من توفرت فيه هذه الصفات ، التي سألها موسى ربه ، أنه لا يكون قادراً على الإفهام ؟! اللهم غُفْراً .

وإن قيل : وماذا يقصد فرعون من قوله ؟

نقول : عرفنا أن موسى عليه السلام ، كان في لسانه حبسة ، ولكن الله تعالى قد أزالها ، فكان فرعون يسخر منه . لكونه مشهوراً بعقدة لسانه قبل أن يحلها الله ، ولا يجوز غير هذا القول .

يقول الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : (هذا كذب وافتراء ، فإنه وإن كان أصاب لسانه شيء . . . فقد سأل الله عز وجل أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله ، وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله ﴿قَدْ أُوْتِيْتَ سُؤْلَكَ يَاْ مُوْسَىْ﴾) (1) .

ثم لا يخفى على أدنى الناس ، أن موسى عليه السلام لم يذهب إلى الطاغوت وحده ، فبالنسبة لقوله تعالى : ﴿إِذْهَبْ إِلَىْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىْ﴾ (2) . فهذا كان قبل أن يسأل موسى ربه ، أن يشرك أخاه في أمره ، حيث قال :

﴿وَاجْعَلْ لِيْ وَزِيْراً مِنْ أَهْلِيْ * هَاْرُوْنَ أَخِيْ * أُشْدُدْ بِهِ أَزْرِيْ * وَأَشْرِكْهُ فِيْ أَمْرِيْ﴾ (3) .

---

(1) « مختصر تفسير ابن كثير » (ص ٤٧٩/ج ٢/ط ١ دار المعرفة ـ بيروت) لمحمد كريّم راجح .

(2) سورة طه الآية (٢٤) والنازعات الآية (١٧) .

(3) سورة طه الآية (٢٩ ـ ٣٢) .

ولـذلك ورد في نفس السـورة ، التي ذكرت فيهـا الآية الأولى ، أنه بعد أن سأل ربه تلك المسائل ، قال سبحانه :

﴿إِذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (١)

وقد يقول قائل : وإن ذهب هـارون مع مـوسى ، فهذا لا يعني أنـه ذهب ليتكلم ، بل مـوسى المتكلم ، وأمـا هـارون فقـد يؤازره في شيء ما ، وبشكل معين ، غير الكلام والخطاب .

فهذا نقول له : الحق عكس ما تقول ، لأن موسى أصـلاً طلب المؤازرة بأخيه لفصاحته ، حيث قال :

﴿وَأَخِي هَـارُونُ هُـوَ أَفْصَـحُ مِنِّي لِسَـانـاً فَـأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي﴾ (٢) .

وهذا يؤكد أن هارون ذهب ليتكلم أيضاً مصدقاً لكـلام أخيه ، وإن كـان موسى هـو المخاطب الـرسمي ، فـإن أخـاه تبـع لـه ، وهـو الأصل المختار لهذه المهمة ، وأخوه مؤازر ومساعد بفصاحته العظيمة .

ففرعون أُرسِـل إليه من يُفهمـه ، وقد تضـافرت الفصـاحة من رسـولين ، أحـدهما أفصـح من الآخر ، فقـول موسى عن أخيـه (هـو أفصح مني لساناً) لا يدل على أنه نفسه غير فصيح ، بل على فصاحتـه لأن (أفصح) على وزن (أفعل) وهي هنا للتفضيـل ، وهذا للزيـادة في الصفة لا للصفة ، فتقول : (هذا حسن وهذا أحسن) .

---

(١) سورة طه الآية (٤٣) .

(٢) سورة القصص الآية (٣٤) .

ثم يدل على أن هارون تكلم أيضاً ، قوله تعالى :

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُوْلاَ إِنَّا رَسُوْلاَ رَبِّكَ﴾ [1] وفي آية أخرى :

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُوْلاَ إِنَّا رَسُوْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾ [2] .

فهـذا يفيد أن مـوسى وهارون عليهـما السلام سيتكلمـان ، لأنه سبحانه يقول : ﴿فَقُوْلاَ﴾ .

وفي الآيتين نكتة بلاغية رائعـة ، تتجلى في التثنيـة والإفراد عنـد الوصف بالإرسال ، حيث قال عز وجل في الآية الأولى :

﴿فَقُـوْلاَ : إِنَّا رَسُـوْلاَ رَبِّكَ﴾ ولم يقـل : (رسولُ ربـك) وهذه التثنية تفيد أن موسى وهارون رسولان ، لا أحدهما دون الآخر ، إذ لو كان موسى وحده رسولاً لقال له فـرعون : كيف يـرسل الله رسـولاً ، وهـو يحتاج إلى رجـل عادي ، يبـرهن له أقـواله ، ويصـدقـه بـالبيـان والفصاحة ؟

ففي هذه الآية إعلام لفرعون بأن موسى وهارون رسولان ، ولا يمكن لـه أن يحتج قـائـلاً عـلى هـارون : ومن أنت حتى تتكلم وتثبت كلام الرسل ؟! فكونه رسولاً يجعله مخولاً لأن يتكلم بكلام الله ، لأنـه مرسل مبعوث ، وهذا يقطع الطريق على الطاغوت .

---

(١) سورة طه الآية (٤٧) .

(٢) سورة الشعراء الآية (١٦) .

وفي الآية الثانية قال سبحانه :

﴿فَقُوْلَا : إِنَّـاْ رَسُـوْلُ رَبِّ الْعَـاْلَمِيْنَ﴾ ولم يقـل (رسـولا رب العالمين) وهذا الإفراد يفيد أن موسى وهـارون يحملان دعـوة واحدة ، لا فـرق بين نتيجـة كلام الأول ونتيجـة كلام الثـاني ، وإن كان هنـاك بعض التفاوت في الأسلوب ، إلا أن الدين واحد ، والدعوة واحدة ، فأصبحا لتوحد المبدأ كما لو كانا شخصاً واحداً .

فمـوسى عليه السـلام هو المخـاطب الأول ، والأصـل في هـذه المهمة ، فقوله تعالى له ولأخيه ﴿فَقُوْلَا﴾ لا ينافي - كـما ظهر - كـون موسى هو الذي يخاطب فرعون ابتداءً ، ودليل ذلك ما وجهـه فرعـون إليهما قائلاً :

﴿فَمَنْ رَبُّكُـمَاْ يَاْ مُـوْسَىْ﴾ [1] ولم يقل : (يـا موسى ويـا هارون) فجاوب موسى وحده : ﴿قَاْلَ : رَبُّنَـاْ الَّذِيْ أَعْـطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَـهُ ثُمَّ هَدَىْ﴾ [2] .

وهكـذا فقد ظهـر لك أن الـرسولـين خـاطبـا فـرعـون ، وهمـا فصيحـان ، ولم يقصـرا في تبليـغ ذكـر الله ، بـل قـامـا بـالمهمـة عـلى الأكمل ، كيـف لا ! وقد اختارهما ربهما ، واصطفاهما ، وهيأهما للقيـام بهذه المهمة ، وأمرهما بـألا يقصرا في هـذا الأمر ، حيث قـال سبحانـه لموسى :

---

(١) سورة طه الآية (٤٩) .

(٢) سورة طه الآية (٥٠) .

﴿إِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوْكَ بِآيَاْتِيْ وَلَا تَنِيَاْ فِيْ ذِكْرِيْ﴾ [1] .

فهل يجرؤ أحد على القول بأن فرعون لم يَفْهم كلام موسى وهارون ؟

أعوذ بالله من شركم ، وأسأله أن يجعل كيدكم في نحركم .

إن الطاغوت فرعون زعيمكم ، فهم قول موسى وهارون : (ربنا في السماء) لأنهما بيَّنا له كل شيء ، فقول الله لموسى : ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىْ أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَىْ رَبِّكَ فَتَخْشَىْ﴾ [2] فيه دليل التبيين ، لأن الهداية لا تكون إلا مع التفهيم والتوضيح .

وكذلك موسى عندما قال لربه عن أخيه : ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيْ﴾ لم يقل : (إني أخاف أن لا يفقهون) وإنما قال : ﴿إِنِّيْ أَخَاْفُ أَنْ يُكَذِّبُوْنِ﴾ فالتكذيب يكون لما يفقهونه ويفهمونه ، كما فعل فرعون في تكذيبه لموسى ، عندما أخبره بعلو الله .

ولم يأت كلام الله في حق فرعون ، في حالة من الحالات ، أنه (لم يفهم ولم يفقه) ، بل كان يأتي في حقه : ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىْ﴾ [3] ﴿فَكَذَّبَ وَأَبَىْ﴾ [4] . وأمثال ذلك ، فالعصيان يكون لما هو معلوم عند العاصي ، وكذلك التكذيب والرفض .

---

(١) سورة طه الآية (٤٢) .

(٢) سورة النازعات الآية (١٨ ـ ١٩) .

(٣) سورة النازعات الآية (٢١) .

(٤) سورة طه الآية (٥٩) .

ولذا قال الله فيه وفي وزيره وجنودهما :

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [1] والخاطيء هو المتعمد للخطأ بخلاف المخطىء الذي يقع فيه بدون تعمد ، فلو كانوا مخطئين في فهمهم لموسى لما قال تعالى عنهم : ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [2] .

فكيف يكون العذاب ، بل أشد العذاب ، لمن أخطأ الفهم ؟!

لا شك أن المستحق لهذا ، يكون كاذباً بما أخبر متولياً عنه ، ولهذا قال موسى عليه السلام : ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [3] . والكذب ، كما قدمنا ، يكون لما هو معلوم ومفهوم ، والتولي أيضاً لا يبعد عن ذلك وورد أن فرعون كذب وتولى ، كما في قوله تعالى : ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ وقوله ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ﴾ [4] .

٤ ـ لو اعتبرنا ـ على سبيل الإفتراض ـ أن فرعون لم يفهم قول موسى ، أفليس كان من الطبيعي أن يخرج من بين الناس أحد ـ وقد دعا موسى فرعون ، وخاطبه في الملأ ـ فيقول : يا فرعون ، ليس هذا ما أراده موسى ، بل أراد أن ذلك بالقَدْرِ والرتبة ؟

---

(١) سورة القصص الآية (٨) .

(٢) سورة غافر الآية (٤٦) .

(٣) سورة طه الآية (٤٨) .

(٤) سورة الذاريات الآية (٣٩) .

فهل يعقل أن لا يكون أحد من السامعين ، قد فهم قول موسى ؟ ما هذا الكلام إذن ؟ أيستحق أن يحمل إلى الناس ، ويدعى إليه ، وليس هناك من يفهمه ؟!!!

ثم كيف ينظر كل هؤلاء بين مؤمن وكافر ، إلى الصرح يبنى خلال زمن ، فلا يتحرك لأحدهم ساكن ؟!! هذا غريب ، بل أغرب الغريب !

ومن المعلوم أن هناك من تكلم في الملإ وخاطبهم ، عندما وجد منهم استكبارهم وتكذيبهم لموسى عليه السلام ، فقال تعالى :

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ : أَتَقْتُلُوْنَ رَجُلاً أَنْ يَقُوْلَ : رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [(١)] أفلم يكن هناك من رد على فرعون كما رد هذا ؟!

٥ ـ إن قلتم : هو يفهم موسى ، ولكن يستهزيء به ، قلنا : هذا من أفحش القول ، لأن المسألة لو كانت استهزاءً ، لما كان تكليف من فرعون ، وتكلف من هامان وجنوده ببناء صرح عظيم ، يأخذ قسطاً من الزمن ، ولأن الإستهزاء يكون غالباً من ردود الفعل ، حيث تستحضره البديهة ، للرد على المواجه . وما معنى تكذيب فرعون لموسى إذن ؟!

٦ ـ قال بعضكم : دليل أن فرعون اعتقد من كلام موسى أنه في السماء عز وجل ، قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوْءُ

---

(١) سورة غافر الآية (٢٨) .

عَمَلِهِ﴾ [1] . قلت : هـذا لا يوجـد أقبـح منـه ، لأن الله لـو أراد ذم اعتقاده لقال : (كـذلك زين لفـرعون سـوء اعتقاده) فـالعمل هـو بناء الصـرح ، والإرتقاء إلى السـماء ، وهـذا هـو المـزعـوم ، لا أن الله في السماء ، ولذلك يقول الطبري في تفسير الآية : ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِيْ تَبَابٍ﴾ [1] (وما احتيال فرعون الذي يحتال للإطـلاع إلى إله مـوسى إلا في خسـار وذهاب مـال وغبن ، لأنه ذهبت نفقتـه التي انفقها عـلى الصـرح باطـلاً ، ولم ينل بمـا أنفق شيئاً ممـا أراده فـذلـك هـو الخسـار والتباب) [2] .

وبهذا اتضح الصواب وحق على من كـذَّب العقاب . وعـلى من جادل بغير سنة أو كتاب :

﴿الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ فِيْ آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُـرَ مَقْتاً عِنْـدَ اللهِ وَعِنْـدَ الَّـذِيْنَ آمَنُـوْا كَـذَلِـكَ يَـطْبَـعُ اللهُ عَـلَى كُـلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [3] .

وعلى ضوء ما قلنا يثبت لدينا أن موسى أخبر فرعون بـأن الله في السـماء ، وقد أنكـر عليـه لعنـةُ الله ، وراح ينكـل بمن آمن بـذلـك ، ويقتل المعلنين لهذا الإعتقاد لما فيه من تحـطيم لعرشـه الذي حـال بينه وبين الإعتراف والخضوع ، وقد روي عن ابن عبـاس رضي الله تعالى

---

(١) سورة غافر الآية (٣٧) .

(٢) « جامع البيان » (م ١١ ج ٢٤ ص ٤٣) .

(٣) سورة غافر الآية (٣٥) .

عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

«لما أسري بي ، مررت برائحة طيبة فقلت : «يا جبرائيل ما هذه الرائحة الطيبة ؟» قال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها كانت تمشطها ، فوقع المشط من يدها فقالت : بسم الله تعالى فقالت ابنته : أبي ؟ قالت : لا ، ولكن ربي ورب أبيك الله فقالت : أخبر بذلك أبي ؟ قالت : نعم فأخبرته ، فدعا بها فقال : من ربك ؟ هل لك رب غيري ؟ قالت : ربي وربك الله الذي في السماء ، فأمر بنقرة (*) من نحاس فأحميت ثم دعا بها وبولدها فألقاهما فيها»[1]* .

سبحان الله تعالى فهل بعد هذا الوضوح من وضوح ؟!!

كم من أرعن استشهدنا له بهذه الآيات التي فيها قول فرعون ، فكان متهرباً ، أو متأولاً بما لا يجرؤ الصبي على البوح به ، كما حصل لي مع بعضهم ، إذ جئته بآية فرعون فقال لي : هذا قوله ولا شأن لي به ، فحوقلت متعجباً من هذه الفهوم ، التي جعلت مرجعها رجلاً ، وليته كان عربياً ، بل هو من الحبشة لا يفقه من العربية إلا الحروف وبالكاد ، والغريب في الأمر أنه عندما انحصر وتلعثم ، ولم يعد أمامه إلا هذه الدندنة الببغائية ، طرحت عليه سؤالاً ، فقلت له : إذن لماذا

(*) جاء في بعض الروايات نقرة وفي بعضها الآخر بقرة .

والنقرة : هو قدر يسخن فيه الماء وغيره .

والبقرة : من البقر وأصله الشق والفتح والتوسعة ، وربما كان المقصود هنا قدراً كبيرة واسعة ، أو كانت تسع بقرة بتوابلها فسميت بقرة .

(1) رواه الدارمي في « الرد على الجهمية » (ص ٢٥) وابن الجوزي في « أحكام النساء » وابن القيم في « جيوشه » (ص ٥٨) ولا يثبت والله أعلم ** .

(**) انظر الملحق رقم (١) .

قال : (وإني لأظنه كاذباً) ؟ فلم يجب ، وأراد صاحبه أن ينقذه ، فقال لي : أنا أجيب ، فقلت له تفضل وليجبني من شاء منكم إن كان عنده جواب . فقال : (قد يكون جرى شيء بين فرعون وموسى قديماً فكذبه فيه) فهنا ضحكت ، وقلت للقائل لا ، هكذا نسبتم إلى القرآن ما يتنزه عنه لسان الصغير ، وإني لا أرضى منك هذا القول أنت بالذات ، وكنت أعلم في هذا الرجل شيئاً من الإنصاف ، فأسأل الله أن يعينه على العودة إلى ربوع الحق ، ـ فعند قولي له ذلك المقال تبسم بحياء وكأنه يقول لي لسان حاله : إني أتكلف بلا شك ، ومما أدخل السرور إلى قلبي ، أنه بلغني بعد زمن غير يسير ، أنه سأل شيخه عبدالله الهرري الحبشي ، وهو يتكلم عن آية فرعون في أحد المجالس ، فقال له : ولماذا قال : (وإني لأظنه كاذباً) فسكتَ ولم يجب ، ثم كرر السؤال لعله لم يسمع ، كما يفعل دائماً عندما يحرج ، يدعي أنه لم يسمع من يخاطبه ، ولكن كذلك في المرة الثانية لم يجب .

هكذا كما ترون ، فإن قول فرعون لوزيره صاعقة أيما صاعقة ، ولهذا استحق أن نستطرد فيه بالأمثلة والحوادث .

وقد بلغ من حقارة بعض صبيانهم المتعالمين ، أنه سألني فقال لي : أعطني دليلاً على أن الله في السماء بذاته بهذا اللفظ ، فقلت : سبحان الله !! وهل إذا قلت لك : أبي في البيت ، تقول لي : بذاته أم بغير ذاته ؟ فأصر بجهله على أن آتيه بنفس اللفظ ، فقلت : سؤالك ليس سؤال الفاهمين بل الجاهلين للعربية ، لأن هذا معنى العبارات وملزومها ، فإذا قلت لك : الملائكة تعرج إلى السماء ، فهل تحترم نفسك إن سألتني بعدها : هل تصعد الملائكة إلى السماء ؟ فإن لفظة (تعرج) معناها (تصعد) : فوجود الأولى يعني وجود الثانية وإن لم

ترد لفظاً ، ثم هـل يجرؤ متقـول على أن يقـول : (الله خالق بـذاته ؟) فهذه الزيادة ركيكة ، ولهذا كان الإمام الذهبي يستشنعها لأنها مُتَضَمَّنَة غيرُ مطلوبة رسماً ، إذ كيف لا يكون الله تعالى خالقاً بـذاته ؟ ثم هـل من العربية أن تسـأل المتكلم عن أي شيء ، كأن تقـول له : هـل أتى أبوك بذاته ؟ هل أنت هنا بذاتك ؟ هل أمك ولدتك بذاتها ؟ بل هـل يعقل أن يقول قائل : هل الله موجود بذاته ؟!!

فـالمعـاني شقـائق الألفـاظ والعبـارات ، وليس من المعقـول أن تـطالب كل معنى بلفظ تـريده قـد يؤدى بلفظ غيره ، فـإنني لو طلبت منك أن تفعل ذلك لماأطقته ، بل لو سألك ملحد فقال لك : أعـطني دليلاً على أن الله موجود بهـذا اللفظ ، من القرآن والسنـة ، فإنـك لن تجد عبارة ، لا في الكتاب ولا في السنة ، تقـول : (الله موجـود) فهل عنـد ذلك ستسلم للملحـد ؟ إنك لـو فعلتها ، لا ريب أنـك مجنـون معتوه ، لأن قوله سبحانه ﴿قُلْ﴾ في القرآن تكفي . .

وأنا عندما أتيت ذلك المتنطع بقول فـرعون ، دليـلاً على وجـود الله بـذاته في السـماء ، راح يماري ويكـابر ، ولا يُـظنُّ بمثـل هؤلاء إلا الإعراض عن ذكر الله تعـالى ، ويا ليتهم يـأتونـك بعلم عندهم ، من كتـاب أو سنة ، أو حتى لغـة : بل هم يخـالفـون في ذلـك ، الكتـاب والسنـــة ، ويكـابــرون حتى يمقتــوا الله تعـــالى ، ومن يخـــاطبهم من المؤمنين ، وسبحان الله كيف جاءت آية تـدل عليهم ، وأين جاءت !! إنها سبقت قول فرعون ، وجاء بعدها قوله مبـاشرة ، وكـأن الله تعالى يشير مسبقاً ، ويتوعد هؤلاء الذين سيجادلون في هذه الآيـات الآتية ، فقد قال سبحانه .

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىْ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاْ هَامَانُ ابْنِ لِيْ صَرْحاً لَعَلِّيْ أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىْ إِلَهِ مُوْسَىْ وإِنِّيْ لَأَظُنُّهُ كَاْذِباً . . ﴾ (١)

وعلى كلٍّ فإن الله تعالى يقول :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىْ الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ فِيْ آيَاتِ اللهِ أَنَّىْ يُصْرَفُوْنَ * الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِالْكِتَاْبِ وَبِمَاْ أَرْسَلْنَاْ بِهِ رُسُلَنَاْ فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَ * إِذِ الأَغْلَالُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُوْنَ * فِيْ الْحَمِيْمِ ثُمَّ فِيْ النَّاْرِ يُسْجَرُوْنَ﴾ (٢) .

وهناك طائفة جليلة من العلماء استشهدوا بهذه الآية على منكري علو الله تعالى ، وقد هدانا كما هداهم الله إلى الحق في تفسير هذه الآية ، وأما أنتم فلا تقبلون إلا بقول سيدكم الشيخ ، والفرق بيننا وبينكم ، هو أننا عندما نقول في صلاتنا : ﴿إِهْدِنَاْ الْصِّرَاْطَ الْمُسْتَقِيْمَ﴾ (٣) نقصد صراط الله ، ولا ندري لعلكم تقصدون صراط شيخكم ، الذي ألَّفه لكم ، فعكفتم عليه ، فنصحكم بأن تطلبوا من الله صراطه ، وأن تحرقوا كتاب شيخكم : «الصراط المستقيم» لأنه وخيم لا مستقيم .

انظروا معنا إلى أقوال أهل العلم يا أهل الجهل :

---

(١) سورة غافر الآية (٣٥ ـ ٣٧) .

(٢) سورة غافر الآية (٦٩ ـ ٧٢) .

(٣) سورة الفاتحة الآية (٥) .

(الإمام عثمانُ بْنُ سَعِيْدٍ الدَّارِميّ) (*)

قال رحمه الله تعالى :

ففي هذه الآية بيان بيِّن، ودلالة ظاهرة ، أن موسى كان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه فوق السماء ، فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ، ورام الإطلاع إليه) (1) .

وقال رحمه الله :

(إن الأمة كلها ، والأمم السالفة قبلها ، لم يكونوا يشكون في معرفة الله تعالى أنه فوق السماء ، بائن من خلقه ، غير هذه العصابة الزائغة عن الحق ، المخالفة للكتاب وأثارات العلم كلها ، حتى لقد عرف ذلك كثير من كفار الأمم وفراعنتهم ، قال فرعون ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِيْ صَرْحاً . .﴾ (2) .

(*) هو عثمان بن سعيد بن خالد ، أبو سعيد الدارمي السجستاني ، ولد قبل المائتين بقليل وقيل سنة المائتين ، كان واسع الرحلة تتلمذ على يد أحمد وابن راهويه وابن معين ، كان إماماً في الحديث والفقه ثقة حجةً ثبتاً له تصانيف منها « الرد على الجهمية » و « النقض على بشر المريسي » .

قال الذهبي : الحافظ الإمام الحجة ، كان لهجاً بالسنة ، بصيراً بالمناظرة .

توفي سنة ٢٨٠هـ . انظر السير (٢/٦٢١ ـ ٦٢٢) وطبقات الشافعية للسبكي (٢/٣٠٢ ـ ٣٠٦) والبداية (١١/١٩) والشذرات لابن العماد (٢/١٧٦) .

(1) « الرد على الجهمية » للدارمي (ص/٢١) الطبعة الرابعة ـ المكتب الإسلامي .

(2) نفس المصدر .

(الحارِثُ بْنُ أَسَدِ المُحَاسِبِيّ) (*)

قال عليه رحمة الله :

(وقال فرعون ﴿يَاْ هَاْمَاْنُ ابْنِ لِيْ صَرْحاً﴾ الآيـة . . ثم استأنف وقال :

﴿وَإِنِّيْ لأَظُنُّـهُ كَاْذِبـاً﴾ يعني فيما قـال أن إلهه فـوق السمـوات ، فبيَّنَ الله عز وجل أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال لـه ، وعمد إلى طلبه حيث قال له مع الظن بموسى أنه كاذب) (١) .

(*) هو أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل الزاهد المشهور . ولد سنة ١٧٠هـ ، كان صوفياً وكان واعظاً مؤثراً . له كتب في الزهد والأصول ، توفي سنة ٢٤٣هـ.

انظر وفيات الأعيان (٢/٥٧ ـ ٥٨) حلية الأولياء (١٠/٧٣ ـ ١٠٩) تاريخ بغداد (٨/٢١١) الميزان (١/٤٣٠) التهذيب (٢/١٣٤ ـ ١٣٦) .

(١) « اجتماع الجيوش الإسلامية » لابن القيم (ص/١٣٧) الطبعة الأولى ـ دار الكتاب العربي .

(الإمام أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيّ) (*)

قال رضي الله تعالى عنه :

(وقال ـ الله ـ حكاية عن فرعون : ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِيْ صَرْحاً لَعَلِّيْ أَبْلُغُ الأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّموَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىْ إِلَهِ مُوْسَىْ وَإِنِّيْ لَأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾

كذب موسى عليه السلام في قوله : إن الله عز وجل فوق السموات) (١) .

(*) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن من نسل أبي موسى الأشعري ولد سنة ٢٦٠هـ وإليه ينسب مذهب الأشاعرة ، كان أول الأمر معتزلياً ، ثم بعد ذلك أخذ يعيد النظر في معتقدات المعتزلة ، وفي أواخر حياته أخذ بمنهج السلف المتمثل في منهج أحمد بن حنبل ، ودليل ذلك كتابه « الابانة عن أصول الديانة » و « إمامة الصديق » و « مقالات الإسلاميين » وبالرغم من ذلك إلا أن اعتقاده الأول لا يزال مبتدعاً . توفي سنة ٣٢٤هـ .

انظر الملل (١/١٣٨ ـ ١٥٨) طبقات الشافعية (٣/٣٤٧) البداية (١١/٢١٠) تبين كذب المفتري (ص/١٢٨ ـ ١٤٦) .

(١) « الإبانة عن أصول الديانة » للأشعري (ص/٦٩) الطبعة الأولى ـ دار الكتاب العربي .

(الإمام أَبُو مُحَمَّدٍ الجُوَيْنِيّ والدُ إمامِ الحَرَمَيْنْ) (*)

قال رحمه الله وغفر له :

(وقال الله عن فرعون : ﴿... وَإِنِّيْ لَأَظُنُّهُ كَـاْذِباً﴾ وهـذا يدل على أن موسى أخبره بأن ربـه تعالى فـوق السماء ، ولهـذا قال : ﴿وَإِنِّيْ لَأَظُنُّهُ كَاْذِباً﴾) (١) .

(*) هو أبو محمد الجويني والد إمام الحزمين أوحد زمانه علماً وزهداً وتقشفاً ، له معـرفة بـالفقه والأصول والنحو والتفسير والأدب توفي سنة ٤٣٧هـ.

(١) « إثبات الإستواء والفـوقية » للجـويني من مجموعـة « الرسـائل المنيـرية » (م ١ ج ١ ص ١٧٧) ـ دار إحياء التراث العربي .

شيخ المفسرين

(الإِمامُ الطَّبَرِيّ)(*)

قـال عليه من الله واسـع الـرحمـة ، في تفسير هـذه الآيـة ﴿يَاْهَاْمَاْنُ . . . ﴾ :

(يقول : وإني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويـدعي ، أن له ربـاً في السماء ، أرسله إلينا) (١) .

وقال رحمه الله في موضع آخر :

(وقوله ـ أي فـرعون ـ : ﴿لَعَـلِّيْ أَطَّلِعُ إِلَىْ إِلَهِ مُـوسَىْ﴾ يقول : أنظر إلى معبود موسى الذي يعبده ويدعو إلى عبادتـه ، ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّهُ﴾ فيـما يقول من أن لـه معبوداً يعبـده في السماء ، وأنـه هو الـذي يؤيـده وينصره ، وهو الذي أرسله إلينا من الكاذبين) (٢) .

(*) هو أبو جعفر محمد بن جديد بن يزيد الطبري ولد سنة ٢٤٤هـ من آمل بطبرستان، كـان إمـاماً في فنـون كثيرة منهـا التفسير والحـديث والفقه والتـاريخ وغـير ذلك وكـان ثقة في نقله ، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها . وكان من الأئمة المجتهدين ، له مصنفات منها التفسـير الكبير المعروف ، والتاريخ الشهير. توفي ببغداد سنة ٣١٠ هـ .

أنظر وفيات الأعيان (١٩١/٤ ـ ١٩٢) الشذرات (٢٦٠/٢) .

(١) انظر « جامع البيان » تفسير سورة غافر (م ١١ ج ٢٤ ص ٤٣) .

(٢) « جامع البيان » تفسير سورة القصص (م ١٠ ج ٢٠ ص ٤٩) .

(إمامُ الأئمةِ ابنُ خُزَيْمَةَ) (*)

قال رضوان الله تعالى عليه :

(فاسمعوا يا ذوي الحجا دليلاً آخر من كتاب الله ، أن الله جل وعلا في السماء مع الدليل علي أن فرعون ، مع كفره . . وطغيانه ، قد أعلمه موسى عليه السلام بذلك ، وكأنه قد علم أن خالق البشر في السماء ، ألا تسمع قول الله يحكي عن فرعون قوله ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً . . .﴾ ففرعون عليه لعنة الله يأمر ببناء صرح ، فحسب أنه يطلع إلى إله موسى ، وفي قوله ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّهُ من الكاذبين﴾ دلالة على أن موسى قد كان أعلمه أن ربه جل وعلا أعلى وفوق)[1] .

(*) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي إمام نيسابور في عصره ، كان فقيهاً مجتهداً عالماً بالحديث ولد سنة ٢٢٣هـ بنيسابور ، ورحل إلى العراق والشام ومصر ورجع إلى نيسابور وبها توفي سنة ٣١١هـ، لقبه السبكي إمام الأئمة له مصنفات تزيد على ١٤٠ مصنفاً منها : (التوحيد) و (إثبات صفة الرب)، و (صحيح ابن خزيمة).

أنظر الطبقات للسبكي (٢/ ١٣٠) .

(١) « التوحيد » لابن خزيمة (ص/١١٤) دار الكتب العلمية .

(الإمامُ أَبُو القَاسم التَّيْمِيّ) (*)
إمامُ الشافعيةِ في وقته

قال رحمة الله عليه :

(وأخبر تعالى عن فرعون أنـه قال ﴿يَـاْ هَاْمَـاْنُ ابْنِ لِيْ صَرْحَـاً﴾ الآية : فكأن فـرعون قـد فهم من موسى عليـه الصلاة والسـلام ، أنه يثبت إلهاً فوق السماء ، حتى رام بصرحه أن يطلع إليـه ، واتهم موسى عليـه الصلاة والسـلام بالكـذب في ذلـك ، والجهميـة لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته ، فهم أعجز فهماً من فرعون بل وأضل) (١) .

(*) هو الإمام الحـافظ أبو القـاسم إسماعيـل بن محمد بن الفضـل التيمي الطلحي الأصبهـاني سمع الكثير ، ورحل وكتب وأملـى بأصبهـان قـريباً من ثـلاثة الآف مجلس ، وكـان إمامـاً في الحديث والفقه والتفسير واللغة حافظاً متقنـاً وله مصنفـات كثيرة منهـا : (الترغيب والترهيب)، (والحجة في بيان المحجة). ولد رحمه الله سنة ٤٥٧ وقيل سنة ٤٥٩هـ وتـوفي ليلة عيد الأضحى سنة ٥٣٥هـ .

انظر البداية (٢١٧/١٢) ، الكامل لابن الأثير (٣٦٩/٨) ، الشذرات (١٠٥/٤) .

(١) « اجتماع الجيوش » لابن القيم (ص ١٠٨) .

(الإمامُ أَبُو القَاسِمِ عبدُاللهِ بْنُ خَلَف) (*)

المقري الأندلسي

قال رحمه الله تعالى :

(وقوله تعالى ﴿وَقَالَ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً﴾ الآية : فـدلَّ على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول : إلهي في السماء ، وفرعـون يظنه كاذباً) (١) .

(*) هو أبو بكـر محمد بن مـوهب التجيبي الحصّار المعـروف بالقـبري قرطبي مشهـور كان من العلماء الـزهاد الفضـلاء رحل إلى المشرق وسمـع من رجالـه ، وصحب أبا محمـد بن أبي زيد رحمهما الله تعالى ـ توفي سنة ٤٠٦هـ بقرطبة.

أنظر ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/ ٤ ص/ ٦٧٤ ـ ٦٧٦) .

(١) نفس المصدر (ص/ ٩٠) .

(الإِمامُ سَعْدُ بْنُ عَلِيٍّ الزَّنْجَانِيّ) (*)

إمام الشافعية في وقته

قال رحمه الله في شرح قصيدة له مشهورة مطلعها :

تمسَّكْ بحبلِ اللهِ واتَّبعِ الأثرْ   ودعْ عنك رأياً لا يلائمه خَبَرْ

فقد قال أثناء شرحه لها :

(وأخبر ـ الله ـ عن فرعون أنه قال ﴿يَاْ هَاْمَاْنَ ابْنِ لِيْ صَرْحاً لَعَلِّيْ أَبْلُغُ الأَسْبَاْبَ أَسْبَاْبَ ٱلسَّمَوَاْتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىْ إِلَهِ مُوْسَىْ وَإِنِّيْ لأَظُنُّهُ كَاْذِباً﴾ .

وكان فرعون قد فهم عن موسى أنه يثبت إلهاً فوق السماء ، حتى رام بصرحه أن يطلع إليه ، واتهم موسى بالكذب في ذلك ، ومخالفنا ليس يعلم أن الله فوقه بوجود ذاته ، فهو أعجز فهماً من فرعون) [1] .

(*) هو أبو القاسم سعد بن محمد بن الحسين الزنجاني ، رحل إلى الآفاق وسمع الكثير ، وكان إماماً حافظاً متعبداً ، ثم انقطع في آخر عمره بمكة ، وكان له منزلة كبيرة في الحرم . كما كان من دعاة السنة وأعداء البدعة ولد سنة ٣٨١هـ وتوفي سنة ٤٧١هـ .

انظر البداية (١٢/١٢٠) العلو للذهبي (ص/٢٧٧ ـ ٢٧٨) السير (١٨/٣٨٥ ـ ٣٨٩ .

(١) نفس المصدر (ص/١١٩) .

(شَيْخُ الإِسْلَامِ ٱبْنُ تَيْمِيَّةَ) (*)

قال عليه فائض الرحمة :

(وكذلك قول فرعون ﴿يَا هَامَانُ ٱبْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّيْ أَبْلُغُ ٱلأَسْبَابَ أَسْبَابَ ٱلسَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىْ إِلَهِ مُوْسَىَ وَإِنِّيْ لأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾ .

هذا أبلغ في كون موسى صرح له بأن إلهه فوق السموات ، حتى قصد تكذيبه بالفعل ، من الإخبار عن ذلك بلفظ موسى) [1] .

(*) هو العالم العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ولد في حران في العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١هـ ، وقد كان رحمه الله عالماً كبيراً منيراً ومجاهداً شهيراً جاهد في الله بعقله وفكره وعلمه وجسمه وكان قوي الحجة لا يصمد أحد لمحاجته ولا تأخذه في الله لومة لائم إذا بان له الحق أن يقول به . ومن ثم حصلت له محن من ذوي السلطان والجاه فحبس مراراً وتوفي محبوساً في قلعة دمشق في ٢٠ من شوال سنة ٧٢٨هـ .

(١) نقض تأسيس الجهمية (ص/٤٦١) ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة الحكومة ـ مكة المكرمة وهو كتاب نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله تعالى .

(شَيْخُ الإِسْلَامِ) (*)

ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ

قال رحمه الله في نونيته المشهورة :

(هَـذَا وَسَـابِعُ عَشْرِهَـا أَخْبَـارُهُ سُبْحَـانَـهُ في مُحكمِ القُـرآنِ
عَنْ عبدِهِ موسى الكليمِ وَحَـرْبِهِ فِرعونَ ذي التكذيبِ والطغيانِ
تكـذيبُهُ مـوسى الكليمَ بقـولـهِ : اللهُ ربِّي في السـماءِ نَـبَّـاني
وَمِنَ المصـائبِ قـولُهُمْ أنَّ اعتقـا دَ الفوقِ مِنْ فرعونَ ذي الكُفْرانِ
فـإذا اعتقـدتُمْ ذا فـأشيـاعٌ لَـهُ أنتُمْ وذا مِنْ أعـظمِ البُـهتـانِ
فاسمعْ إذاً مَنْ ذا الذي أولى بفر عـونَ المعطلِ جـاحدِ الـرحمنِ ؟
وانظرْ إلى ما جاءَ في القِصَصِ التي تحكي مقـالَ إمـامِهِـمْ بِبَيَـانِ
والله قـد جعـل الضـلالـة قـدوة بـأئمـة تـدعـو إلى النيـرانِ
فـإمـامُ كـلِّ مُعـطِّلٍ في نفسِـهِ فـرعونُ مَـعْ نمـرودَ مَـعْ هـامـانِ
طَلَبَ الصعـودَ إلى السماءِ مُكـذِّباً مـوسى ورامَ الصرحَ بـالبُنيـانِ

(*) هـو أبو عبـد الله محمـد بن أبي بكـر بن أيـوب الـزرعي الـدمشقي المشهـور بـ « ابن قيم الجوزية » ولـد سنة (٦٩١هـ) في بيت علم وفضـل ، لازم شيخ الإسـلام ملازمـة تامـة منذ عودته من مصر سنـة (٧١٢هـ) إلى وفاتـه سنة (٧٢٨هـ) فنهـل من فيض علمه الـواسع ، وهـو الذي هـذب كتبه ، ونشر علمـه ، صنف تصـانيف كثـيرة بلغت نيفاً وستـين كتـاباً في مختلف العلوم منها « اجتماع الجيوش » و « الصواعق المرسلة » و « إعلام الموقعين » ، توفي سنة (٧٥١هـ) .

بل قالَ : مُوسى كاذبٌ في زعمِهِ	فوقَ السماءِ الربُّ ذو السلطانِ
فابنوا ليَ الصرحَ الرفيعَ لعلني	أرقى إليه بحيلةِ الإنسانِ
وأظنُّ موسى كاذباً في قولِهِ :	اللهُ فوقَ العرشِ ذو السلطانِ
وكذاكَ كَذَّبَهُ بأَنَّ إلهَهُ	ناداهُ بالتكليمِ دُونَ عَيَانِ
هُو أنكرَ التكليمَ والفوقيةَ الـ	ـعُليا كقولِ الجهميِّ ذِي صَفْوانِ
فمنِ الذي أولى بفرعون إذاً	مِنَّا ومنكمْ بعدَ ذا التِّبيانِ[1]

* * *

قال الدكتور محمد خليل حراس شارح هذه القصيدة :

(ومن المصائب أن الجهمية يعكسون المسألة ، ويجعلون اعتقاد الفوق من رأي فرعون ذي الكفران ، لم يسمعه من موسى ، وأن كل من اعتقد الفوق فهو من شيعة فرعون وحزبه ، وهذا من أعظم الكذب والبهتان ، وذلك يظهر بأدنى تأمل في القصص التي حكى الله فيها مقالة إمام المعطلة فرعون) [2] .

---

(١) شرح القصيدة النونية المسماة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» شرح وتحقيق الدكتور محمد خليل هراس (١/٢٤٧ ـ ٢٤٨) الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية .

(٢) نفس المصدر السابق (١/٢٤٨).

(الإمام ابن أبي العز الحنفي) (*)

قال رحمه الله تعالى عليه :

(. . إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى ، فيكذبه فيما أخبره ، من أنه سبحانه فوق السموات ، فقال : ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾ فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني ، ومن أثبته فهو موسوي محمدي) (١) .

فهذه نبذة من العلماء ، وهم قليل من كثير ، وأنت كما تراهم فقد استدلوا جميعاً على علو الله تعالى بهذه الآية ، وهم من فحول العلم .

فبربكم قولوا لنا : أبقول الله الواضح الذي جعله الله بيناً ،

(*) هو أبو الحسن علي بن علاء الدين الأذرعي الأصل ، الدمشقي الصالحي الحنفي . ولد سنة ٧٣١هـ نشأ في ظل أسرة علمية فكان يتقلب في أعطاف العلم تعلماً ومدارسةً حتى بلغ منزلة عظيمة في العلم والمعرفة ، أتاحت له التدريس والخطابة والتأليف ، وتولى المناصب العلمية التي لا ينالها إلا من كملت معرفته ، وعظمت منزلته ، وارتضى بالمعرفة عقله . من مؤلفاته « الاتباع » و « التنبيه على مشكلات الهداية » توفي سنة ٧٩٢هـ .

انظر « أنباء الغمر بأنباء العمر » لابن حجر ، (٢/٩٥ - ٩٨) (٣/٥٠) حسن المحاضرة للسيوطي ، الشذرات (٦/٣٢٦) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص / ٢٨٧) الطبعة الثامنة المكتب الإسلامي .

وفهمه الجهابذة على حقيقته فضلاً عن العامة ، أبه نأخذ أم بقول لا يوافق منقولاً ولا معقولاً ؟!!

وللأسف فإن فرعون كذب موسى ، ثم ظهر تصديقه له بفعله ، حيث بنى الصرح ، ورام الإطلاع ، ولكن أراد أن يقتل هذا الإله الذي يعكر عليه سياسة مملكته القاضية بأن لا إله غير فرعون .

وهذه هي حال الفراعنة قديماً ، فإنهم يجابهون الآلهة الأخرى حتى يستقيم الأمر لهم ، ودافعهم إلى ذلك أن العبيد إذا صدقوا بإله فلا بد لهم إلا وأن يعبدوه ، ويخلصوا له هذه العبادة .

بخلاف فراعنة هذا الزمان ، فإنهم يعترفون بألوهية الله القاضية بعدم استحقاق غيره للخضوع والإنقياد ، ولكنهم في حيز التطبيق يخالفون فينصبون أنفسهم آلهة على الأرض ، ثم يجدون أنهم ليسوا بحاجة إلى ارتقاء السماء ، لأنهم يُعبِّدون الناس بالقهر والجبرية من جهة ، ويقنعونهم بأنهم تركوا لهم حق الديانة من جهة أخرى ، فما لقيصر لقيصر وما لله لله .

وليس فرعون موسى أول إله يعادي الخالق سبحانه ، ويعمد إلى محاربته ، بل سبقه إلى ذلك نمروذ ، فرعون إبراهيم ، فهذا نفسه صعد إلى السماء ليقتل إله إبراهيم ، ولكنه اتخذ وسيلة أخرى ، تتمثل بالتابوت والنسور .

قال الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي :

(وكذلك نمرود ، فرعون إبراهيم ، اتخذ التابوت والنسور ، ورام الإطلاع إلى الله ، لما كان يدعوه إبراهيم إلى أن معرفته في

السماء)[1] .

وقد حكى أبو إسحق الثعلبي عن علي رضي الله عنه أنه قال :

(إن نمرود الجبار قال : إن كان ما يقوله إبراهيم حقاً فلا أنتهي حتى أعلم ما في السماء ، فأعد النسور ، وقعد في التابوت ، وجعل معه رجلاً آخر ، وجعل له باباً من فوق وباباً من أسفل ، فلما طارت النسور طمعاً في اللحم ، وأبعدت في الهواء ، قال نمرود لصاحبه : افتح الباب الأسفل وانظر إلى الأرض ، ففتح وقال : أراها مثل اللجة ، والجبال مثل الدخان)[2] .

ثم قال :

(وقال عكرمة : وكان معه في التابوت غلام معه قوس ونشاب ، فرمى سهماً فعاد إليه السهم ملطخاً بالدم ، فقال : كفيت شغل إله السماءء)[2] .

ثم قال :

(واختلفوا في ذلك السهم ، من أي شيء تلطخ ، فقال عكرمة : من سمكة السمك قربت نفسها لله تعالى من بحر في الهواء معلق .

وقال بعضهم : من دم طائر أصابه السهم)[2] .

---

(١) « الرد على الجهمية » للدارمي (ص ٢١) .

(٢) كتاب « العرائس » (ص ٩٦) .

وهـذا الكلام لا مستنـد له عنـدنا ، وهـو هل الـدم كان بسبب طائر أو سمكة ؟ فالذي يهمنا اتخاذ نمرود للنسور والتابـوت ، وقد علق سبط ابن الجوزي رحمه الله على كلام الثعلبي فقال :

(قلت : وقول الثعلبي : إن السمكة قـربت نفسها لله تعـالى ، كـلام ساقط ، وأين سبـع سموات والعـرش والكـرسي وسبعـون ألف حجاب حتى يصل إليها سهم نمرود ؟)[1] فانظر معي إلى هذا التعليق الـرائع ، وهـو أن الله تعالى فـوق سبع سمـوات وفوق الكـرسي وفوق العـرش ، وهناك سبعـون ألف حجاب ، فـأي سهم هذا سيصـل إلى الله تعالى ؟!!

وهذه الجبابرة كانت تتحدى وتستهزيء برسل الله تعالى ، ولكن الله تبـارك وتعالى قـال : ﴿فَحَاقَ بِـٱلَّذِيْنَ سَخِـرُوْا مِنْهُمْ مَاْ كَـاْنُوْا بِـهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[2] .

قال محمد بن إسحق إمام المغازي رحمه الله (*) :

(بعث الله ملكـاً من المـلائكـة إلى بختنصر (**) ، قـال : هـل

---

(1) « مرآة الزمان » سبط ابن الجوزي (ص ٣٠٨) .

(2) سورة الأنعام (الآية/١٠) .

(*) هـو محمد بن إسحـاق بن يسـار المـطلبي بـالـولاء من أقـدم مؤرخي العـرب ، من أهـل المدينة ، له السيرة النبوية هذبها ابن هشام توفي سنة ١٥١هـ .

انظر الأعلام (٢٨/٦).

(**) هو نبو شاد ولي عرش بابل من عام ٦٠٥ إلى سنة ٥٦٢ قبـل الميلاد ، وقـد نشبت بينه =

تعلم يا عدو الله كم بين السماء والأرض ؟ قال : لا قال : بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة سنة ، وغلظها مثل ذلك ـ وذكر الحديث ـ إلى أن ذكر حملة العرش ، قال : وفوقهم العرش ، عليه ملك الملوك تبارك وتعالى . أي عدو الله فأنت تطلع إلى ذلك ، ثم بعث الله عليه البعوضة فقتلته . .) [1] .

فسبحان الله تعالى الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، فهو العلي العظيم ، لا أدري ! كيف لا يخاف منكرو علوه من غضبته وقد أهلك فراعنة الزمان ؟!!

أبعد هذا البيان الكافي والشافي يمكنكم الجحود ؟! لقد بطل قولكم واعتذاركم الرخيص بأن العلو هو علو القدر والقهر ، ذلك لأن فرعون يرتقي إلى السماء المعهودة ، ويبني الصرح لهذه المهمة ، فلا علاقة للمكانة بالأمر ، إلا أنها تبع لعلو الذات وقسم منه . فمن قال : في السماء يعني سمواً بالرتبة ، قلنا له : إخرس واخسأ ، مالك أن تقول ما ليس لك به علم ، أنت من أهل الضلالة والجهالة .

= وبين فرعون مصر (أمازيس) عدة حروب وهو الذي فتح بيت المقدس وقتّل في اليهود وأسر .

انظر الكامل لابن الأثير (١/١٤٧ ـ ١٥٤) دائرة المعارف الإسلامية (٦/٣٧٧) .

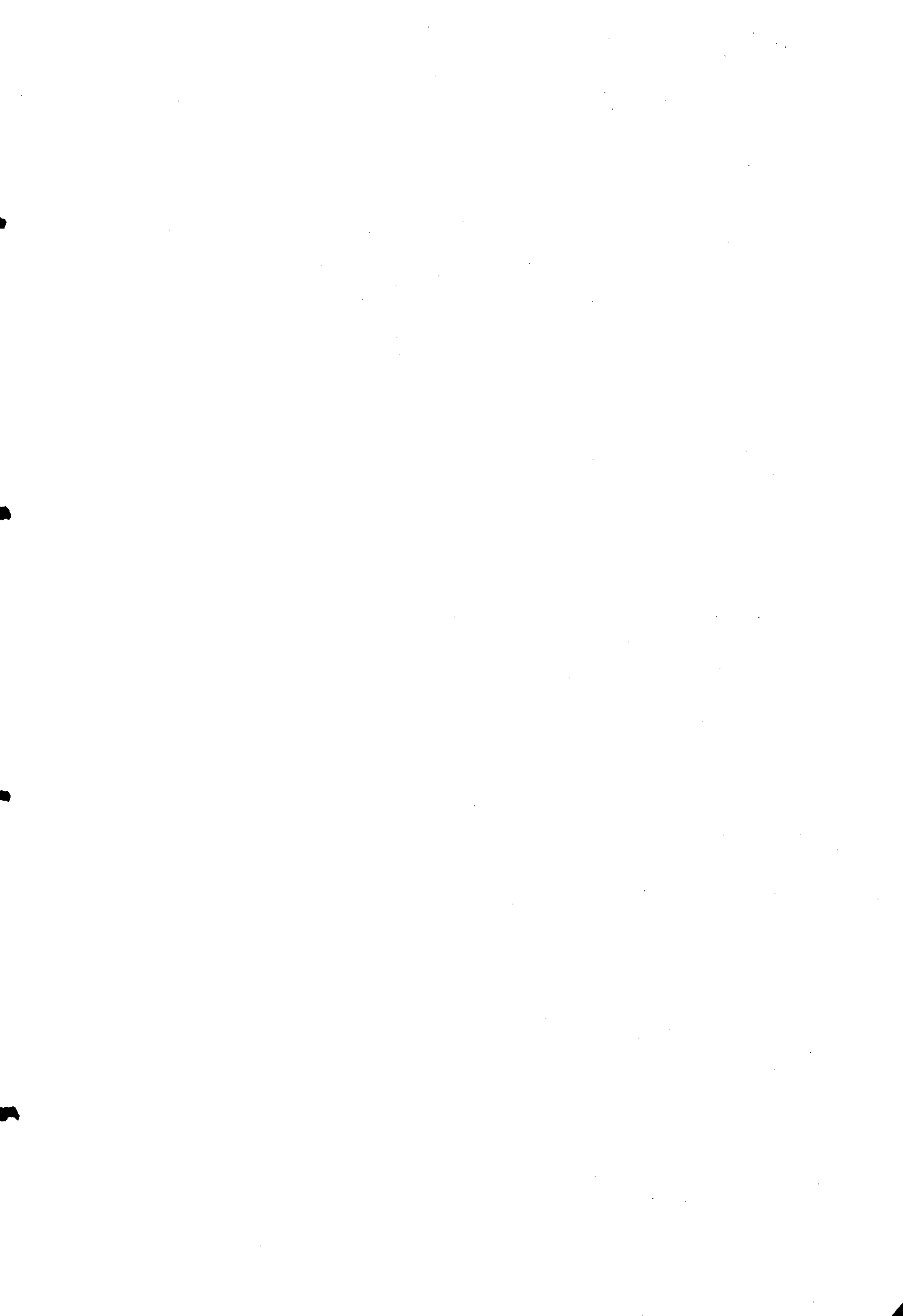
(١) أورده ابن القيم في « جيوشه » (ص ١٦٥) وقال : [رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة بإسناد جيد إلى ابن إسحاق] وقال رحمه الله كما في « مختصر الصواعق » (ص ٣٥٩) : [قال الإمام محمد بن يسار : بعث الله ملكاً من الملائكة إلى نمرود . .] هكذا فبعض العلماء يقول : بختنصر هو نمرود ، وبعضهم يفرق بينهما كما ترى في تفسير ابن كثير وغيره والله أعلم بحقيقة الأمر.

فالحق قد ظهر وبان ، ومن كانت حاله الإنكار فإن الفراعنة أعلم بالله منه وإن كانوا مستكبرين متعالين .

وهكذا فقد كان لنا وقفة عند قـول فرعـون ، من أجل وضـوح الدلالة التي فيه ، بحيث لا تترك مجـالاً للمزاعم أو الإعتـذارات وهذا ما دفعنا إلى تسمية رسالتنا بهذا الإسم .

وأما الآن فسيكون لنا أدلة أخـرى من الكتاب والسنـة ، وردود على شبهات لهم في فهم آيـات وأحاديث كثيـرة ، فلن يجدي إنكـار أو اعتذار .

أدلة علوم الله تبارك وتعالى
من
القرآن الكريم



ونبدأ بآيات القرآن الكريم :

قال الله تعالى :

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (١) (*)

هذا دليل ساطع على أن الله عز وجل فوق مخلوقاته ، وقد أمرنا الرسول ﷺ أن نقول في سجودنا «سبحان ربي الأعلى» ، فنكون

---

(١) سورة الأعلى (الآية/١) .

(*) وممن استشهد بهذه الآية على إثبات صفة العلو لله تعالى الإمام ابن خزيمة حيث يقول : وقال ـ جل وعلا : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ فالأعلى : مفهوم في اللغة : أنه أعلى كل شيء ، وفوق كل شيء ، والله قد وصف نفسه في غير موضع من تنزيله ووحيه ، وأعلمنا أنه العلي العظيم .

أفليس العلي ـ يا ذوي الحجا ـ ما يكون عليا ، لا كما تزعم المعطلة الجهمية : أنه أعلى وأسفل ، ووسط ، ومع كل شيء وفي كل موضع من أرض سماء وفي أجواف جميع الحيوان .

ولو تدبروا آية من كتاب الله (ووفقهم الله) لفهمها : لعقلوا أنهم جهال ، لا يفهمون ما يقولون . وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ مقالتهم .

وقال تعالى ـ لما سأله كليمه موسى عليه السلام أن يريه ينظر إليه ﴿ **قال لن تراني ، ولكن انظر إلى الجبل** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا**﴾ (الأعراف / ١٠).

أفليس العلم محيطاً ـ يا ذوي الألباب ـ أن الله عز وجل ـ لو كان في كل موضع ، ومع كل بشر وخلق ـ كما زعمت المعطلة ، لكان متجلياً لكل شيء ، وكذلك جميع ما في الأرض ، لو كان متجلياً لجميع أرضه سهلها ووعرها وجبالها ، وبراريها ومفاوزها ، ومدنها وقراها ، وعمرانها وخرابها ، وجميع ما فيها من نبات وبناء (لجعلها دكا) كما جعل الله الجبل الذي تجلى له دكا ، قال الله تعالى : ﴿**فلما تجلى للجبل جعله دكا**﴾ التوحيد (١/٢٥٧ ـ ٢٥٨). =

خاضعين بالقلب والأركان ، ومعترفين بعلو الرحمن باللسان ، فعندما نسجد في صلاتنا يكون سجودنا اعترافاً بالإفتقار والضعف ، وهو كناية عن السفول ، لأن أعظم ما في الإنسان جبهته وأنفه ، فإذا ألصقهما بالأرض أصبح أعلى شيء فيه وأكرمه موضوعاً على الأرض التي هي أسفل منه ، فالسجود صورة عملية تترجم سفولنا وضعفنا ، فهو أروع صفة من العبادة ، لأنها تظهر احتياج العبيد في الأسفل إلى المعبود في الأعلى ، وهو حدٌّ لهاتين الحقيقتين ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» (١) .

فالسجود عندما كان الغاية في التذلل والخضوع ، وصفته تتضمن الإعتراف بالسفول ، شرع لنا أن نقول أثناء ذلك : (سبحان ربي الأعلى) ، وهو الإعتراف باللسان بعلو الله تعالى مقابل الإعتراف بالسجود بسفول المخلوقات .

= يقول ابن القيم في نونيته (٢/٢١٣ ـ ٢١٤) :

هذا ومن توحيدهم إثبات أو ... صاف الكمالِ لربِّنا الرحْمن
كعلوِّه سبحانه فوق السَّمـ ... وات العُلى بل فوق كلّ مكان
فهو العليُّ بذاته سبحانه ... إذ يستحيلُ خلاف ذَا بيانِ
وهو الذي حقاً على العرشِ استوى ... قد قام بالتدبير للأكوانِ

وقال أيضاً :

وهو العليُّ فكل أنواع العلـ ... ـو له فثابتة له بلا نكران

(١) رواه أحمد (٢/٤٢١) ومسلم (٤٨٢) وأبو داود (٨٧٥) والنسائي (٢/٢٢٦) والبيهقي (٢/١١٠) وأبو عوانة (٢/١٨٠) وسيأتي في موقع آخر .

(شبهة) :

لقد احتج علينا بعض الجهلاء ، فقال : إن لفظ «الأعلى» لا يراد به العلو الحسي ، وإنما هو عظمة ، واستشهد بقول الله تعالى عن لسان فرعون عندما حشر الناس أنه قال لهم : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ وهو على الأرض ليس في السماء ، قلت : هذا جهل عظيم ، لأن هذا القائل أتى بما هو عليه لا له ، إذ قول فرعون دليلٌ على ما نقول ، من أن العلو الحسي قسم من العظمة والمرتبة ، ولا يخفي علينا ما كان من شأن موسى مع الطاغوت عندما أخبره بأن ربه في السماء ، مما دعا فرعون إلى الزعم بأنه هو الإله ، ولم يكتف بما زعم بل زاد على ذلك فألصق بنفسه صفات الربوبية ، فعندما قال : (أنا ربكم) لم يقف عند هذا الحد بل قال (الأعلى) حتى يقنعهم بكماله ، ولذا أخذ يصف نفسه بما يوصف به الله أو بما يعهد من صفات الربوبية ، ولكن راح يفهمهم نوعاً من العلو ، وهو علو القهر والغلبة .

وفي كتاب الله ما يدل على ما قلنا ، إذ قال الله عن لسان هذا اللعين : ﴿يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ (١) فمن صفات الله أن يكون له الملك ، فهو الملك سبحانه ، الأمر الذي دفع فرعون إلى أن يذكّر رعيته بأن له ملك مصر ، لعلهم يقتنعون بهذا الملك البسيط .

وكذلك قوله لهم : ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (٢) يستعمل أسلوب التورية ، فينسب إلى نفسه القهر المقرون بالفوقية ، وهذا ورد

---

(١) سورة الزخرف الآية (٥١) .

(٢) سورة الأعراف الآية (١٢٧) .

في حق الله سبحانه كما في قوله : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (١) .

وهكـذا هو فـرعون يحـاول جهده لإقنـاع الـرعيـة بـربـوبيتـه ، مستخدماً أسلوبه الرخيص ، الذي يدأب به لتتحقق فيه صفـات الإله قدر الإمكان ، ولكن عندما لم يخفَ عنـه التباين البـيِّن بينه وبـين الإله الحق ، من حيث أن الله له فوقية الذات وأنـه هو في الأسفـل ، حاول جهده أن يؤول لهم هذه الصفات على مقتضى حاله ، ولما أدرك الحقيقة وهي عدم اقتناعهم بعلو القـدر دون علو الذات ، راح يـدندن حـول شيء من العلو الحسي ، وبقـدر بسيط منه ، لعلهم يكتفـون بـه فقـال لهم :

﴿يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِيْ مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ ٱلأَنْهَارُ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِيْ أَفَـلَا تُبْصِـرُوْنَ﴾ (٢) فدعـاهم إلى أن يبصروا علوه الـذاتي من كـونـه فـوق الأنهار ، والأنهار تجري من تحته ، وقد دعاه إلى هذا ما أشـاعه مـوسى من علو ربه . ومن هذا النوع كان تأويل الطواغيت على مر العصور ، فقـد حصل من نمـروذ شيء شبيه بهـذا الشكل من التـأويل الفـاسد ، ليلصق صفـات الله بنفسه ، وذلـك عندمـا احتج عليـه إبراهيم عليـه السـلام ، فقال لـه : ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِيْ يُحْيِي وَيُمِيْتُ قَـالَ أَنَـا أُحْيِيْ وَأُمِيْتُ قَـالَ إِبْرَاهِيْمُ فَـإِنَّ اللهَ يَأتِيْ بِـٱلشَّمْسِ مِنْ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَـا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِيْ كَفَرَ . . .﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٨) .

(٢) سورة الزخرف الآية (٥١) .

(٣) سورة البقرة الآية (٢٥٨) .

فإبراهيم عليه السلام يعرض صفات ربه على الطاغوت ، ثم يدعيها المحتَج عليه لنفسه مع شيء من التأويل ، حتى تتناسب وذاته المتصرفة بنوع من الأعمال المناسبة لذوات الخلق .

فعندما قال له إبراهيم : ربي يحيي ويميت .

قال له : وأنا كذلك واستدل بقول واهٍ فقال :

(إني أوتى بالرجلين قد استحقا القتل ، فآمر بقتل أحدهما فيقتل ، وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل) [1] .

ولنا رد آخر على ذلك المنكر لعلو الله تعالى ، وعلى جاحد ما ظهر من هذه الآية من فوقية المولى ، فلفظ (الأعلى يتضمن المعنى الكامل ، ففيه أولاً العلو الذاتي الحسي ، وبالتبعية يشمل المعاني الأخرى من الرتبة والمكانة ، فاستعماله قبل كل شيء لأصله ، ومن ثم لفرعه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [2] .

فلا يراد هنا مرتبة الأفق بل علوه الحسي ، فهذا استعمال للأصل .

ومنه قوله تعالى عن الشياطين : ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [3] والملأ الأعلى هنا هم الملائكة ، لأنهم في السماء ، فهذا

---

(١) انظر تفسير « ابن كثير » أو في مختصره (ص ١٠٢) لمحمد كريم راجع ـ الطبعة الأولى ـ دار المعرفة .

(٢) سورة النجم الآية (٧) .

(٣) سورة الصافات الآية (٨) .

ليس للرتبة فقط ، إذ الأصل أنهم فوقنا في السماء ، وهم بجملتهم لمَّا كانوا أكرم [١] من الإنس والجن أسكنهم الله السموات ، فكانوا فوق الثقلين ، بالأصل أي الحقيقة ، وبالفرع أي الرتبة .

يقول الإمام سعد بن علي الزنجاني رحمه الله :

(وقد أجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى ، ونطق بذلك القرآن بقوله تعالى : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ وأن لله علو الغلبة والعلو الأعلى من سائر وجوه العلو ، لأن العلو صفة مدح عند كل عاقل ، فثبت بذلك أن لله علو الذات ، وعلو الصفات ، وعلو القهر والغلبة) [٢] وقال الإمام أبو سعيد الدارمي عليه من الله فائض الرحمة :

(إجماع من الأولين والآخرين ، العالمين منهم والجاهلين ، أن كل واحد ممن مضى وممن غبر ، إذا استغاث بالله تعالى ، أو دعاه ، أو سأله ، يمد يديه وبصره إلى السماء يدعوه منها ، ولم يكونوا يدعونه من أسفل منهم من تحت الأرض ، ولا من أمامهم ، ولا من خلفهم ، ولا عن أيمانهم ، ولا شمائلهم ، إلا من فوق السماء لمعرفتهم بالله أنه فوقهم ، حتى اجتمعت الكلمة من المصلين في سجودهم : سبحان ربي الأعلى . لا ترى أحداً يقول : سبحان ربي الأسفل) [٣] .

---

(١) جمع الملائكة أكرم من جمع البشر ولكن الأنبياء والرسل من البشر أكرم من الملائكة وهذا ما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

(٢) « اجتماع الجيوش » (ص/١١٨) .

(٣) « الرد على الجهمية » للدارمي (ص/١٢١) .

ويقول إمام الأئمة محمد بن إسحق بن خزيمة رحمه الله :

(وقال جل وعلا ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فالأعلى مفهوم في اللغة أنه أعلى كل شيء وفوق كل شيء) [1] .

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله :

(وقوله تعالى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ وهذا من العلو) [2] فهؤلاء العلماء العظام وغيرهم كثير ، فهموا الآية على حقيقتها ، من أنها تتضمن العلو ، غير هذه الحثالة من بقايا الجهمية .

وإني لأوجه تساؤلاً أحبِّذ الجواب عليه ممن عنده جواب ، وهو : إن كان قوله تعالى : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ يعني العظمة ، فلماذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نقول في ركوعنا :

(سبحان ربي العظيم) وفي سجودنا : (سبحان ربي الأعلى) ؟!! [*]

لماذا هذا التفريق إن كان المعنى واحداً ؟!!

ألم يأنِ لذلك الجاهل أن يهتدي إلى الحق المبين ؟ إنا بربنا نستعين .

---

(١) « التوحيد » لابن خزيمة (ص/١١٢) .

(٢) « كتاب التمهيد » لابن عبد البر وانظر « الجيوش » (ص/٧٧) .

(*) يشير المؤلف رحمه الله ـ إلى حديث حذيفة بن اليمان انه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا ركع (سبحان ربي العظيم) ثلاث مرات ، وإذا سجد قال (سبحان ربي الأعلى) ثلاث مرات .

قال الله تعالى :

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (١)

في هذه الآية دلالة بينة على أن الله يعلو خلقه بذاته وعظمته ، فعلوه محقق مؤكد من كل الجوانب ، لأن الآية ذكرت القهر ، وهو دلالة العظمة ، وذكرت الفوقية ، وهي علو الذات .

(شبهة) :

قالوا : هذه الآية لا تدل على الفوقية الذاتية ، وإنما على شدة

= ـ أخرجه ابن أبي شيبة (١/٢٤٨) والطيالسي (٤٣٠ منحة) والدارمي (١/٢٩٩) وأحمد (٥/٣٨٢، ٣٨٤، ٣٩٧، ٣٩٤) والترمذي (٢٦٢) وصححه والنسائي (٢/١٩٠) وأبو عوانة (٢/٨٨ ـ ٨٩) والطبراني في الدعاء (٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١) والطحاوي في «الشرح» (١/٢٣٥) جميعهم عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن المستورد بن الأحنف عن صلة بن زفر عن حذيفة به .

ـ وأخرجه الطحاوي في «الشرح» (١/٢٣٥) والدارقطني كلاهما عن الشعبي عن صلة به .

ـ وأخرجه ابن ماجة (٨٨٨) من طريق ابن لهيعة عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبي الأزهر عن حذيفه به .

ـ وأخرجه عبدالرزاق (٢/١٥٥) الطبراني في «الدعاء» (٥٣٨، ٥٨٨) عن ابن جريج أخبرني عبدالكريم عن سعيد كان أبوه مولى لحذيفة عن حذيفة به . والحديث صححه شيخنا في الإرواء (٣٣٣).

(١) سورة الأنعام (الآية/١٨) .

القهر بحيث أن قهر الله فوق قهر المخلوقات ، ومن ذلك قوله تعالى عن لسان فرعون : ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [1] .

قلت : هذا جاوبنا عنه فيما سبق ، وأوضحنا جوانبه بالنقل والعقل ، وقد خرج لنا منه حجة على من اعترضنا ، ولابن القيم زيادة على ذلك رد علمي موفق ، فقد قال رحمه الله :

(إن هذا المجاز وإن احتمل في قوله ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ فذلك لأنه قد علم أنهم جميعاً مستقرون على الأرض ، فهي فوقية قهر وغلبة ، لم يلزم مثله في قوله ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ إذ قد علم بالضرورة أنه وعباده ليسوا مستوين في مكان واحد حتى تكون فوقية قهر وغلبة) [2] ثم إنهم يعتذرون اعتذاراً مريضاً ، لكونهم ينقصون قسماً مهماً من الفوقية الكلية المطلقة ، إذ من العظمة أن يكون الله فوق مخلوقاته بذاته وفوقهم بقدرته ، ودليل ذلك قوله تعالى في خاتمة آية الكرسي [3] :

---

(١) سورة الأعراف (الآية/١٢٧) .

(٢) « مختصر الصواعق المرسلة » لابن القيم ـ اختصار محمد الموصلي (ص/٣٥٦) ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية .

(٣) سورة البقرة (الآية / ٢٥٥).

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [١]

فقد جمع الله تعالى بين علو الذات وعظمتها ، وفصل ذلك باسمين من أسمائه الحسنى ، فإن العلو في اسمه (العلي) ، والعظمة في اسمه (العظيم) ، ولو كان العلو علو عظمة وقدر فقط لأتى بأحد هذين الإسمين دون الآخر ، ولكن لما أراد أن يشير إلى علو الذات ذكر الإسم الأول ، وهو متضمن لعلو القدر والقهر أيضاً ، وأفرد العظمة باسم آخر من قبيل ذكر الخاص بعد العام .

يقول الشيخ الطبري في اسم الله تعالى (العلي) :

(وهو ذو علو وارتفاع على كل شيء ، والأشياء كلها دونه) [٢] .

ويقول رحمه الله تعالى :

(فقال بعضهم يعني بذلك : وهو العلي عن النظير والأشباه ، وأنكروا أن يكون معنى ذلك : وهو العلي المكان . . . وقال آخرون :

معنى ذلك : وهو العلي على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه ، لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه ، وخلقه دونه كما وصف به نفسه أنه على العرش ، فهو عال بذلك عليهم) [٣] .

---

(١) سورة البقرة (الآية/٢٥٥) .

(٢) « جامع البيان » للطبري (م ١١ ج ٢٥ ص ٦) .

(٣) « جامع البيان » للطبري (م ٣ ج ٣ ص ٩) .

لا أدري كيف ينفي الجاهل علو ربه الذاتي ، ويريد تنـزيهه !!! مع أن الفوقية كمال بقسميها . قال ابن أبي العز الحنفي : (وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن ثبوت الفـوقية المـطلقة من كـل وجه ، فله سبحانه وتعالى فوقية القهر ، وفوقية القدر ، وفوقيـة الذات ، ومن أثبت البعض ونفى البعض فقـد تنقص ، وعلوه تعالى مـطلق من كـل الوجوه ، فإن قالوا :

بل علو المكانة لا المكان ؟ فالمكانة تأنيث المكان ، والمنزلة تأنيث المنزل) [١] .

وقال الإمام إسماعيل بن محمد التيمي :

(وقد أجمع المسلمون أن الله سبحانه العلي الأعلى ، ونطق بذلك القرآن ، فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علو الغلبة لا علو الـذات ، وعند المسلمين أن لله عز وجل علو الغلبة ، والعلو من سـائر وجـوه العلو ، لأن العلو صفــة مــدح ، فثبت أن الله تـعــالى علو الــذات ، وعـلو الصفات ، وعلو القهر والغلبة) [٢] .

وقال الإمام ابن خزيمة رحمه الله :

(والله قـد وصف نفسه في غـير موضـع من تنـزيله ووجـوهـه ، وأعلمنا أنه العلي العظيم ، أفليس العـلي ـ يا ذوي الحجا ـ مـا يكون

---

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز الحنفي (ص ٢٨٩) .

(٢) « اجتماع الجيوش » لابن القيم (ص ١٠٧) .

عالياً [1] (*) .

---

(1) التوحيد لابن خزيمة (ص/١١٢) .

(*) استشهد المؤلف ـ رحمه الله ـ بأقوال الطبري ، والتيمي وابن خزيمة على إثبات صفة العلو لله تعالى من الآية السابقة . وممن استشهد بها أيضاً كل من :

الخطابي : حيث قال : العلي : هو العالي القاهر ، فعيل بمعنى فاعل ، كالقدير والقادر والعليم والعالم ، وقد يكون ذلك من العلو الذي هو مصدر علا ، يعلو ، فهو عالٍ ، كقوله ﴿ الرحمٰن على العرش استوى ﴾ (طه/٥) ويكون ذلك من علاءِ المجد والشرف ، يقال منه : علي يعلى علاء ، ويكون علا وجل أن تلحقه صفات الخلق أو تكيفه أوهامهم أ.هـ. شأن الدعاء (ص/٦٦).

وقال البغوي في قوله ﴿ وان الله هو العلي ﴾ : العالي على كل شيء . تفسير البغوي (٥/٢٦) .

وقال السعدي في تفسيرة « تيسير الكريم المنان » (٥/ ٣١٠) . « العلي الأعلى » : وهو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه : علو ذات ، وعلو القدر والصفات ، وعلو القهر .

فهو الذي على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف واليه فيها المنتهى أ.هـ.

قال الله تعالى :

﴿يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ﴾ [1]

لا أظن أحداً عنده شيء من علم العربية يخفي عليه ما في هـذه الآية ، من إثبات علو المولى جلَّ وعلا ، فسبحانه يذكـر في هذه الآيـة مـلائكته ، فيصفهم بـالخوف منـه ، وهم يخافـونـه من فـوقهم ، ومن المعلوم أن الملائكة في السماء ، فهم فوقنـا ، وفوقهم ربُّ العـزة ، ولذا لم يقل ٠

(يخافون ربهم من تحتهم أو من أمامهم أو من خلفهم . . .) فقد تحقق من ذلك فوقية الباري جل في علاه .

(شبهة) :

احتجوا بأن الفوقية هنـا فوقيـة الرتبـة ، هكذا من غـير سلطان أتـاهم ، أو أثارة من علم ، أو كتـاب منير ، أو منقـول عن نـاقـل أو معقول عن عاقل .

قلت : إن حصل منا تساهل معكم في قوله تعالى :

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [2] فلأنـه سائـغ في العربيـة ، وكنا قـد أوضحناه . وأما إن طمعتم في مثل هذا التسـاهل هنـا ، فإن فعلنـا ،

---

(١) سورة النحل الآية (٥٠) .

(٢) سورة الأنعام الآية (١٨).

كنا وإياكم من الجـاهلين . ولا بد لنـا في هذه الآيـة من أن نخط لكم قاعدة لغـوية تتعلمـونها ، حتى لا تقعوا في مثـل هذه الـطامات ، التي تأباها أحلام الصبيان والنسوان .

إعلم أيها الجاهل أن الظروف لهـا أحوال ، ومنهـا (فوق وتحت) فإذا دخل عليهما حرف الجر (من) تَعينًّ فيهـما وجه واحـد لا يصار إلى غيره وسترى :

(الظروف)

لها أشكال وأحوال :

منها اسم المكان المبهم كالجهات الست :

(فوق وتحت ويمين وشمال وأمام وخلف)

١ - (فوق وتحت)

هذا النوع قابل للإستعمال في غير ما وضع له أصلاً ، أي يستخدم لغير الجهة مجازاً ، ولكن بشرط عدم تقيده بحرف الجر [من] فإذا قيدته عينت المعنى الأصلي منه وهو الجهة .

فأنت تقول : (الذهب فوق الفضة) و (الياقوت فوق الخزف) وتقصد أن الذهب أجود وأثمن من الفضة ، وكذلك الياقوت بالنسبة للخزف . ولكن لا تقول : (الذهب من فوق الفضة) أو (الياقوت من فوق الخزف) فهذا استعمال باطل لا يعرفه العرب فإذا قلت لك : (أبي فوق أبيك) .

فالقصد أن أبي أشرف وأكرم وأفضل من أبيك ، وهذا للرتبة . وإطلاق [فوق وتحت] يكون أصلاً للحقيقة الحسية ، كقولك : (السماء فوق الأرض) . إلا إذا احتفت إحداهما بقرائن تعيِّن الرتبة وما شابهها من مقصودها . كقولك عند المفاخرة : (رجالنا فوق رجالكم) فالقرينة المفاخرة . فالقاعدة أن [فوق وتحت] إذا أطلقتا احتملتا

الحقيقة والمجاز معاً ، كقوله سبحانه : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [1] فهو سبحانه أقهر لمخلوقاته من مخلوقاته ، وأقدر عليهم من بعضهم على بعض ، وهو فوقهم بعلو ذاته .

وكقوله تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [2] فهذه الفوقية باعتبار التفاوت في العلم ، فكل عالم لا بد أن يكون هناك الأعلم منه ، والله سبحانه أعلم من كل العلماء ، وهو فوق الكل بذاته .

وقد يستعملان عند الإطلاق لغير الحس كالرتبة ، ومن ذلك قوله سبحانه عن لسان فرعون :

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ أي نحن أقوى وأقدر منهم ، وسنقهرهم . أو يستعملان للحس وهو الأصل والحقيقة ، ومن ذلك قوله سبحانه :

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [3] (ففوق) هنا أطلقت وأريد بها المعنى الحسي وهو الأصل ، فلا يقال : يُحتاج إلى قرينة ، لأن القرينة تُحتاج للمجاز لا للحقيقة ، فالقرينة إن وجدت في الكلام ، يكون ذلك تعييناً وتأكيداً لإرادة الحقيقة الحسية ، كما في هذه الآية من ذكر الحمل الذي سبق الظرف ، مما دل على أن العرش فوق الملائكة من غير ريب ولا شك .

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٨) .

(٢) سورة يوسف الآية (٧٦) .

(٣) سورة الحاقة الآية (١٧) .

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوْا إِلَىْ ٱلسَّمَاْءِ فَوْقَهُمْ﴾ [1] فهنا أطلق الظرف (فوق) ولم تدخل عليه [من] ، ولكن أريد بها المعنى الحقيقي الحسي ، وأكد على تعيينه ما احتفت به من القرائن ، كقوله (أفلم ينظروا) فذكر النظر ، وقوله (إلى السماء) معقباً به على ذلك يعين الحس ويؤكده .

وكل ما سقناه من هذه الإحتمالات ينحصر بشيء واحد عندما تتقيد [فوق وتحت] بحرف الجر [من] ، وهو الإستعمال للحقيقة الحسية لا لغيره ، ونحن نتحدى من الآن إلى الأبد ، جيلاً بعد جيل ، كل ناعق جاهل ليخرج إلينا بمثال واحد يخالف ما نقول .

فانظر معي أخي إلى هذه الأدلة ، هل تجد فيها غير ما نقول .

قال الله تعالى :

﴿وَجَعَلَ فِيْهَاْ رَوَاْسِيَ مِنْ فَوْقِهَاْ﴾ [2] .

وقال سبحانه :

﴿بُشْرَاْكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاْتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَاْ ٱلأَنْهَاْرُ خَاْلِدِيْنَ فِيْهَاْ﴾ [3] .

---

(١) سورة ق الآية (٦) .

(٢) سورة فصلت الآية (١٠) .

(٣) سورة الحديد الآية (١٢) .

وقال عز وجل :

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (١) .

وقال تبارك وتعالى :

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ (٢) .

وقال عز وجل :

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ (٣) .

وقال جل في علاه :

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (٤) .

وقال تبارك وتعالى :

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ (٤) .

---

(١) سورة النحل الآية (٢٦) .

(٢) سورة الشورى الآية (٥) .

(٣) سورة الزمر الآية (١٦) .

(٤) سورة الزمر الآية (٢٠) .

(٥) سورة النور الآية (٤٠) .

وقال سبحانه عن عيسى عليه السلام :

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا . . .﴾ [1] وفي هذه الآية قراءتان :

- [مِنْ] حرف جر ، وهو مثال على ما نقول ، من تعيين الحس بحرف الجر .

- [مَنْ] بمعنى [الذي] وتكون [تحت] مطلقة ، ولكن يُعين الحس فيها ويؤكده القرينة ، وهي كون مريم تضع عيسى ، فهو تحتها دون شك .

والمقصود من هذه الآيات كما ترى ، أنه لم يأت مثال واحد ، فيه [فوق أو تحت] لغير الحس عند تقييدها بحرف الجر [من] . ونحن ننتظر من يأتينا به ولا سبيل .

والآية التي استدللنا بها تندرج ضمن هذا النوع وهو قوله تعالى :

﴿يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ﴾ [2] .

فلا يجوز حملها على المجاز لما قررنا ، بل يتعين المعنى الأصلي الحسي ، القاضي بأن الله تعالى فوقنا ، وفوق من هم فوقنا .

---

(١) سورة مريم الآية (٢٤) .

(٢) سورة النحل الآية (٥٠) .

يقول شيخ الإسلام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله :

(هَبْ أن هذا يحتمل في مثل قوله ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِيْ عِلْمٍ عَلِيْمٌ﴾ لدلالة السياق والقرائن المقترنة باللفظ على فوقية الرتبة ، ولكن هذا إنما يأتي مجرداً عن [من] ولا يستعمل مقروناً بـ[من] ، فلا يعرف في اللغة البتة أن يقال : الذهب من فوق الفضة ، ولا العالم من فوق الجاهل ، وقد جاءت فوقية الرب مقرونة بـ[من] كقوله تعالى :

﴿يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ فهذا صريح في فوقية الذات ، ولا يصح حمله على فوقية الرتبة ، لعدم استعمال أهل اللغة له) [١] .

هذا ، وبالنسبة لجواز استعمالها ، أي [فوق وتحت] في غير أصلها الحسي إذا أطلقت ، فذلك راجع إلى قابلية اشتقاق المعاني من الألفاظ ، لعلاقة تقوم بين الفرع والأصل ، أي عندما كان لفظ [فوق] للحس ، وكانت هذه الفوقية الذاتية صفة كمال ، اشتق منه ذلك المعنى ، وعبِّر عنه بنفس اللفظ لاشتماله عليه ، وحُفَّ بشيء من القرائن ، ليخلع عنه أصله الحسي ، فيبقى فرعه وهو صفة الكمال المشتقة من الأصل ، وهو العلو الذاتي .

وكذلك الأمر بالنسبة لـ[تحت] فهو معكوس ، أي أنه إن استعمل بفرعه فلكونه يتضمن معنى الضعة والنقص .

ولذا اشتُقَّ من [السماء] فرع ، وعبر عنه بلفظه الأصلي ، فتقول (يا سموَّ الأمير) ومن [العلاء] ، فتقول : (يا معالي الوزير) وتقصد بذلك كله المدح .

---

(١) مختصر « الصواعق المرسلة » لابن القيم ـ مختصره محمد بن الموصلي (ص / ٣٥٦).

وأما عندما تريد الذمَّ فتقول : (يا سافل) وهو من السفول . أو (يا منحط) وهو من الإنحطاط .

وقال الله تبارك وتعالى :

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [1] .

قال الضحاك رحمه الله :

(أي رددناه إلى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب ، والضعف بعد القوة) [2] .

وقال الألوسي عليه رحمة الله :

(والمتبادر من السياق الإشارة إلى حالة الكافر يوم القيامة ، وأنه يكون على أقبح صورة وأبشعها ، بعد أن كان على أحسن صورة وأبدعها) [3] .

فانظر إلى قوله تعالى ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ كيف فُسِّر بفرعه وهو الضعة والنقص ، وهذا مشتق من الأصل الموحي أو المتضمن لهذه المعاني فالسفول يتضمن الذم ، لأنه صفة نقص ، يقول الإمام أحمد بن حنبل :

---

(١) سورة التين الآية (٤ - ٥) .

(٢) تفسير القرطبي (١١٥/١٩) .

(٣) تفسير الألوسي (١٧٦/٣٠) .

(وجدنا كل شيء أسفل مذموماً ، قال الله تعالى :

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ (٢)(٣) .

وهذا الكلام من الإمام في غاية الجودة ، فرحمه الله من هادٍ ومهدي ، ومن قال : ولكن وجود المنافقين في الدرك الأسفل من النار وجود حسي ، قلنا له : نعم إنكم تحتجون بما هو عليكم ، ففي الآية بيان عظيم لما كنا قد قررناه من أن السفول الحسي فيه صفة نقص ، ولهذا كان الله فوقنا ولم يكن تحتنا ، لأنه يستحق كل نعوت الكمال من غير تنقص ، والله تبارك وتعالى عندما أراد أن يخزي الكافرين والمنافقين أعد لهم جهنم ، وجعلها تحت الأرضين أو في السابعة السفلى ، ولما أراد إكرام المؤمنين أعد لهم دار السلام ، وجعلها فوق الطباق السبع ، ولو كان الكمال في السفول لجعل الله الجنة دركات كما هي جهنم ، ولم يجعلها درجات ، ألا هل من معتبر ؟ هل من عاقل ؟ هل من يقظ ؟ اللهم إليك المشتكى .

فكما أن السفول صفة نقص ، فالعلو صفة كمال ، ولذا اشتقت منها المعاني كالسيطرة والقوة والتفضيل والتشريف والتعظيم وغير ذلك من المعاني التي تتفرع عن أصل العلو .

---

(١) سورة النساء الآية (١٤٥) .

(٢) سورة فصلت الآية (٢٩) .

(٣) « الرد على الجهمية والزنادقة » لأحمد بن حنبل (ص ٤٨) .

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى عن فرعون :

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً . .﴾ [1] .

فهذا علو الإستكبار لا علو الذات ، والقرينة أن فرعون يسكن الأرض ، لا نعرفه يطير في الفضاء من مكان إلى آخر ، وانضاف إلى هذه قرينة أخرى تؤكد هذا المعلوم ، من أن فرعون يعيش على الأرض ، فقال تعالى : (علا في الأرض) وكما قلنا ، يكفي دلالة على أن العلو للإستكبار حال فرعون فهو القرينة .

قال سبحانه في آية أخرى : ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[2] فذكر الأرض لا القرينة ، لأن القرينة هي حال فرعون ، وإنما ذكرها لأن آثار علوه فيها ظهرت بما كان منه من الظلم من سفك للدماء« ، واستحياء للنساء ، وذبح للأبناء ، فهذا كله جرى وظهرت آثاره على الأرض ، لأن المظلومين فيها ، ومن هذا الوجه كان قوله تعالى : (في الأرض) وقد قال عنه ـ أي عن فرعون ـ في موضع آخر من دون ذكر الأرض مما يؤكد قولنا :

﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [3] أي مستكبراً ، مسرفاً ، ظالماً ، وذكر الإسراف قرينة .

---

(١) سورة القصص الآية (٤) .

(٢) سورة يونس الآية (٨٣) .

(٣) سورة الدخان الآية (٣١) .

ومن ذلك أيضاً ما قاله موسى عليه السلام لقومه :

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللهِ . .﴾ (١) أي لا تستكبروا .

وقال سبحانه عن بني إسرائيل :

﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ (٢) أي ولتسيطرونَّ سيطرة عظيمة ، والقرينة السياق وجو الكلام وذكر الإفساد .

وقال سبحانه وتعالى لموسى عندما خاف في نفسه مما خيِّل إليه من أمر حبال السحرة أنها تسعى :

﴿. . . لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (٣) أي الغالب ، فهذا علو الغلبة والإنتصار ، والقرينة جوُّ الكلام وقوله (لا تخف) ، وهذا الإستعمال الذي فيه لفظ العلو كان لما هو معهود ، من أن الغالب هو الحامل لرتبة الشرف عند الناس ، فكان وصفه بالعلو مناسباً أمام المغلوب الذي يحمل صفة الوضاعة والذل اللذين يتناسبان مع معنى التسفل ، حتى أنك تجد الناس يحكمون على رجلين متصارعين بالنصر والغلبة للذي يجعل الآخر تحته .

ولهذا عبَّر الله تبارك وتعالى عن قوم إبراهيم الذين أرادوا أن يكيدوا له ، عبَّر سبحانه عن إذلالهم ، ودحرهم ، والغلبة عليهم ،

---

(١) سورة الدخان الآية (١٩) .

(٢) سورة الإسراء الآية (٤) .

(٣) سورة طه الآية (٦٨) .

بقوله :

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾ [1] .

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى :

(أي فجعلنا قوم إبراهيم الأسفلين ، أي الأذلين حجة) [2] .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عن إبراهيم عليه السلام :

(ونجاه الله من النار ، وأظهره عليهم ، وأعلى حجته ونصرها ، ولهذا قال تعالى :

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾) [3] .

فهذا بعكس ما يستفاد من لفظ العلو ، كما بينا آنفاً ، ومن ذلك ما قال الله عن لسان ملإ فرعون عندما أرادوا أن يغلبوا موسى عليه السلام :

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [4] أي من ظهر وغلب .

ومن ذلك أيضاً قوله تبارك وتعالى للمؤمنين :

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [5] .

---

(١) سورة الصافات الآية (٩٨) . (٢) « جامع البيان » للطبري (م ١٠ ج ٢٣ ص ٤٨) .

(٧) « مختصر تفسير إبن كثير » (ص ٣٧٧) .

(٤) سورة طه الآية (٦٤) . (٥) سورة آل عمران الآية (١٣٩) .

فسياق الآية قرينة على أن هذا العلو إنما هو علو النصر والشرف ، وهذه القرينة نتلمسها من خلال قوله (ولا تهنوا ولا تحزنوا) ، فالهوان والحزن علامتان عند الناس على الذل والخنوع ، وهذا ما يرمز إليه معنى التحتية ، فكانت مقابلته بقوله (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) أي أن هذا الإيمان هو الذي يسمو بكم ويرفعكم إلى مرتبة عظيمة ، تغلبون سواكم لأجلها ، وتنتصرون على هؤلاء الكافرين المستكبرين فلا فرق بين اثنين على سطح ، أحدهما كافر والآخر مؤمن ، فإنهما من ناحية العلو الذاتي لا يختلفان ، وليس أحدهما أعلى من الآخر ، وأما هنا في الآية يقول تعالى : ﴿وَأَنْتُمُ ٱلأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي علوكم بسبب إيمانكم ، والإيمان كما عرفنا ، لا يجعل ذات المؤمن أعلى من ذات الكافر إن استويا على سطح ، كما أننا لم نعهد عن المؤمنين أنهم يطيرون في السماء ، بل أُثِر أن غالب من وقع منه ذلك كان رجالاً أفاكاً ، من أولياء الجن والشياطين .

كل هذا الذي قلناه يندرج تحت [فوق وتحت] والآن استكملنا الحديث عنهما ، وعن قابليتهما للتفريع ، وأما الآن فسننتقل إلى نوع آخر من الجهات ، ونحن يهمنا من النوع الذي تكلمنا عنه أن [فوق وتحت] إذا قيدتا بحرف الجر [من] تعيَّن منهما الأصل وهو علو الذات ، ومن ذلك الآية التي استشهدنا بها على علو ربنا سبحانه وهي قوله تبارك وتعالى :

﴿يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ﴾[1] .

---

(١) سورة النحل الآية (٥٠) .

يمين وشمال
وأمام وخلف

هـذا النوع قـابل لـلإستعمال في غـير ما وضـع له أصـلاً ، أي يصح فيه المجاز ، سواء أطلق أو قيد ، أي التفريعات التي تتفرع عنـه لا يؤثر فيها التقييد ، كما هو الحال في [فوق وتحت] فالمقصـود من هذا الكـلام أن هذا النـوع سـواء كـان مقيـداً أو مـطلقـاً ، فيجـوز عليـه الوجهان ، الأصل والفرع ، أي الحقيقـة والمجاز . فبـالنسبة لـ (يمـين وشمـال) ، الأصل أنهما جهتـان ، وهما قـابلتـان لأن يشتق منهـما معنى لعلاقة تقوم بين الأصل والفرع ، وهكذا هي العربية بميزتها العظيمة ، التي تتجلى في تسلسل المعاني من اللفظ أصلي ، وسنـرى الأمر ذاتـه في هذين اللفظين .

فعندما كان الإنسان ذا يدين ، إحداهما من الجهة اليمني بالنسبة لـذاتـه ، والأخـرى من الجهـة الشمـاليـة ، أطلق عليهـما نفس اسم الجهة ، فأصبحت اليد التي هي من جهة اليمين تسمى (يميناً) ، واليد التي هي من جهة الشمال تسمى (شمالاً) ، فخرج معنى آخر من لفظ الجهة وذلك لعلاقة بين الفرع والأصل ، وهي أن اليد اليمنى من جهة اليمين واليسرى من اليسـار . أو قد يكـون الأمر معكـوساً ، وهـو أن اليدين كانتا تسميان يميناً وشمالاً فسميت الجهة التي تواليهما باسمهما .

قـال تعـالى : ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَـانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشمَـالِ قَعِيْد﴾ [١] .

فقد يكون المقصود : عن جهة اليمـين وعن جهة الشمـال ، أو عن جهة اليد اليمنى وعن جهة اليد الشمال ، وهذا ما نراه أقرب لأنه ورد ذلك بالجمع ، كما في قوله سبحانه : ﴿ثُمَّ لآتينَّهُمْ مِنْ بَـيْنِ أَيدِيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـانِهِمْ وَعَنْ شَمَـائِلِهِمْ﴾ [٢] أي عن جهـة أيـديهم اليمنى واليسرى .

وقـال سبحانـه وتعالى : ﴿يَـوْمَ تَرَىٰ ٱلْمُؤْمِنِـيْنَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُـوْرُهُمْ بَيْنَ أَيْـدِيْهِمْ وَبِأَيْمَـانِهِمْ بُشْرَاكُمُ ٱلْيَـوْمَ جَنَّاتٌ تَجْـرِيْ مِنْ تَحْتِهَـا ٱلأَنْهَارُ . . ﴾ [٣] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :

وقـوله ﴿وَبِـأَيْمَانِهِمْ﴾ أي وبـأيمانهم كتبهم كـما قال ﴿فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِيْنِهِ﴾ [٤] . وقـد يقـول قائـل : ولكن نحن نعرف في العـربية أنه يجوز القول :

(عن يمين السرير أو عن شمالـه) وليس للسريـر أيدي !! فهـذا نقول له : نعم ليس له أيدي ، ولكن عندما قلت : (عن يمينـه) فإمـا

---

(١) سورة ق الآية (١٧) .

(٢) سورة الأعراف الآية (١٧) .

(٣) سورة الحديد الآية (١٢) .

(٤) مختصر « تفسير ابن كثير » (ص ٦٠٩) .

أن يكون المقصود (عن جهته اليمنى) ، أو بالتقدير الآخر (عن جهة يده اليمنى) فهذا التركيب جائز الإستعمال لأي شيء ، لأنه أصبح يستعمل بجملته وبتركيبه ، فأنت لا تقصد نسبة اليد إلى السرير ، وإنما تستعمل نفس التركيب الأصلي بكليته لشيء آخر ، وهذا سائغ في العربية ، وكذلك أنت تقول : (من بين يدي الرجل) والمقصود من أمامه ، لأن ما يكون من بين يدي الرجل يكون أمامه ، ونحن نعلم أن للرجل يدين ، فهذا الإستعمال وضع في أصله لشيء موجود ، كما في الآية التي مرت معنا عن إبليس أنه قال :

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ فذكر الخلف يدل على أنه أراد مما سبق (الأمام) ، فأصبح هذا الإستعمال بجملته ـ كما هو هكذا مركب ـ يستخدم بمعنى (أمام) وهذه اللفظة تكون لذوي الأيدي وغيرهم ، فالمقصود من ذكر الأيدي مع لفظ (بين) إنشاء معنىً ، وليس نسبة الأيدي إلى المتكلم عنه . ولهذا ورد كثيراً في القرآن مثله ، كما في قوله تبارك وتعالى :

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ..﴾[1] أي من أمامه ومن خلفه ، أي من قبله ومن بعده ، وكذلك في قوله تعالى عن الجن أنهم :

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2] .

---

(١) سورة الأحقاف الآية (٢١) .

(٢) سورة الأحقاف الآية (٣٠) .

فقوله (لما بين يديه) لما هو أمامه أي قبله ، إذ من المعلوم أن القرآن ليس له أيدي ، فهذا الإستعمال إذاً استعمال لتركيب وليس للفظ ، لأنه قد يجهل البعض فيقول : إذاً يحق لنا أن نقول : ليس لله يدان ، فهذا نقول له : الأصل أنه لا تنفى اليدان عن الشيء حتى يعلم أنه لا يدين له ، فهل هذا موجود ؟ بل العكس من ذلك هو الثابت ، وهو أن الله تعالى يدين مقدستين ، وليعلم ذلك الجاهل أنه إن كان ما قلناه سائغاً فهو بذاك التركيب لا غيره ، فالله تبارك وتعالى يقول :

﴿يَآ إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [1] .

فهذا دليل بين على أن الله يدين خلق بهما آدم عليه السلام ، وهناك من الأدلة ما لا يأتي عليه الحصر تقريباً ، فهذه الآية ليس فيها من ذلك التركيب شيء ، بل ذكر الخلق والتعقيب بهما أدل وأصرح ، ونسبة اليدين إلى الله تلجم الجهال . وقد استطردنا بعض الشيء لما وجدنا هناك من فائدة ، ليس ينبغي أن تفوت . نعود إلى موضوعنا في الكلام عن (يمين وشمال) ، فقد بينا سابقاً أن هاتين الجهتين أصبحتا اسمين لليدين للعلاقة التي أوضحناها . ومن ذلك زيادة على ما مثلنا قوله ﷺ :

«إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابرَ من نور عن يمين الرحمن . . » [2] فقوله (عن يمين الرحمن) أي عن جهة يده اليمنى

---

(١) سورة ص الآية (٧٥) .

(٢) رواه أحمد (٢/١٦٠) ومسلم (١٨٢٧) والنسائي (٨/٢٢١) والبيقهي في « الأسماء والصفات » (٣٢٤) .

سبحانه ، وقد ثبتت له هذه الصفة كما وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله عليه السلام . قال تعالى : ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [1] أي بيده اليمنى ، وذِكْرُ القبض والطي مُؤكِّد وموضح ، وهذا بيِّن كما في قوله ﷺ :

«يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذ من بيده اليمنى . .» [2] .

فذكر اليد مع وصفها باليمنى ، لا أظن أن أحداً يجادل فيها بعد ذلك . وهكذا هي المعاني تتسلسل ، فكان الإسم للجهة ثم أطلق على اليد ، وهناك أيضاً قابلية للتفريع ، ولا يبعد أن نفس هذا الإسم للجهة مأخوذ من معنى سابق ، فإن العرب كان من عادتهم عند الصباح أن يُطَيِّروا طيراً ، فإذا طار إلى جهة اليمين تفاءلوا ، وإذا طار إلى جهة الشمال تشاءموا ، فلعلهم سموا جهة اليمن من اليمن وهي البركة ، وجهة الشمال من الشؤم ، فقد ورد مثل ذلك ، وعليه يكون نفس تسمية الجهتين له أصل ، وهكذا يكون التسلسل من اليمن والشؤم ، فسميت اليدان باليمين والشمال لعلاقة الجهة ، ولمَّا كان للتسمية ذلك الأصل من اليمن والشؤوم أصبح الشعراء يستعملونها للتكنية عن المعنى الأصلي ، فقد أنشد الرمَّاح بن ميادة :

ألم أكُ في يمنى يديكَ جعلتني فلا تجعلنيِّ بعدها في شمالكا

---

(١) سورة الزمر الآية (٦٧) .

(٢) رواه مسلم (١٢٦/٨) وأبو داود (٤٧٣٢) عنه والبيهقي (٣٢٣) وابن ماجة (١٩٨) وابن أبي عاصم (٥٤٧) وأخرجه أيضاً البخاري (٤٥٥/٤) مختصراً .

قال البغدادي :

(أراد : كنت مقرباً عندك فلا تبعدني) [1] .

ويقول أبو نواس :

أقول لناقتي إذ بلّغتني ... لقد أصبحتِ عندي باليمينِ [2]

فقوله (باليمين) أي بالمحل الرفيع الجليل .

فهذه الإستعمالات كلها مجازية كما رأيت ، ولكن لاستخدامها بهذه المعاني أصل كما بينا ، من أن اليمين من اليمن ، والشمال من الشؤم ، فأصبحت المعاني الملائمة للبركة تأتي بلفظ (اليمين) ، والمعاني الملائمة للشؤم تأتي بلفظ (الشمال) وهكذا .

وزيادة على ذلك فإن اليمين في الرجل غالباً تكون أقوى من الشمال ، وتستخدم أيضاً لما هو شريف بعكس الثانية ، هذا في المخلوق ، ولا يوجد في يدي الخالق سبحانه وتعالى ، فيمناه مباركة وشماله(*) أيضاً ،ولذلك ورد في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : «إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ . . » [3] أي مباركة مقدسة ، وليس المقصود من هذه اللفظة الجهة ، لأن له يميناً وشمالاً(*) سبحانه ، وذلك من ناحية الجهة ،ولكن شماله(*) وإن كان أصل اللفظ مأخوذاً من الشؤم فهذا

---

(١) أنظر « شرح شواهد المغني » للبغدادي (٦/٩) .

(٢) أنظر ديوان « الحسن بن هانيء » (ص ٥٩٥) .

(٣) سبق تخريجه (ص / ١٠٢) .

(*) انظر التعليق على لفظ الشمال (ص / ١٠٥) .

ممتنع في حقه ، ولم يعد لهذه اللفظة إلا المعنى الفرعي إذا أطلقت على الله أي بمعنى اليد لا غير ، ولهذا كان النبي ﷺ يستدرك فيزيل ما يمكن أن يقع في ذهن السامع من صفة النقص في حق الله تعالى فيقول : (وكلتا يديه يمين) أي شماله(*) لا تقل بركة وقوة عن يمينه سبحانه .

وقد ورد مثل هذا التنزيه من آدم عليه السلام ، فقد قال ﷺ :

«لَمَّا خلق آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال : الحمدلله فحمد الله بإذنه فقال له ربه : يرحمك الله يا آدم ! إذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإٍ منهم جُلوس فقل : السلام عليكم . قالوا : وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم ، فقال الله له ـ ويداه مقبوضتان ـ : إختر أيهما شئتَ قال : اخترت يمين ربي ، **وكلتا يدي ربي يمين مباركة** ، ثم بسط فإذا فيها آدم وذريته . . »(1) .

فقول آدم عليه السلام : (اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة) يدل على أن له تعالى يميناً وشمالاً ،(*) ولكن حتى ينفي ذلك

---

(1) رواة الترمذي (٢/ ١٨٠ ـ ١٨١) وقال [حسن صحيح] والحاكم (١/ ٦٤) وقال [صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وابن حبان (٢٠٨٢) والبيهقي «الأسماء والصفات» (ص / ٢٢٤)وابن خزيمة في التوحيد وابن سعد (١/ ٢٧ ـ ٢٨) وصححه الألباني «صحيح الجامع» (٥١٠٩) والمشكاة (٢/ ٤٦) والسنة لابن أبي عاصم (٢٠٦) .

(*) لم يثبت أنه لله تعالى شمال ، ولفظ الشمال وقع عند مسلم وأبي يعلى والطبراني واللالكائي ، والذي تفرد بذكر الشمال هو عمر بن حمزة كما قال البيهقي في «الأسماء =

النقص المعهود في شمال المخلوق قال : (وكلتا يدي ربي يمين مباركة) أي قوية مباركة مقدسة . وهكذا تتسلسل المعاني ، فاليمين في المخلوق تحمل القوة ، ولذا أصبحت ترمز إليها ، حتى أطلقت على القوة نفس لفظة اليمين ، الأمر الذي جعل الكثير يفسر (اليمين) لغة : بالقوة ، وبعضهم يقول : هي اليد اليمنى المقابلة لليسرى . فيختار كل واحد تفريعاً من هذه التفريعات ، وهذا ما جعل بعض المفسرين يخالف

= والصفات» (ص / ٤١٠) فإنه بعد أن أخرج الحديث من طريق أبي داود بلفظه وطريق ابن أبي شيبة بلفظ مسلم قال : رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة هكذا، وذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم.

وقد روى هذا الحديث نافع وعبد الله بن مقسم عن ابن عمر ، ولم يذكروا فيه الشمال ، ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وغيره عن النبي ﷺ فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال ، وروى ذكر الشمال من حديث آخر غير هذه القصة ، إلا أنه ضعيف بمرة : تفرد باحدهما جعفر بن الزبير ، وبالآخر : يزيد الرقاشي ، وهما متروكان ، وكيف يصح ذلك ؟ وصح عن النبي ﷺ انه سمى كلتا يديه يميناً ! وكأن من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له . أو على عادة العرب في ذكرالشمال في مقابلة اليمين أ . هـ.

وقال القرطبي في المفهم : كذا جاءت هذهالرواية بإطلاق لفظ الشمال على يد الله على المقابلة المتعارفة في حقنا ، وفي أكثر الروايات وقع التحرز على إطلاقها ، حتى قال : وكلتا يديه يمين لئلا يتوهم نقص في صفته سبحانه وتعالى لآن الشمال في حقنا أضعف من اليمين . افادة ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٩٦) .

فالصواب في هذا المقام انه لا يجوز إطلاق لفظ الشمال على الله سبحانه وتعالى لأنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة ان كلتا يديه يمين منها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المتقدم آنفاً ، لذا نرى ابن خزيمة وهو يقرر هذا الرأي يقول : (.. عند قبضته الأرض بأحدى يديه ، وطيه السماء بالأخرى ، وهما يمينان لربنا ، لا شمال له ـ تعالى الله ربنا ـ عن صفات المخلوقين أ . هـ. التوحيد (١ / ١٧٠).

غيره في تفسير قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام عندما حطم الأصنام : ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِٱلْيَمِينِ﴾ [1] .

قال الشيخ الطبري رحمه الله :

(يقول تعالى ذكره : فمال على آلهة قومه ضرباً لها باليمين ، بفأس في يده يكسرهن ، . . وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى : فراغ عليهم ضرباً بالقوة . .) [2] .

فاليمين عندما حازت على الشرف لكونها تستعمل لما هو شريف ، أصبحت تذكر وحدها ، وينسب إليها ما هو مملوك ، فقوله تبارك وتعالى :

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [3] فيه ذكر اليمين ونسبة الفعل إليها ، دون ذكر الشمال ، إذ لم يقل (والأرض جميعاً في قبضة شماله) مع أن شماله مباركة مقدسة .

وكذلك تجد أن الله تبارك وتعالى أكرم الأبرار بأن جعلهم يأخذون كتبهم بأيمانهم بينما الفجار بشمائلهم ، فقال سبحانه :

﴿وَأَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ﴾ [4] للتفخيم والتعظيم .

---

(١) سورة الصافات (الآية/٩٣) .

(٢) جامع البيان (م ١٠ ج ٢٣ ص ٤٦) وانظر تفسيره لقوله (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين) (م ١٢ ج ٢٩ ص ٤٢) .

(٣) سورة الزمر الآية (٦٧) .

(٤) سورة الواقعة الآية (٢٧) .

﴿وَأَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ﴾ [1] التنكيس والتحقير .

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ . .﴾ [2] .

فنسبة الملكية إلى الأيمان تدل على شرفها ، لأن الإماء لسن ملكاً ليد الرجل فقط ، وإنما هن ملك له بكامله .

ولما عرفنا من أن اليمين محل القوة ، وأن القوة أصبح يعبر عنها بلفظ (اليمين) ، تفرع معنىً آخر للعلاقة ، فأصبح يُعبر عن الحلف بلفظ (اليمين) لما يحتاج من هذا اللفظ وهو القوة ، فالإنسان عندما يحلف يكون قصده من ذلك تقوية كلامه ، ولذا اتخذ للحلف لفظ (اليمين) لما فيه من معنى القوة . وهكذا تتسلسل المعاني وتتفرع من أصل واحد .

والآن بقي الكلام على (أمام وخلف) :

وهما قابلتان للمجاز سواء دخلت عليهما حروف الجر أم لا ، والأمر فيهما لا يختلف عما سبق من وجود العلاقة بين الفرع والأصل ، فإن الإنسان عندما يمشي إلى الأمام يترك وراءه الأشياء، فهو كلما تقدم ازداد ما وراءه احتجاباً عنه ، وهكذا الزمان ، فإن عمر الإنسان يمر ، فكلما استقبل يوماً كان الذي قبله في الماضي ، فلا يأبه به ، ولا ينظر

---

(١) سورة الواقعة الآية (٤١) .

(٢) سورة الحديد الآية (١٣) .

إليـه ، لأنه لم يعـد مـوجـوداً ، ولـذا يعتبـر مـاضي الإنسـان وراءه ، ومستقبله أمـامه ، فسمي مستقبله بهـذا اللفظ لأنه بمثـابة مـا يستقبـل بالوجه .

فمثال أصل اللفظ بمعناه الحسي قوله تعالى :

﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَاءَكُم فَٱلْتَمِسُوا نُوراً﴾ (١) فهنـا الـظرف مطلق ، أي ارجعوا إلى الخلف ، إلى المكان الذي تقسم الأنوار فيه .

ومنه قوله تبارك وتعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِيْنَ يُنَادُوْنَكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ﴾ (٢) .

فالذين ينادونك من وراء الحجرات ، أي من خلفها ، وهنا قيِّد الظرف . ونفس هذين الإستعمالين بـالإطلاق والتقييـد ، يستخدمـان للمجـاز ، فهما في الأصـل للحقيقة الحسيـة وهي الجهـة ، فيصبحـان بـالمعنى الزمني في المجـاز . قال عـز وجل : ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيْكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُوْنَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ (٣) أي لمن بعدك وقال : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيْطُوْنَ بِهِ عِلْماً﴾ (٤) .

أي يعلم مـا أمـامهم وهـو مستقبلهم ، ومـا خلفهم وهـو ماضيهم ، وهنا جاءت [خلف] مطلقة ، وأريد بذلك الزمان .

---

(١) سورة الحديد الآية (١٣) .

(٢) سورة الحجرات الآية (٤) .

(٣) سورة يونس الآية (٩٢) .

(٤) سورة طه الآية (١١٠) .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوْا إِلَّا اللهَ . .﴾ (1) .

أي من قبله ومن بعده ، وهذا للزمان ، وجاءت [خلف] مقيده بـ [من] ، ومن نفس المقيد قوله تعالى عن لسان زكريا عليه السلام :

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِنْ وَرَائِيْ . . .﴾ (2) أي من بعدي .

وهكذا يصبح المعنى للزمان بعد أن كان للمكان ، حتى قام اشتراك في الإستعمال بين ما يستخدم في أصله للزمان ، وما يستخدم للمكان . فلفظة [بعد] المعهودة للمعنى الزمني ، صارت تستعمل للجهة الحسية ، كما في قوله ﷺ :

«أقيموا الركوعَ والسجودَ فوالله إني لأراكم من بعدي» (3) أي من خلفي ، وقد وهم بعضهم، واستشكل عليه هذا اللفظ ، لأنه للزمان فقال : أي من بعد وفاتي قال الإمام النووي رحمه الله :

(قال القاضي عياض : وحمله بعضهم على بعد الوفاة . وهو

---

(1) سورة الأحقاف الآية (21) .

(2) سورة مريم الآية (5) .

(3) متفق عليه وهو عند البخاري في « صفة الصلاة ـ باب الخشوع » (2/187) وعند مسلم في « الصلاة ـ باب الأمر بتحسين الصلاة » (425) ورواه البغوي في « شرح السنة » (625) .

بعيد عن سياق الحديث)[1] قلت : وفيما يرده الرواية التي تقول :

«إني لأراكم من بعد ظهري إذا ما ركعتم وإذا ما سجدتم»[2]
أي من وراء ظهري وبهذا الكلام ينتهي بحث هذه القاعدة النفيسة التي لم نجد من باب الفائدة إلا أن نذكرها وبه نكون قد عرفنا حالة هذه الجهات الست المبهمة :

(فوق وتحت ويمين وشمال وأمام وخلف)

* * *

وعلى ضوء ما قلنا يكون قوله تعالى :

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[3] وقوله :

﴿يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[4] دالَّينِ على علو القدر والقهر والذات ، والعلماء استدلوا بهما على فوقية الله سبحانه ، كما جمع الإمام الجويني بينهما عندما تكلم عن علو الله عز وجل ، فقال رحمه الله : (وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية ﴿يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[4] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[5] ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[3] لأن فوقيته سبحانه وعلوه على كل شيء ذاتي له ، فهو العلي بالذات ، والعلو صفته اللائقة به ، كما أن السفول والرسوب والإنحطاط ذاتي للأكوان عن رتبة ربوبيته وعظمته وعلوه والعلو والسفول حدٌّ بين

(١) « شرح صحيح مسلم » للنووي (ج ٤ ص ١٥٠) .

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٥٠ ـ نووي) والبغوي (٦١٥) بلفظ قريب منه .

(٣) سورة النحل الآية (٥٠).

(٤) سورة النحل الآية (٥٠).

(٥) سورة فاطر الآية (١٠) .

الخالق والمخلوق ، يتميز به عنه ، هو سبحانه عليٌّ بالذات ، وهو كما كان قبل خلق الأكوان ، وما سواه متسفل عنه بالذات وهو سبحانه العلي على عرشه) [١] .

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة في قوله تعالى :

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [٢] :

(فأعلمنا الجليل جل وعلا في هذه الآية أيضاً . أن ربنا فوق ملائكته ، وفوق ما في السموات وما في الأرض من دابة ، وأعلمنا أن ملائكته يخافون ربهم الذي فوقهم) [٣] .

* * *

أنصحكم أن تَدْعُوا بهذا الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به ، حتى تتعلموا أين هي الجهات ، وتفهموا منها أين ربكم :

«اللهم إني أسألك العفة والعافية في دنياي وديني وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي» [٤] .

قال الله تعالى :

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ لأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾

---

(١) « إثبات الإستواء والفوقية » للجويني من « المجموعة المنيرية » (م ١ ج ١ ص ١٨٧) .

(٢) سورة النحل الآية (٥٠).

(٣) « التوحيد » لابن خزيمة (ص ١١١) .

(٤) رواه البزار وصححه الألباني « صحيح الجامع » (١٢٧٤) .

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [1] .

هذا لفظ واضح كل الوضوح ، سادٌّ كل نافذة يتطلع من خلالها إلى تأويل أو تعطيل ، قاضٍ بأن الله في السماء فوقنا كما يليق بكماله وجلاله ، ولكن وللأسف أين تذهب بهذه العقول السقيمة ، والفهوم الوخيمة ؟!

كيف يمكنك أن تداويها ، وهي تلفظ هذا الدواء لشعورها بمرارته ، غير مدركة طبيعة هذا الشعور عند أصحاب المرض وقد قالوا :

ومن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجدْ مراً به الماءَ الزلالا

قلنا لهم : هذه الآية كافية لتؤمنوا بعلو ربكم ، ولكن لم تستسغها نفوسهم فكانت نتيجة سفسطاتهم الكلامية أن عرضت لهم شبهات فقالوا :

(شبهة) :

المقصود ـ عندنا ـ من هذه الآية أن الخاسف هم الملائكة [*] .

قلت : لا يصح هذا التفسير لمخالفته أولٍ لفظِ الآية ، فقوله تعالى : ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ﴾ جاء فيه فعل الخسف مفرداً ، وأنتم تقولون : الملائكة . وهم جمع ، فكان يلزم على مقتضى

---

(١) سورة الملك الآية (١٦ ـ ١٧) .

(*) وقال قال بهذا القول الكوثري في تعليقه على كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي انظر في (ص / ٥١٨) و(ص / ٥٣١).

تفسيركم أن يقول (أن يخسفوا) فلا يطلق لفظ المفرد على جمع بل العكس .

ولمّا شعر بعضهم بهذه الحقيقة استدرك الأمر ، فقال : نحن نقول الخاسف هو جبريل عليه السلام .

فنقول لهذا التلميذ المجتهد : لقد فاتك الكثير ، وزعمت شيئاً وغابت عنك أشياء ، أما قرأت كتاب الله تعالى ، فألفيت كل فعل للخسف أضيف إليه سبحانه ؟! أم أنك عُلِّمْتَ قولاً لتجادل به أهل القرآن والحكمة ؟! ولم تتطلع على غيره ، وحرمت عيناك من خيره . لقد نمَّ قولك المنتن عن جهل فاضح وغي فادح ، لأنه ما قال : هذا اللفظ عاقل ، ولم ينقل عن ناقلٍ . إعلم يا فتى واحفظ أن الخسف إن قام به جبريل أو الملائكة فعلاً وممارسة ، فهذا إنما يكون بأمر الله تعالى ، فهو الآمر وإليه يرجع التوجيه**، ونسبة الفعل إليه وجه بلاغي ، وهو أن يُنْسَبَ الفعل إلى الآمر إذا كان من قبيل القرار والنفوذ ، كقولك مثلاً :

(احتل أميرُ الشامِ العراقَ) فمن المعلوم أن جيشه وجنده هم الذين قاموا بتنفيذ الإحتلال ، مع أن الأمير على عرشه في الشام ، ولكن نسب الفعل إليه لأن هذه القضية يرجع القرار فيها إلى صاحب الأمر ، وأما المنفذون فهم عبارة عن أداة الفعل ، كمن يقتل قتيلاً بسكينة ، فيقال : قتل الرجل الرجل ، ولا يقال : قتلت السكينة الرجل ، لأنها لا تخرج عن كونها أداة . ولذا كان من يستحق أن ينسب الفعل إليه هو من يبرم الأوامر ، والذي في الآية أيضاً من هذا

القبيل ، فقد نسب فعل الخسف إلى الله تعالى وإن كان منفذه الملائكة كلهم أو جبريل وحده ، وذلك لأنه بإذن الله وأمره .

فيكون قوله تعالى : ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ هو الله ، لا سيما أن ما قبل الآية وما بعدها يتكلم عن الله ، فما بال هذه الآية فجأة تتكلم عن جبريل ؟

ثم إن نسبة الخسف إن لم تظهر في هذه الآية لفظاً ، فقد ظهرت في قوله تعالى :

﴿لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ (١) .

وقوله عز وجل :

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ . . .﴾ (٢) .

فهذا واضح كل الوضوح ، وهناك آيات أخرى ، نكتفي بما أشرنا للدلالة على ما قررنا من أن المقصود من قوله تعالى :

﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ هو الله تعالى . وهذا ما قاله المفسرون ، وأوعية العلم ، عن رغم آناف الجهلة ، وأصحاب الضلال السفلة .

---

(١) سورة القصص الآية (٨٢) .

(٢) سورة النمل الآية (٤٥) .

فانظر معي أخي إلى ما قال أصحاب الحق في تفسير هذه الآية :

قال شيخ المفسرين بلا منازع ، الإمام الطبري رحمه الله ، في قوله عزَّ وتعالى : ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ . .﴾ :

(. . هو الله) [1] .

ونقل أبو الفرج ابن الجوزي (*) رحمه الله ، وغفر له ، في قوله تعالى :

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ عن حَبْرِ الأمة ابن عباس رضي الله عنه قوله (أمنتم عذاب من في السماء ، وهو الله عز وجل) [2] .

وكذلك قَرَنَ (**) الحافظ ابن كثير في تفسيره [3] بين هذه الآية وقوله تعالى :

---

(١) « جامع البيان » للطبري (م ١٢ ج ٢٩ ص ٢) .

(*) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، ولد سنة (٥١٠هـ) ببغداد والجوزي نسبة إلى محلة في البصرة تسمى محلة الجوز ، وقيل غير ذلك ، حفظ القرآن وسمع الحديث وتعلم اللغة ونظر في جميع الفنون المعروفة في عصره . صنف في التاريخ وعلوم اللغة والتفسير والفقه ، حتى أنه شارك في الشعر ايضاً ويذكر انه له ديوان بعنوان « ما قلته من الشعر » من مؤلفاته « تلبيس إبليس » و « زاد المسير » و « صفة الصفوة » . توفي سنة (٥٩٧هـ) ودفن في باب الحرب .

(٢) « زاد المسير » لابن الجوزي (٣٢٢/٨) .

(٣) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٣٩٨/٤) ـ طبعة دار المعرفة .

(**) وممن جمع بينهما الإمام ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص / ٥٤٦).

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾ [1] .

وهذا القول فيه إسناد الخسف إلى الله تعالى .

وقال الحافظ السيوطي (*) رحمه الله :

(أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن **مجاهد** رضي الله عنه في قوله ﴿ءَأَمِنْتُم مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ﴾ قال : الله تعالى) [2] وقال القرطبي رحمه الله وغفر له :

(وقال ابن عباس ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ﴾ : أأمنتم عذاب من في السماء إن عصيتموه) [3] .

وهناك مفسرون في القديم والحديث قد فسروا بذلك ، ويكفينا أنه تفسير من الصحابي الجليل ، ترجمان القرآن ، عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، وكذلك هو تفسير تلميذه ، التابعي العظيم ، **مجاهد**

---

(١) سورة الإسراء الآية (٦٨) .

(*) أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن كمال الدين السيوطي ، ولد بالقاهرة سنة (٨٤٩هـ) أخذ العلم عن العلم البلقيني وغيره . وهو أشهر من علم ، ألف ولخص واختصر وكتب في أكثر علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وعربية وعقيدة وتاريخ . من مؤلفاته : «تدريب الراوي» و «الدرر المنتثرة» و «در السحابة» توفي سنة (٩١١هـ) بالقاهرة.

انظر الضوء اللامع (٤/٦٥) حسن المحاضرة (١/١٨٨) الشذرات (٨/٥١) .

(٢) « الدر المنثور » للسيوطي (٦/٢٤٩) طبعة دار المعرفة .

(٣) « تفسير القرطبي » (ج ١٧ ـ ١٨ ص ٢١٥ ـ ٢١٦) .

الذي قيل فيه :

(إن جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به) .

(شبهة) :

قالوا : لو سلمنا بأن الله في السماء لوقعنا في التشبيه ، لأن الله يصبح محوياً ، والسماء حاوية له ، وهذا لا يجوز لأن الله لا يحيط به مخلوق .

قلت :

هذا من جهلكم في اللغة العربية ، ولقد جاوب الكثير من العلماء على هذه الشبهات الصبيانية ، فأين أنتم ؟! أم أنكم عملتم بوصية شيخكم الآمرة بألا يُقرأ غير كتاب الصراط الذي وضعتم صفحاته على زجاجات نظاراتكم .

أما سمعتم ؟ . . أو أنصحكم أن تسمعوا قول الذي حملتم لواء الدفاع عن عقيدته ، كيف رجع إلى الحق ، وها هو يناديكم لتعودوا ، فيقول رحمه الله تعالى ، وهو الإمام أبو الحسن الأشعري :

(وقال عز وجل ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ فالسماوٰت فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السماوٰت قال :

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوٰت ، وكل ما علا فهو سماء ، فالعرش أعلى السماوٰت)(١) .

---

(١) « الإبانة » الأشعري (ص ٧٠) ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتاب العربي .

وقال الأمام البيهقي(*) رحمة الله :ـ

(وقال ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وأراد : من فوق السماء ، كما قال ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ (١) يعني : على جذوع النخل ، وقال ﴿فَسِيحُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (٢) يعني : على الأرض .

وكل ما علا فهو سماء ، والعرش أعلى السموات ، فمعنى الآية ـ والله أعلم ـ : أأمنتم من على العرش ، كما صرح به في سائر الآيات) (٣) .

ويقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله :

(التصريح بأن الله تعالى في السماء ، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين :

ـ إما أن تكون [في] بمعنى [على] .

(*) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي ، شيخ خراسان ومن أئمة المحدثين ولد سنة (٣٨٤هـ) وتوفي سنة (٤٥٨هـ) ، له مؤلفات كثيرة منها « الأسماء والصفات » و « السنن » .
انظر طبقات الشافعية (٤/٨ ـ ١٨) .

(١) سورة طه الآية (٧١) .

(٢) سورة التوبة الآية (٢) .

(٣) « الاعتقاد » للبيهقي ـ تحقيق أحمد عصام الكاتب (ص ١١٣) ـ ط ١ ـ دار الآفاق الجديدة .

- وإما أن يراد بالسماء العلو . لا يختلفون في ذلك ، ولا يجوز الحمل على غيره) [1] .

ويقول الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي :

(والمراد بالسماء هنا ما فوق العرش ، لأن ما علا يقال له : سماء) [2] .

وفي شرح «لمعة الإعتقاد لابن قدامة» .

(المعنى الصحيح لكون الله في السماء أن الله تعالى على السماء [ففي] بمعنى [على] وليست للظرفية ، لأن السماء لا تحيط بالله ، أو إنه في العلو فالسماء بمعنى العلو ، وليس المراد بها السماء المبنية) [3] .

فالسلف كما نستخلص مما ذكرنا يعتبرون شيئين في هذه الآية :

الأول : [في] بمعنى [على] ، فيصبح معنى (في السماء) أي فوقها ، ويستشهدون على ذلك بقوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [4] أي فوقها وعليها ، وبقوله تعالى : ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [5] أي على جذوع النخل .

---

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز (ص ٢٨٦) ـ الطبعة الثامنة ـ المكتب الإسلامي .

(٢) « أقاويل الثقات » (ق ١/١١٣) .

(٣) « شرح لمعة الإعتقاد » للشيخ محمد صالح العثيمين (ص ٣٩) ـ ط ١ ـ مؤسسة الرسالة .

(٤) سورة الأنعام الآية (١١) .

(٥) سورة طه الآية (٧١) .

والثاني : وهو الأرجح ، لأننا لسنا بحاجة إلى الأول لما فيه من بعض التكلف ، إذ السماء في اللغة معناها العلو ، لأن كل ما علا فهو سماء ، ولهذا أفردها الله ولم يقل (أأمنتم من في السموات) لأنه يوحي عندئذ بوجوده ضمن الطبقات المبنية ، فلو جمعت لكانت [في] بمعنى [فوق] وجوباً ، لأنه عندما جمعت قصد بها الطبقات ، والله تعالى ليس فيها بل فوقها .

فالإفراد إذاً يدل على الأصل اللغوي ، وهو قوله : (في السماء) أي في العلو المطلق حيث يليق بالله تعالى ، فيظل لفظ [في] كما هو .

وقد نقل الإمام الشوكاني رحمه الله عن ابن تيمية أنه قال في مجموعة التفسير :

(والسماء في قوله ﴿ءَأَمِنتُم﴾ اسم جنس العالي ، لا يخص شيئاً ، فقوله ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي في العلو دون السفل ، وهو العلي الأعلى ، فله أعلى العلو ، وهو ما فوق العرش) [1] .

ومن الغريب العجيب أنني عندما حاججت أحدهم بذلك راح يتنطع ، ويظهر جهالاته مجاناً ، ويقول : وهل هناك سماء غير السماوات السبع ؟ ولا يفهم أن الأمر هنا لغوي لا يراد به الطبقات ، إلا أنني رددت عليه وأفحمته بحجة سنية ، وهي قوله ﷺ :

«الخيمة درَّةٌ طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها أهلٌ للمؤمن لا يراهم الآخرون» [2] .

---

(١) « الفتح » رقم ٨٣ مجاميع خط مكتبة صنعاء .

(٢) راوه الشيخان البخاري ومسلم .

فقلت له : أين الجنة ؟ قال : فوق السماوات السبع ، فقلت : ها هو النبي ﷺ يخبرنا عن خيمة في الجنة ، طولها في السماء ستون ميلاً ، فكيف تكون الجنة فوق السماوات السبع ثم يذكر النبي سماءً فوقها ؟ فبهت وعلم صحة القول من أن هذه اللفظة لغوية لا اصطلاحية ومما يؤكد قولنا ما فسر به الإمام النووي هذه اللفظة فقال رحمه الله : (وطولها في السماء أي في العلو)[1] .

ثم هذا الجاهل لو بقي على قوله الساقط لكان على مقتضى قوله عدم وجود الكرسي والعرش في السماء، لأنهما فوق السماوات السبع .

وكأنني بهم وبأمثالهم يريدون من أقوالهم هذه أن يلبسوا على الناس ، ويوهموهم بأن السلف يقولون بإحاطة السماوات لله تعالى ، وما كان ذلك إلا زوراً وتدليساً .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله تعالى عنه كلام في هذا الأمر ، فقد قال في نفي ذلك الباطل الذي يلصقه أهله بأصحاب الحق :

(من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره ، وضال إن اعتقده في ربه ، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ ، ولا رأينا أحداً نقله عن واحد ، ولو سئل

---

(١) « شرح صحيح مسلم » للنووي (ص ١٧٦ ج ١٧) ـ الطبعة الثالثة ـ دار إحياء التراث العربي .

سائر المسلمين : هل يفهمون من قول الله ورسوله أن الله في السماء أن السماء تحويه ، لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول : هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا ، وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه ، ثم يريد أن يتأوله ، بل عند المسلمين أن الله في السماء وهو على العرش واحد ، إذ السماء إنما يراد به العلو ، فالمعنى أن الله في العلو لا في السفل . . .)[1] .

فسبحان الله ! أبعد كل هذه البينات يجادلون ، ويأتون محتجين بقول منسوب إلى علي رضي الله تعالى عنه ، وهو أنه قال :

(كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان)

وقد تعلقوا به تعلقنا بكتاب ربنا ، وأرادوا أن ينصبوه حجة مع أنه أولاً لا يساندهم في معناه ، ثم هو لا يثبت عن هذا الصحابي ، إذ لم تذكره كتب السنن ، ولا أي كتاب منها ، بل هو مسطور في بعض كتب المتأخرين ، كمسند الرملي ، وكنت قد تحريت عنه فوجدته متسرباً من كتب الرافضة ، وقد وجدته بنفس اللفظ في كتاب «الكافي» للكليني ، الذي تعتمده الشيعة (*) كاعتمادنا على البخاري ، هذا مما يدل على أن أصله من عند المعتزلة (**) الذين كانوا يقولون : (الله في كل مكان) حتى غلا بعض المتصوفة (***) فيه كابن عربي والقونوي

---

(١) « الفتوى الحموية الكبرى » (ص/٦٢) وانظر « مجموع الفتاوى » (٥/١٠٦) .

(*) أنظر (ص / ٣٨٤).

(* *) أنظر (ص / ٣٨٤).

(* * *) سموا بذلك نسبة إلى اللبسة الظاهرة ، وهي الصوف غالباً ، وقد مر التصوف بعدة

وابن الفارض ، وغيرهم من الدجاجلة والملاحدة (*) ، وقد كنت رددت في رسالة لي سابقة ، أوضحت فيها معنى هذا القول ، وكيف كان أصله ، فشقه الأول صحيح المعنى ، لأنه مستفاد من حديث النبي ﷺ : «كان الله ولم يكن شيء قبله . . .» [1] ولكن الزيادة (وهو الآن على ما عليه كان) من وضع الزنادقة ، أهل وحدة الوجود ، الذين يقولون : نفس هذا الكون بما فيه هو عين ذات الله ، فتعالى عن قولهم علواً كبيراً . وهذا واضح من قولهم : (كان الله ولا مكان) أي كان منذ الأزل وليس معه أحد ، وهو لا يزال كما هو ، لم يجد عليه شيء ، فنفس هذا الكون أزلي وهو الله ، لأنه كان ولا شيء معه ، وهو الآن لا شيء معه كما كان ، فهذا هو قصد الملاحدة ، ولكن غفل عنه هؤلاء الرعن .

وانظر إلى قول ربِّ أهل وحدة الوجود محيي الدين بن عربي ، فقد قال : (ما لا بد للمريد منه ، وكذلك جاء في السنة «كان الله ولا

مراحل . فقد كان في أوله زهداً في الدنيا وإنقطاعاً لعبادة الله عز وجل ، ثم صار حركات ومظاهر خالية من الروح والعبادة ثم صار إلحاداً وخروجاً عن دين الله فقالوا بالخلود ووحدة الوجود وإباحة الحرمات وترك الواجبات وعلم الباطن .

أنظر في مذهبهم : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص/٨٧ ، ١١٥) المرشد الآمين إلى إعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص/١٣٠) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لشيخنا الفاضل عبدالرحمن عبدالخالق .

(*) الملاحدة : جمع ملحد . والإلحاد في اللغة الميل والعدول ، والالحاد مذهب من ينكر وجود الله ، وقد يطلق على المتشكك الذي يتظاهر بالإقتناع دون عقيدة .

انظر المعجم الفلسفي (ص/٢٠ ، ١٧٤ ، ١٩٢) لسان العرب (٥/٤٠٠٥) .

(١) متفق عليه .

شيء معه» وزاد العلماء : وهو الآن على ما عليه كان ، ولم يرجع إليه من خلقه العالم وصف لم يكن عليه ولا عالم موجود . . . » [1] . فهذا اعتراف من كبيرهم أن هذا القول موضوع مختلق ، حيث نسب الشطر الآخر إلى العلماء .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(ومن أعظم الأصول التي يعتمدها هؤلاء الإتحادية الملاحدة المدعون للتحقيق والعرفان ما يؤثرونه عن النبي ﷺ قال :

«كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان» وهذه الزيادة وهو قوله (وهو الآن على ما عليه كان) كذب مفتري على رسول الله ﷺ ، اتفق أهل العلم بالحديث على أنه موضوع مختلق مفترى ، وليس هو في شيء من دواوين الحديث لا كبارها ولا صغارها ، ولا رواه أحد من أهل العلم بإسناد صحيح ولا ضعيف ، ولا بإسناد مجهول ، وإنما تكلم بهذه الكلمة بعض متأخري متكلمة الجهمية ، فتلقاه من هؤلاء الذين وصلوا إلى آخر التجهم - وهو التعطيل والإلحاد . .

وهذه الزيادة الإلحادية وهو قولهم (وهو الآن على ما عليه كان) قصد بها المتكلمة المتجهمة نفي الصفات التي وصف بها نفسه من استوائه على العرش . . وهم دائماً يهذون بهذه الكلمة . . وهي أجل عندهم من ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [2] ومن آية الكرسي . .) [3] .

---

(١) « مجموعة الرسائل والمسائل » لإبن تيمية (ج ٤ ص ١٠٥) ـ ط ١ دار الكتب العلمية .

(٢) سورة الإخلاص الآية (١) .

(٣) « مجموعة الرسائل والمسائل » (ج ٤ ص ١٠٥ ـ ١٠٦) .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (*) رحمه الله منبِّهاً :

(تنبيه : وقع في بعض الكتب في هذا الحديث «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان» وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث ، نبَّه على ذلك العلامة تقي الدين بن تيمية ، وهو مسلَّم في قوله (وهو الآن) إلى آخره) (1) .

أبعد أن علموا بأننا لا نقول : ربنا في مكان وجودي كما يظنون ؟ ولا يثبت ما احتجوا به ، ولا يجوز لهم إلا أن يقولوا كما قال الله ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي في العلو ، حيث لا مكان مخلوق هناك ، بل هو مكان عدمي خارج الكون لا داخله ، أبعد كل هذا يستمرون في نقلهم لهذا القول المخترع ؟!!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية لمن قال : إن الله لو أثبتناه في السماء لقلنا بتحيزه وهذا لا يجوز : (إن أراد بالحيز أمراً عدمياً فالأمر العدمي لا شيء ، وهو سبحانه بائن عن خلقه ، فإذا سمي العدم الذي فوق العالم حيزاً وقال : يمتنع أن يكون فوق العالم لئلا يكون

(*) هو شيخ الإسلام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي ولد سنة (٧٩٣هـ) برع في الحديث وتقدم في جميع الفنون ، حكي أنه شرب من ماء زمزم ليصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ من مؤلفاته « فتح الباري » و « تهذيب التهذيب » و « تغليق التعليق » . توفي سنة (٨٥٢هـ) .
انظر « الضوء اللامع » (٢/٣٦ - ٤٠) و « الجواهر والدرر » للسخاوي .
(1) « فتح الباري » (ج ٦ ص ٢٨٩) .

متحيزاً فهذا باطل ؛ لإنه ليس هناك موجود غيره حتى يكون فيه)[1] .

هل لا يهمهم إلا أن ينقلوا عن علي رضي الله تعالى عنه من غير نظر في إسناد ، أو اعتماد عليه ؟

فإن كان هذا ما يريدون فهناك روايات كثيرة عن علي رضي الله تعالى عنه ، فلينقلوها إن كان الإسناد لا يهمهم ، فمن ذلك ما يروي عنه مرفوعاً أيضاً كحديث :

«يقول الله تعالى : وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية ولا بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي وتحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحوَّلت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي . . . »[2] .

فها هي رواية على الأقل لها إسناد ينظر فيه ، فلماذا يعرضون عنها ليتعلقوا بقول أشبه ما يكون بسجعه بأقوال أصحاب المنطق وأرباب الكلام ؟!

---

(١) [نقص تأسيس الجهمية ـ ط ١ ـ مطبعة الحكومة ـ مكة المكرمة ـ ص ٥٢١) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة وإبن حيان وإبن مردويه وإبن القيم في « الجيوش » (ص ٥٣) وقال : [وأبو أحمد العسالي في كتاب المعرفة] .

قال الله تعالى :

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (١)

ها هو دليل آخر على علوه سبحانه ، إذ يقول [إِلَيْهِ] ، فإني أسائلكم : لمن هذا الضمير يا فاقدي الضمير ؟ أهو للشيطان أم للرحمن ؟ وإلى من هذا الصعود ؟! إنه إلى المولى جل في علاه ، إذ إليه يصعد الكلم الطيب ، ومن هذا الكلم نطقنا بأن ربنا في السماء ، وأما نطقكم بأنه ليس فيها فهو من الكلم الخبيث ، لأنه قد أوحى به إبليس ، فكنتم له قرة عين ، وكان قولكم زلفى لديه ، ألا بئس ما تفترون .

ومن العمل الصالح الذي يرفع هذا الكلم الطيب جهادنا إياكم ، يا من تنكرون علوه فوق سمواته ، و ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ﴾ دليل وجوده فوق مخلوقاته . فالصعود لا يكون إلا إلى الأعلى ، والرفع كذلك .

وقد تنطع بعضكم فقال : ليس المقصود الصعود ، وإنما هو كناية عن تقبل الأقوال والأعمال(*) .

---

(١) سورة فاطر الآية (١٠) .

(*) وممن قال بهذا القول من المتقدمين الجويني انظر «الشامل في أصول الدين» (ص / ٥٤٦).

وهذا يرد بعون الله بدين الله ، ففي حديث عبدالله بن السائب أن الرسول ﷺ قال ـ عن وقت يقع بعد الزوال ـ :

«إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء ، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح»[1] .

ففي هذا القول النبوي دليل واضح على أن هذا الصعود على حقيقته ، وذلك في قوله (تفتح فيها أبواب السماء) فلماذا أبواب السماء تفتح ؟ أليس لأن هذا الصاعد إنما هو صاعد إلى المولى جل في علاه .

فأي تأويل من تأويلاتكم له عامود فقري يقيم صلبه ؟ والله ما وجدنا في قول من أقوالكم يوماً وجهاً عليه جلد ، بل لا نجد إلا أقفاء تدعوك أو تدعو الأكف إلى صفعها ، أما وجدتم ما سطره شيخ المفسرين الطبري في تفسيره حيث قال :

(وقوله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يقول تعالى ذكره :

إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه)[2][*] .

---

(١) قال شيخنا الألباني : [أخرجه الترمذي وحسنه أحمد (٣/٤١١) وسنده صحيح] « مختصر العلو » (ص ٩٦) .

(٢) « جامع البيان » (م ١٠ ج ٢٢ ص ٨٠) .

(*) وممن احتج على إثبات علو الله تعالى من خلال هذه الآية كل من الباقلاني في كتابه «الابانة» والبخاري في «خلق أفعال العباد» وابن قتيبة وعبدالقادر الجيلاني وابن الحسن بن مهدي تلميذ الأشعري .

قال الله تعالى :

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (١)

سبحان الله كيف يتجرأ لسان الجاحدين بالنطق أمام كل هذه الأدلة ، فها هو قوله تعالى في سورة أسماها «المعارج» أي المصاعد ، حيث يقول ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ أي تصعد ، فالعروج هو الصعود لم يخالف في ذلك أحد من أهل التفسير ، ثم قال ﴿إِلَيْهِ﴾ فهل يعني هنا جبريل أيضاً ؟ لا والله بل هو الله عز وجل ، لأن جبريل مع هؤلاء الذين يعرجون ، حتى قال الكثير من المفسرين أن المقصود من الروح هنا هو جبريل نفسه ، وهذا الذكر كان من قبيل ذكر الخاص بعد العام ، فهل المعنى (تعرج الملائكة إلى جبريل) أو (تعرج الملائكة وجبريل إلى جبريل) ؟!! لا أبداً . .

قال الإمام الطبري رحمه الله :

(يقول تعالى ذكره : تصعد الملائكة والروح وهو جبريل عليه السلام إليه يعني إلى الله جل وعز ، والهاء في قوله ﴿إِلَيْهِ﴾ عائدة على اسم الله) (٢) .

---

(١) سورة المعارج الآية (٤) .

(٢) « جامع البيان » (م ١٢ ج ٢٩ ص ٤٤) .

فإذا كانت هذه الملائكة التي هي في السموات تصعد إلى ما هو أعلى منها ، ألا يدل هذا على تحتية من هم فوقنا بالنسبة لربهم ؟ لاسيما أن هذا العروج يستغرق خمسين ألف سنة ، وهو يوم بالنسبة للملائكة ، وقال بعضهم كابن عباس وغيره رضي الله عنهم أن ذلك اليوم هو يوم القيامة ، يجعله الله على الكافرين خمسين ألف سنة لشدته وهوله ، وأن الملائكة والروح يعرِجون إلى الله في يوم هذا مقداره على الكافرين يوم القيامة .

قال محمد بن إسحق بن خزيمة رحمه الله :

(مفهوم عندهم ـ أي العرب ـ أن المعارج المصاعد ، قال الله تعالى :

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ وإنما يعرج الشيء من أسفل إلى أعلى وفوق لا من أعلى إلى دون وأسفل ، فتفهموا لغة العرب لا تغالطوا) (١) .

وقال مجاهد في هذه الآية : (يقال : ذي المعارج الملائكة تعرج إلى الله) (٢) .

---

(١) « التوحيد » (ص ١١٢) .

(٢) أخرجه البخاري (١٧٧/٨) .

قال الله سبحانه :

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [1]

أنظروا يا سفهاء الأحلام ، ويا أصحاب المنطق والكلام ، إلى كلام ربنا أبعده كلام ؟!

أمعنوا النظر ، وحدقوا البصر ، ولا تعرضوا يا أراذل الناس ، بل يا أفراخ الجهمية ويا مخانيث المعتزلة الأنجاس .

ها هو ربنا يخبرنا أنه يدبر الأمر من أين ؟ (من السماء) وإلى أين ؟ (إلى الأرض) ألا يدل ذلك عندكم أنه يدبر الأمر من فوق حيث هو إلى تحت حيث نحن ؟ فسبحان الله !

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيمِ

فقوله ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مسبوق بذكر الإستواء على العرش ، الذي هو فوق السموات السبع ، ومعقب عليه بقوله ﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي (يصعد إليه) أي إلى الله تعالى . قال ابن خزيمة رحمه الله :

(أليس معلوماً في اللغة السائرة بين العرب التي خوطبنا بها وبلسانهم نزل الكتاب أن تدبير أمر السماء إلى الأرض إنما يدبره المدبر وهو في السماء لا في الأرض) [2] .

---

(١) سورة السجدة الآية (٥) .

(٢) « التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل » لابن خزيمة (ص ١١١ ـ ١١٢) .

قال الله تعالى :

﴿يَاْ عِيْسَىْ إِنِّيْ مُتَوَفِّيْكَ وَرَاْفِعُكَ إِلَيَّ﴾ [1]

قولوا لنا أليس هذا كافياً لإلجامكم ، ودحض أقوالكم ؟ وبودنا أن نسألكم سؤالاً وهو : أين عيسى الآن ؟ هل ستقولون : بلا مكان أيضاً ؟ هذا الجواب الذي أخذ لسانكم عليه ؟ بلا شك ولا ريب لن تتجرؤوا ، بل ستقولون : هو في السماء حيث قدَّر له ربه ، وها هو الله يقول :

﴿يَاْ عِيْسَىْ إِنِّيْ مُتَوَفِّيْكَ وَرَافِعُكَ﴾ فهل قلتم : رفع المرتبة والمكانة ؟ فإن زعمتم ذلك فقد أبطله ربكم بقوله ﴿إِلَيَّ﴾ هذا الحرف الذي جاء بعد الفعل دال على جهة الوجود .

وقولكم باطل من وجه آخر ، وهو أن المسألة لو كانت للمكانة والمرتبة لأصبح المعنى (يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى مرتبتي ومكانتي) وهذا هو الكفر بعينه ، فلو قلتموه أو نطقتم به لكنتم قرناء النصارى وأشياعهم ، إذ كيف يرفع مخلوق إلى مكانة ومرتبة الخالق ! اللهم غفراً .

لا يمكنكم إلا أن تقولوا : رفعه إلى السماء ، فقد روى الإمام

---

(1) سورة آل عمران الآية (٥٥) .

الطبري عن الحسن رضي الله تعالى عنه أنه قال :

(رفعه الله إليه ، فهو عنده في السماء) [1] .

(شبهة) :

قد يقول بعضكم من جهله : كيف تقولون رفعه الله إليه وعيسى لم يتعد أربع سماوات، والله فوق سبع سماوات كما تدعون ؟

نقول : قولكم هذا مردود من وجهين :

١ ـ لما كانت جهة العلو هي اللائقة بذات الباري دون السفل ، صارت تنسب إليه بحيث أنه شرَّفْ الملائكة حينما أسكنها في السماوات التي هي فوق الأرض ، ولهذا يقال : الملائكة عند الله لأنهم في جهة العلو التي تليق به سبحانه ، وهم من غير شك دونه ، فله أعلى العلو ، ويقول تعالى عنهم :

﴿إِنَّ ٱلَّذِيْنَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُوْنَهُ وَلَهُ يَسْجُدُوْنَ﴾ [2] أي إن الملائكة الذين هم في السماء عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ، وورد مثل ذلك في قوله ﷺ :

«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن **عنده**» [3] .

---

(١) « جامع البيان » (م ٣ ج ٣ ص ٢٠٣) .

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٦) .

(٣) رواه أحمد ومسلم (٢٦٩٩) وغيرهما .

فعلى ضوء ما قلنا تكون لفظة (إليّ) لا تعني حيثية الوجود وإنما جهتها ، لأننا نعلم بأن الملائكة لا تصعد إلى ما فوق العرش حيث رب العالمين سبحانه ، بل بعضها لا يصل إلى السماء الثانية ، وبعضها لا يصل إلى الثالثة ، وورد أن جبريل عليه السلام عندما عرج بالرسول ﷺ إلى السماء السابعة توقف عند حدوده ، ومن المعلوم أن الله تعالى كان يرسله إلى أنبيائه ورسله ، فينزل بالوحي من ربه كما في قوله سبحانه :

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [1] .

فبعد ما قلنا يتضح معنى قوله تعالى :

﴿يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي إلى جهة وجودي ، كما هو بين في قوله سبحانه :

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ فهنا وردت لفظة (إليه) ولم يقصد بها حيثية الوجود بل جهتها ، لأن الملائكة لا تصعد إلى ما فوق العرش ، وقد قال الإمام الحارث بن أسد المحاسبي رحمه الله :

(فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله عز وجل ، وإن كانوا لم يروه ولم يساووه في الإرتفاع في علوه ، فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلى العلو الذي الله تعالى فوقه ، وقال تعالى : ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [2]) [3] .

---

(١) سورة النحل الآية (١٠٢) .

(٢) سورة النساء الآية (١٥٨) .

(٣) « اجتماع الجيوش » (ص ١٧٢) .

٢ ـ ووجه الرد الثاني أننا لا نسلم معكم بأن لفظة (إليه) إذا قصد بها حيثية الوجود تبطل الحق ، وذلك لأنه ما يدرينا لعل الله تعالى توفاه من الأرض ورفعه ليلاً كما هو المتبادر ، واذ أن يهوذا دل اليهود عليه ليلاً وحواريوه نيام ، ونحن نعلم يقيناً من ديننا كما ورد في سنة النبي ﷺ وتواترها أن ربنا تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ، فيكون سبحانه قد رفع عيسى إلى السماء أثناءها ، وعلى كل فهذا لم نقله من باب الإعتماد ، بل من قبيل سد النوافذ أمام أدنى حجة قد يظنها أهل الباطل دليلاً ، فيعولون عليها تعويلاً .

قال الله سبحانه :

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ ٱلَّذِيْ خَلَقَ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلأَرْضَ فِيْ سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىْ عَلَىْ ٱلعَرْشِ﴾ (١)

هيا انظروا معنا إلى كتاب ربنا كيف يذكر فيه العلي الأعلى استواءه على العرش ، وقد ذكره في سبع مواضع في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فمن أين لكم المخرج ؟!

إننا نعلم ولا شك أن العرش فوق السماوٰت السبع ، ونعلم أن ربنا عندما خلق الأرض وقدر فيها أقواتها صعد إلى السماء وارتفع ، حتى علا واستقر على عرشه العظيم الذي نسبه إليه في غير آية من كتابه ، فهو رفيع الدرجات ذو العرش .

كيف لا تستحيون من قولكم بأن معنى (استوى : استولى) ؟! فمن كان قبل ربكم حتى يغلبه الله ثم يستولي على العرش ؟! إن الذي ساقكم إلى هذا التأويل الشنيع والتعطيل الفظيع إنما هو شغفكم بإنكار علو بارئكم العلي الأعلى . والمستغرب أنه خفي عليكم أن التخصيص في الإستيلاء على العرش باطل ، لأن الله تعالى مسيطر على كل الكون ، فلماذا يخص العرش ؟!!

---

(١) سورة الأعراف الآية (٥٤) .

يقول حافظ المشرق ، وبطل السنة ، الإمام أبو سعيد الدارمي : (قالوا : تفسيره عندنا أنه استولى عليه وعلاه .

قلنا : فهل من مكان لم يستولِ عليه ولم يعله حتى خصَّ العرش من بين الأمكنة بالإستواء عليه ، وكرر ذكره في مواضع كثيرة من كتابه ؟ فأي معنى إذاً لخصوص العرش ، إذ كان عندكم مستوياً على جميع الأشياء كاستوائه على العرش تبارك وتعالى ؟ هذا محال من الحجج وباطل من الكلام ، لا تشكون أنتم إن شاء الله في بطوله واستحالته ، غير أنكم تغالطون به الناس)[١] .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله :

(ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم ـ إذا دعوا ـ نحو السماء لأن الله عز وجل مستو على العرش الذي هو فوق السموات ، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها ـ إذا دعوا ـ إلى الأرض ، وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن قول الله عز وجل ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[٢] : إنه استولى وملك وقهر ، وإنه عز وجل في كل مكان ، وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه ، كما قال أهل الحق ، وذهبوا في الإستواء إلى القدرة ، ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض)[٣] .

---

(١) « الرد على الجهمية » للدارمي (ص ١٨) .

(٢) سورة طه الآية (٥) .

(٣) « الإبانة » للأشعري (ص ٧٠) .

وأورد السيوطي رحمه الله نفسه هذا المعنى الفاسد ، ونقل في رده قائلاً : (ورُدَّ بوجهين :

أحدهما : أن الله تعالى مستولٍ على الكونين والجنة والنار وأهلها ، فأي فائدة في تخصيص العرش بالذكر ؟

ثانيهما : أن الإستيلاء إنما يكون بعد قهره وغلبته ، والله تعالى منزه عن ذلك) [1] .

وقد أبطل هذا التفسير الحجة اللغوية ، معجم عصره وزمانه الإمامُ ابن الأعرابي الذي درس عليه حافظ المشرق الإمام الدارمي .

عن نفطويه [2](*): حدثنا داود بن علي قال :

(كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال : يا أبا عبدالله ما معنى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ؟ قال : هو على عرشه كما أخبر ، فقال الرجل : ليس كذلك إنما معناه : استولى . فقال ابن الأعرابي : اسكت وما يدريك ما هذا ؟ العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد ، فأيهما غلب قيل استولى ، والله تعالى لا مضاد له ، وهو على عرشه كما أخبر.

---

(١) « الإتقان » للسيوطي (٢/ ٩) .

(٢) نفطويه شيخ العربية توفي سنة (٣٢٣هـ) .

(*) هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي - الملقب - نفطويه النحوي الواسطي ، له التصانيف الحسان في الآداب ، وكان عالماً بارعاً ولد سنة (٢٤٤هـ) وقيل سنة (٢٥٠هـ) بواسط وسكن بغداد وتوفي سنة (٣٢٣هـ) وقيل سنة (٣٢٤هـ) .
انظر الوفيات (١/ ٤٧) تاريخ بغداد (٦/ ١٥٩) .

ثم قال : الإستيلاء بعد المغالبة قال النابغة :

إلّا لمثلك أو من أنت سابقه   سبق الجواد إذا استولى على الأمدِ)[1]

ويقول الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله :

(أفلا يستحي من الله من في قلبه أدنى وقار لله ولكلامه أن ينسب ذلك إليه ، وأنه أراده بقوله ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ أي اعلموا يا عبادي أني بعد فراغي من خلق السموات والأرض غلبت عرشي وقهرته واستوليت عليه)[2] .

كيف تنسبون إلى الله هذه المعاني الفاسدة من دون نظر في مقتضياتها الشنيعة ، مع أنكم تحملون لواء التنزيه وتدّعونه ؟ لم يكن في جعبتكم إلا ذلك البيت الشعري المصنوع الذي لم تعرف شخصية صاحبه ، بلٍ حتى بلده ، ولم يظهر في بطن كتاب واحد من كتب التاريخ فضلاً عن حاشية من حواشي أهل المعرفة ، بل الكل من أركان اللغة وأصحابهم تقززوا منه وأظهروا زيفه ، وتكلموا عليه وهو قول قائله :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف أو دم مهراقِ

(١) أخرجه اللالكائي (١/٩٢/١) وغيره وقال عن إسناده شيخنا الألباني : [وهذا إسناد صحيح] مختصر العلو (ص ١٩٥) وأنظر « تهذيب اللغة » لإمام العربية ابن الأزهر الهروي (١٣/١٢٣ - ١٢٥) و « لسان العرب » « لابن منظور » (٣/١٢٦٤) و « مفردات غريب القرآن » (ص ٢٥١) ط الحلبي .

(٢) « مختصر الصواعق المرسلة » (ص ٣١٥) .

قال ابن الجوزي رحمه الله :

(وبعضهم يقول : استوى بمعنى استولى ويحتج بقول الشاعر :

حتى استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

. . . وهذا منكر عند اللغويين) [1](*) .

وقال الخطَّابي (**) رحمه الله :

(وزعم بعضهم أن الإستواء هاهنا بمعنى الإستيلاء ، ونزع فيه إلى بيت مجهول لم يقله شاعر معروف يصح الإحتجاج بقوله) [2] .

وقال العلامة شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله :

(إن هذا البيت محرف وإنما هو هكذا : بشر قد استولى على العراق) هكذا لو كان معروفاً من قائل معروف ، فكيف وهو غير معروف في شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يرجع إليها . .

إنه لو صح هذا البيت ، وصح أنه غير محرف ، لم يكن فيه حجة بل هو حجة عليهم ، وهو على حقيقة الإستواء ، فإن بشراً هذا كان أخا عبد الملك بن مروان وكان أميراً على العراق فاستوى على

---

(١) « زاد المسير في علم التفسير » لإبن الجوزي (٣/٢١٣) .

(*) وقال ابن عبدالبر في التمهيد (٧/١٣١) وقولهم استوى استولى فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة أ . هـ.

(**) هو أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي من ولد زيد بن الخطاب، ولد سنة (٣١٩هـ) وتوفي سنة (٣٨٨هـ) له مصنفات منها « معالم السنن » و « الغنية عن الكلام وأهله » و « شأن الدعاء » .

انظر التذكرة للذهبي (٣/٢٠٩) .

(٢) « شعار الدين » للخطابي وأنظر « مختصر الصواعق » (٣٠٧) .

سريرها كما هي عادة الملوك ونوابها أن يجلسوا فوق سرير الملك مستوين عليه ، وهذا هو المطابق لمعنى هذه اللفظة في اللغة . .

إن استواء الشيء على غيره يتضمن استقراره وثباته وتمكنه عليه . . قد استوى بشر على العراق ، فإنه يتضمن استقراره وثباته عليها . . إنه لو كان المراد بالبيت استيلاء القهر والملك لكان المستوي على العراق عبد الملك بن مروان لا أخوه بشر ، فإن بشراً لم يكن ينازع أخاه الملك ولم يكن ملكاً مثله ، وإنما كان نائباً له عليها ووالياً من جهته ، فالمستولي عليها هو عبد الملك لا بشر بخلاف الإستواء الحقيقي وهو الإستقرار فيها والجلوس على سريرها ، فإن نواب الملوك تفعل هذا بإذن الملوك) (١) .

قلت : رحم الله ابن القيم ما أثبته في العربية وما أفهمه ، أين هؤلاء من هذا العلم النفيس .

وقال أيضاً ابن حزم الظاهري (*) عليه رحمة الله يرد هذا البيت :

---

(١) « مختصر الصواعق المرسلة » لإبن القيم (ص/٣١٢ - ٣١٣) ط دار الكتب العلمية .

(*) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم . ولد سنة (٣٨٤هـ) بقرطبة وقيل (٣٨٣هـ) والأول أرجح ، نشأ في بيت ابيه الذي حرص على تعليمه من الصغر فدفعه إلى النساء لتربيته وتعليمه وما أن بلغ السادسة عشرة حتى بدأ بالدراسة على المشايخ ، له تصانيف منها « المحلى » و « والأحكام في أصول لأحكام » ، انتصر لمذهب داود بن على الأصفهاني . توفي سنة (٤٥٦هـ) وكان عمره ٧٧ سنة .

انظر الوفيات لإبن خلكان (٣/٣٢٠) الشذرات (٣/٣٩٢) و « طوق الحمامة » .

(وهذا فاسد لأنه لو كان ذلك لما كان العرش أولى بالاستيلاء عليه من سائر المخلوقات ، ولجاز لنا أن نقول : الرحمن على الأرض استوى ، لأنه تعالى مستول عليها وعلى كل من خلق ، وهذا لا يقوله أحد فصار هذا القول دعوى مجردة بلا دليل) [١] .

فكيف يتعلقون بالمخترعات ، ويتركون المأثورات في تفسير الآيات ؟!! ها هو مجاهد إمام تفسير وحسبهم به يقول :

(استوى : أي علا على العرش) [٢] ولا يخفى على أحد يفهم العربية قول الرجل : علوت على الدابة ، والفرق شاسع بين العبد وربه ، فإذا استوى هو على كرسيه فذلك غالباً لحاجة وافتقار ، أما رب العالمين سبحانه إذا استوى على عرشه فذلك عظمة وكبرياء .

ويقول ابن جرير الطبري رحمه الله :

(وأما قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي ثم علا عليه) [٣] .

وقال بشر بن عمر الثقة :

(سمعت غير واحد من المفسرين يقولون : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى

---

(١) « الفصل في الملل والنحل » لابن حزم (١٢٣/٢) - ط دار الفكر .

(٢) ذكره البخاري في « صحيحه » في « الرد على الجهمية » أو في كتاب « التوحيد » (٤٠٣/١٣ - فتح) .

(٣) « جامع البيان » (٦٢/١٣) .

﴿ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قال : على العرش ارتفع) [1] .

فهاهم رجالات الإسلام يبينون معنى هذا الإستواء الذي لا يخفي على فاهم ، وكيف أن الله استوى عليه حقيقة من غير احتياج أو افتقار ، وخصه بذلك دون سائر المخلوقات ، لأنه خلقه لهذا الشأن ، فسبحانه لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض وهو ذو العرش المجيد .

قال الإمام القرطبي (*) في تفسيره :

(ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه على عرشه حقيقة ، وخص عرشه بذلك لأنه أعظم مخلوقاته) [2] .

أبعد الذي سقنا من التفسير ، وأقوال أهل العلم يقال بالاستيلاء ؟ والله من قال به فقد استولى عليه إبليس بما طرحه من تلبيس . أعود وأقول ولا بد من أن أكرر ذلك المعنى الشنيع المفضي إليه ذلك القول المريع ، وهو تفسير الإستواء بالاستيلاء ، هل هناك آلهة غير الله نازعها واستولى على العرش بعد غلبته لها ؟! معاذ الله يا

---

(١) رواه اللالكائي في « السنة » (١/٩١/٢) وقال شيخنا الألباني عن إسناده) [وهذا إسناد صحيح مسلسل بالثقات الحفاظ] « مختصر العلو » (ص ١٦٠) .

(*) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر ، كان من عباد الله الصالحين ، والعلماء العارفين، الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بالآخرة. من مؤلفاته «الجامع لأحكام القرآن» و «التذكار في أفضل الاذكار» توفي سنة (٦٧١هـ).

(٢) « تفسير القرطبي » (٧/٢١٩) .

أصحاب التنزيه ! أَقَصَدَ ربكم العرش وقهر تلك الآلهـة الجالسـة عليه ثم استولى هو عليه ؟!

إن هـذه العقيدة وهـذا القول الخسيس ليس ببعيـد عن عقيـدة الرومان بل الفراعنة كما لاحظنا في فعل فرعون الذي ادعى الألوهية ، وأقنع الرعية بأنه ابتغى العرش ، وقتل إله موسى .

ويكفي دلالة على بطلان قولهم حـديث قتادة بن النعمـان رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول :

«لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه» [1] .

فهم يقـولـون : استـولى ، وهي صفـة أزليـة عنـدهم ، فـأين يذهبون بقول النبي ﷺ هنا الـذي يصبح معنـاه على مقتضى قـولهم أن (الله لـما فرغ من خلقـه أي من خلق السماوٰت والأرض استـولى عـلى عرشه) فهل هناك أقبح وأشنع من هذا القول في حق الله !! هـل كان العرش بحوزة أحد في فترة تخليقه للسماوٰت والأرض ؟! وكذلك قـوله تبارك وتعالى :

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فـلأي شيء [ثم] ، ألا تفيـد التعـاقب ؟ إذ على مقتضى قـولهم يصبح المعنى : (إن ربكم الله الـذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استولى على العرش) .

---

(١) رواه الخلال في « السنة » قال ابن القيم : [بإسنـاد صحيح عـلى شرط البخاري] « الجيـوش » (٥٤) وقـال الحـافظ الـذهبي : (رواتـه ثقـات] « مختصر العلو » (ص ٩٨) .

(شبهة) :

قال قائل منكم : نعم استولى عليه وقهره لأنه لم يكن ، فعندما خلق السماوات والأرض بعدها خلق العرش واستولى عليه .

قلت :

هذا باطل بدين الله تعالى لأسباب :

١ - إن الله ذكر في الآية خلق السماوات والأرض ، ولم يذكر خلق العرش بل الإستواء عليه ، قال سبحانه أيضاً في آية أخرى :

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (١) . فنرى فعل التخليق مسنداً إلى الله ، وواقعاً على السموات والأرض دون العرش .

٢ - جعل الله (واواً) بين لفظ (السماوات) ولفظ (الأرض) وجعل (ثم) بعد ذلك ، فلو كان العرش مع السماوات والأرض لقال (السماوات والأرض والعرش) .

٣ - ثبت في السنة أن العرش مخلوق قبل السماوات والأرض ، كما في حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال :

«قدَّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء» (٢) .

---

(١) سورة هود الآية (٧) .

(٢) رواه مسلم .

فهذا الحديث ناصع إذ دلَّ على أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وهذا يدل على أنه خلقه قبل ذلك بكثير . ومثله في الأدلة أيضاً قوله ﷺ :

«كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء»[1] أي كان الله ولا سماوات ولا أرض ، وكان على عرشه الذي هو فوق البحر المسجور الموجود الآن فوق السماوات السبع ، وقد ورد في الرواية «.. وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السماوات والأرض» . وهي عند البخاري فقوله [ثم خلق] ليس بعده وضوح . فهل يعقل أن يقول قائل : كان الله مستولياً على العرش ، فعندما أراد أن يخلق السماوات والأرض بطل استيلاؤه عليه ، ثم عندما فرغ عاد فاستولى عليه ؟! حاشالله تعالى أن تكون هذه صفته .

إننا نؤمن باستواء ربنا على حقيقته كما أمرنا ، وننزهه عن أن يماثلنا ، إذ استواؤنا لحاجة وافتقار ، أما استواؤه ، فلكمال وجمال من كل اعتبار .

قال ابن جرير رحمه الله في كتابه «صريح السنة» :

(وحسب امريء أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى ، فمن تجاوز إلى غير ذلك فقد خاب وخسر)[2] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب « بدء الخلق » من صحيحه .

(٢) انظر « اجتماع الجيوش »(ص ١١٩) وقد رواه الحافظ الذهبي في « العلو » وقال شيخنا الألباني : [رواه اللالكائي في « شرح أصول السنن » (١/٤٩/١) وسنده صحيح] « مختصر العلو » (ص ٢٢٤) .

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله :

(فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستو على عرشه ، لا نبدل كلام الله ، ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا كما قالت المعطلة الجهمية أنه استولى على عرشه لا استوى ، فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم ، كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حنطة) [١] .

ويقول ابن شيخ الحزاميين رحمه الله :

(فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة ، مثل تأويل الإستواء بالاستيلاء وغيره ، والوقوف في ذلك جهل وعيّ ، مع أن الرب سبحانه وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها) [٢] .

قالوا : لقد أثبتنا قولنا بأثر عن صحابي ، وهو ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال :

(إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته ولم يتخذه مكاناً لذاته) قلنا لهم : هذا موضوع منسوب إلى علي رضي الله عنه كالذي سبقه ، ولم يعرف له وجه ، ولم يسطره أحد من أصحاب المعرفة بالسنن في كتابه معتمداً عليه ، بل هذا القول وغيره مثله يشم منه رائحة التجهم والإعتزال ، وهو مردود بالكتاب والسنة واللغة وأقوال السلف ، كبيرهم وصغيرهم ، وخاصتهم وعامتهم ، وماذا يظهر لنا منه أصلاً حتى يكون مخلوقاً إظهاراً لقدرة الله ؟ فالله تعالى مثلاً يقول :

---

(١) « التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل » (ص ١٠١) .

(٢) « النصيحة في صفات الرب جل وعلا » لابن شيخ الحزامين (ص ٣٩) - ط ٣ المكتب الإسلامي .

﴿أَفَلا يَنْظُرُوْنَ إِلَىْ ٱلإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وإِلَىْ ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَىْ ٱلجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَىْ ٱلأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [1] .

ويقول جل جلاله :

﴿وَفِيْ ٱلأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوْقِنِيْنَ * وَفِيْ أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُوْنَ﴾ [2] . وهناك آيات كثيرة غيرها تدعونا إلى النظر وتحديق البصر فيما خلق الله ، لتدرك عظمة قدرته بالمشاهدة والمعاينة .

فماذا نرى من العرش حتى يكون مخلوقاً إظهاراً لقدرة الله تعالى ؟ بلا شك هذا القول ضرب من التخريص والكذب الرخيص . ولا يقل شناعة عن هذا القول ما نسبوه أيضاً إلى جعفر الصادق رحمه الله أنه قال :

(من قال أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد كفر) وهذا قول بريء منه صاحبه ، وهو أشبه ما يكون بأسلوب أهل المنطق الأرسطي والسقراطي ، فإنه منطق السفسطة وأسلوب الزندقة .

لقد تقرر من غير شك ولا ريب من كتاب الله تعالى أن الله في السماء ، فبطل أول شطر في هذا القول بطولاً حتمياً ، لا دخن فيه ، والشطر الثاني باطل بنفسه إذ ليس أحد من أهل القبلة يقول : الله من حديد أو من خشب أو من أي مادة مخلوقة ، بل هو الذات الإلهية النورانية المتصفة بصفات الكمال ونورها ليس من جنس نور الشمس

---

(١) سورة الغاشية الآية (١٧ - ٢٠) .

(٢) سورة الذاريات الآية (٢٠ - ٢١) .

أو القمر أو المصباح الكهربائي كلا وحاشا . والشطر الثالث باطل بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة وسائر الأمة لأنه علم بالنقل أنه مستو على عرشه فهو تعالى على العرش .

قال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل :

(وقد عرف أهل العلم أن الله فوق السماوات السبع والعرش. . . وقد أنكرتم أن الله على العرش وقد قال تعالى :

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [1] .

وقال الإمام أبو بكر الآجري رحمه الله :

(الذي يذهب إليه أهل العلم أن الله تعالى على عرشه فوق سماواته)[2] .

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني (*) رحمه الله :

(ويعتقد أهل الحديث ويشهدون أن الله سبحانه وتعالى فوق سبع سماوات على عرشه، كما نطق به كتابه في قوله عز وجل ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ . . . يثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى ،

---

(١) كتاب « الرد على الزنادقة والجهمية » (ص ٤٩) .

(*) هو أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، ولد بنيسابور سنة (٣٧٣هـ) وتوفي سنة (٤٤٩هـ) وهو مقدم أهل الحديث بخراسان . لقبه أهل السنة فيها بشيخ الإسلام . من تصانيفه « الرسالة » .

انظر الشذرات (٢٨٢/٣ ـ ٢٨٣) طبقات الشافعية (٢٧١/٤ ـ ٢٩٢) .

(٢) كتاب « الشريعة » للآجري (ص ٢٨٥) .

ويؤمنون به ، ويصدقون الرب جل جلاله في خبره ، ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش)[1] .

قولوا لنا كيف تريدوننا أن ننكر كون الله على عرشه مع أنه الثابت في القرآن والسنة ، وهو اعتقاد أهل الحديث ، ومذهب أهل العلم ؟!

على ضوء ما قلنا يكون الكفر على عكس ما قالوا ، إذ العجب لا يكاد ينتهي من شيء يشهد الرسول ﷺ لوجوده بالإيمان ، وأناس بكل وقاحة وحمرة عين يشهدون لوجوده بالكفر !

ننصحهم أن يبدلوا هذا القول ، أو يصححوه حتى يستقيم ، وليصبح بهذه الألفاظ :

(من قال أن الله في السماء وله نور وهو على العرش فقد آمن) .

تنبيه :

انظر معي يا أخي إلى أمر لا بد لي من أن أدلك عليه حتى تحذر وتحتاط وتنظر في جلية أمرك ، أنظر بل أمعن النظر في أقوالهم ، فالأول عن علي ، والثاني عن علي ، والثالث عن جعفر الصادق ، ألا يعني هذا عندك شيئاً ؟

إني أترك لك التأمل حتى تدرك باطن هذا الأمر .

أقول الباطن هلاَّ دريت . . .

---

(١) رسالة « عقيدة السلف وأصحاب الحديث » للمحدث الإمام الصابوني وهي ضمن مجموعة « الرسائل المنيرية » (م ١ ج ١ ص ١٠٩ - ١١٠) ط دار التراث العربي .

قال الله تعالى :

﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ فِيْ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [1]

هذه آية أخرى أيها الجهال ترد عليكم ، تذكر لكم الإنزال حتى تعلموا أن الكتب تنزل نزولاً لا تأتي ولا تصعد ، فكيف يكون النزول من أسفل إلى أعلى أم من أعلى إلى أسفل ؟ لا أظنكم جميعاً تبلغون ما بلغه أحدكم بقذارته عندما قال لي في أحد المساجد : إن من النزول ما يكون من أسفل إلى أعلى ، مما أضحك الملأ ، وكان يحمل في جعبته شيئاً من الجهل أظهره بلسانه ، ولكن الذي لقنه إياه كان أجهل منه ، إذ أقحم نفسه المقحمات حينما حمَّله بعض الآيات ليأتي بها إلينا جزلاً فرحاً ، يظن نفسه مالكاً للحجة ، ولكن المسكين غفل عن أن الذي أرسله بها لا يفهم العربية ، بل لم يشم رائحتها لأنه ليس من أهلها .

(شبهة) :

شبهة هذا الصبي تجلت كما قلت في استشهاده بآيتين من كتاب الله تعالى ، وهما قوله سبحانه :

﴿وَأَنْزَلْنَا ٱلْحَدِيْدَ فِيْهِ بَأْسٌ شَدِيْدٌ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [3] .

---

(١) سورة القدر الآية (١) . (٢) سورة الحديد الآية (٢٥) . (٣) سورة الزمر الآية (٦) .

فقد قال المعترض التافه : ها هو الإنزال ، وليس الحديد ينزل من السماء ولا الأنعام ، بل هو بمعنى الإخراج ، لأن الحديد يستخرج من الأرض .

نقول بعون الله وتوفيقه :

إن كل ما يسوقكم إلى هذه الإستشهادات إنما هو عدم فهمكم وتبصركم في لغة العرب ، إن الذي أدعيتموه عري عن الصحة ، إذ العرب لا تقول إذا جاء اليوم : نزل اليوم ، أو إذا صعد فلان : نزل فلان .

ألا ترون أن الله سبحانه وتعالى أطلق الإنزال ولم يُعَدِّه في هاتين الآيتين ، فلم يقل (وأنزلنا الحديد من كذا) أو (وأنزل لكم الأنعام من كذا) ولا يغرنكم أن الله تعالى أطلق الإنزال في قوله :

﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ فِيْ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أو قوله :

﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ فِيْ لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ (١) أو قوله :

﴿سُوْرَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ (٢) أو قوله :

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيْلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِيْنَ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الدخان الآية (٣) .

(٢) سورة النور الآية (١) .

(٣) سورة الشعراء الآية (١٩٢) .

لا تفرحوا بهذه الآيات لأننا نريد أن نعلمكم بأن المطلق من الإنزال لا يقتضي أن يكون على غير معناه الحقيقي ، بل هو في الأصل للحقيقة ، فإذا جاء لغيرها فيكون من باب المجاز .

وعلى كلٍّ فهناك من ألفاظ النزول والتنزيل بالقيود ما لا يسع أحداً تقريباً أن يحصره .

فإن قالوا : وما الفرق بين أن يكون مطلقاً وغير مطلق ؟

قلنا : الفرق كبير وشاسع ، لأن الإنزال أو النزول المطلق لا يعرف مصدره ، أما إذا وُجِدَ القيد فقد علم حينئذٍ إما المصدر أي المكان الذي نزل منه النازل ، أو المقصد أي المكان المقصود الذي ينزل إليه النازل ، أو يعلمان سوية بالقيدين . فبالقيود يتحول المستور من التفاصيل إلى مشهور .

ومن ذلك قوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (١) .

وقوله جل جلاله :

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٢) .

وقوله :

﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ (٣) .

---

(١) سورة النحل الآية (٦٥) . (٢) سورة الفرقان الآية (٤٨) .

(٣) سورة الواقعة الآية (٦٩) .

ولا تعارض بين أن ينزل الماء من السماء وأن ينزل من السحـاب وهي المـزن ، ففي الأول ذكر المصـدر الذي صـدر الماء منـه من بـاب المكان والجهة ، والثاني ذكر الشيء الذي صدر منه الماء ، ولا يخفى أن السحاب في السماء .

ومن ذلك قوله تعالى أيضاً :

﴿تَنْزِيْلُ الكِتَاْبِ مِنَ اللهِ ٱلْعَزِيْزِ ٱلْحَكِيْمِ﴾ (1) .

فتقييد التنزيل بقوله ﴿من الله﴾ يفيدنا بمعرفة مصدر المنـزل وهو الله تعالى ، وهذا يدل على أنه في السماء كـما أن رسولـه على الأرض ، ومثل ذلك قوله تعالى :

﴿بَلِّغْ مَاْ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (2) .

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوْحُ ٱلْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ (3) .

﴿تَنْزِيْلاً مِمَّنْ خَلَقَ ٱلأَرْضَ وَٱلسَّمَوَاْتِ ٱلْعُلَىْ﴾ (4) .

﴿تَنْزِيْلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيْمِ﴾ (5) .

---

(1) سورة الأحقاف الآية (٢) وسورة الزمر الآية (١) .

(2) سورة المائدة الآية (٦٧) .

(3) سورة النحل الآية (١٠٢) .

(4) سورة طه الآية (٤) والجميل أن هذه الآية عقب عليها مباشرة بقوله تعالى **﴿ الرحمٰن على العرش استوى ﴾** .

(5) سورة فصلت الآية (٢) .

﴿تَنْزِيْلٌ مِنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ﴾ (١) .

فكـل هذه الآيـات تذكـر أن المنزَّل قـد نزل من الله تعـالى ، إذ فَـرَّقَتْ بين المـاء الذي نـزل من السـماء وبـين القـرآن الـذي نـزل من الـرحمن ، وحكم المجـرور بـ[مِنْ] في هـذا البـاب حكم المضــاف ، فـالقرآن كـلام الله منه صـدر وإليه يعـود ، وذكر النـزول في كل هـذه الآيـات لم يكن عبثـاً ، بـل لأن الله تعـالى فـوقنـا في السـماء ، فـوق العرش ، منه نزل الكتاب .

فهذا الحرف [مِنْ] علمنا منه مصدر المنزَّل ، وقُيِّـدَ المنزَّل أيضـاً في مواضع أخرى بـ[إلى وعلى] للدلالة على مكـان الوصـول ، كقولـه تعالى :

﴿الْحَمْدُلِلَّهِ ٱلَّذِيْ أَنْزَلَ عَلَىْ عَبْدِهِ ٱلْكِتَاْبَ﴾ (٢) .

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَاْبَ بِٱلْحَقِّ﴾ (٣) .

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ ٱلأَمِيْنْ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ ٱلْمُنذِرِيْنَ﴾ (٤) .

فذكر فعل النزول في هذه الآية مع التعدية بـ[على] يبطل القول بأن الإنزال هو مجرد إيجـاد الوحي في قلب الـرسول ﷺ ، لأن جبـريل

---

(١) سورة فصلت الآية (٤٢) .

(٢) سورة الكهف الآية (١) .

(٣) سورة آل عمران الآية (٣) .

(٤) سورة الشعراء الآية (١٩٣ ـ ١٩٤) .

هو الذي نزل بالقرآن ، وهو ينزل من السماء من غير شك ، فالقران نزل معه من فوق ، من عند الله تعالى كما في قوله سبحانه :

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ . فجبريل هو روح القدس ، الذي نزل بالوحي من الله كما قال ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ .

ومما يزيد هذا النزول والإنزال عمقاً في أصله الحقيقي قوله تبارك وتعالى :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ تَنْزِيْلاً﴾ [1] .

فقد ذكر في هذه الآية مصدر فعل الإنزال معقباً به عليه ، مما يؤكد معناه الحقيقي ، لأن الفعل إذا ذكر بعده مصدره كان معيناً للحقيقة وراداً لاحتمال المجاز ، فأنت تقول : (قتلت قتلاً) و (ضربت ضرباً) ومن ذلك قوله تبارك وتعالى :

﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيْراً﴾ [2] .

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوْفُهَا تَذْلِيْلاً﴾ [3] .

﴿قَدَّرُوْهَا تَقْدِيْراً﴾ [4] .

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيْلاً﴾ [5] .

---

(١) سورة الإنسان الآية (٢٣) .

(٢) سورة الإنسان الآية (٦) .

(٣) سورة الإنسان الآية (١٤) .

(٤) سورة الإنسان الآية (١٦) .

(٥) سورة الإنسان الآية (٢٨) .

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾ [١] .

﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾ [٢] .

قال ابن القيم رحمة الله عليه :

(﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً﴾ [٣] رفع سبحانه توهم المجاز في تكليمه لكليمه بالمصدر المؤكد ، الذي لا يشك عربي القلب واللسان أن المراد به إثبات تلك الحقيقة ، كما تقول العرب :

(مات موتاً، ونزل نزولاً ، ونظائره) [٤] .

فكل هذه الآيات التي سقناها من أن الله يُنَزِّل الكتاب منه ، وأن الملائكة تصعد إليه ، وأنه يدبر أمر الممالك من السماء إلى الأرض ، وأنه استوى على عرشه الذي هو فوق سبع سموات ، وأنه رفع إليه عيسى وطهره من الذين كفروا ، أيعقل بعد كل هذا أن ينكر المنكر ويعرض المعرض !؟

يقول الإمام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله :

(ويلكم إجماع من الصحابة والتابعين وجميع الأمة ـ من تفسير القرآن والفرائض والحدود والأحكام : نزلت آية كذا في كذا ، ونزلت سورة كذا في كذا ، ولا تسمع أحداً يقول :

---

(١) سورة النبأ الآية (٢٨) .

(٢) سورة طه الآية (١٠٥) .

(٣) سورة النساء الآية (١٦٤) .

(٤) « مختصر الصواعق المرسلة » لابن القيم (ص ٤٧) .

طـلعـت مـن تحـت الأرض ، ولا جـاءت مـن أمـام ولا مـن خلف)[1] .

وإن قال لنا المتنطع : ولماذا سُمِّيَ إذاً في آية الحديد وآية الأنعام الإخراجُ إنزالاً ؟

قلنا له : ومن قال أو سلَّم بأنه إخراج في هـاتين الآيتـين ؟ وإنما هذا ادعاء ، فإن لنا رداً بوجوه[2] :

١ ـ لا نسلِّم بأن الإنزال إذا كان مطلقاً يفقد أصله الـذي يعني اتجاهاً من أعلى إلى أسفل ، بل الذي كنا قد قلناه إنما يصح فيما لو كان مجازاً ، وهو أن يكون فعل النزول مطلقاً عندمـا يتعين المجـاز ، ولكن نحن نـراه غير متعـين في هـاتـين الآيتـين ، وإنمـا هـو بمعنـاه الأصـلي الحقيقي ، لأننـا نؤمن بأن هـذا اللفظ وضـع لهـذا المعنى ، فـلا يمكن استعمـاله إلا لـه ، ففي الوقت الـذي يجنح فيـه نحو المجـاز لا يبطل أيضاً معناه الأصلي بالكلية .

٢ ـ إن استحـالة نـزول أصل الحـديد وأصـل الأنعام من فـوق باطلة ، لأنه ليس ذلك معلوماً بالضرورة ، ولا دليل على استحـالته ، إذ قد يكون حاصلاً كما عهد من نزول أصل الإنسان وهو آدم من علو إلى سفل ، فقد قال تعالى له ولزوجه ولإبليس عندما كانوا في السماء :

﴿ . . . اهْبِطُوْا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِيْ ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ

---

(١) « الرد على الجهمية » للدارمي (ص ٣٣) .

(٢) انظر تفصيل هذه الردود في « مختصر الصواعق » (ص ٣٦٣ ـ ٣٦٥) ففيه فوائد .

﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [1] .

فما المانع من أن ينزل أصل الأنعام مع أصل الأنام ؟ بل روي الكثير عن نزول الكبش الذي فُدي به إسماعيل ، هذا بالنسبة للأنعام ، وأما بالنسبة للحديد فقد روى أصحاب النقل أيضاً نزول السندان والمطرقة يوم أنزل آدم عليه السلام . وهذا شيء يحصل بل هو معلوم من كتاب الله كما قد أكد لنا ربنا أنه أنزل مائدة من السماء إلى حواريي عيسى عليه السلام ، وسمَّى السورة بـ (المائدة) .

٣ ـ كون إطلاق الإنزال في هاتين الآيتين لا يخرج لفظة النزول عن حقيقتها ، لأن عدم النزول من مكان معين لا يستلزم عدمه مطلقاً . فالحديد إنما يكون في المعادن التي في الجبال ، وهي عالية على الأرض ، وقد قيل إن كل ما كان معدنه يعلى كان حديده أجود .

وهذه إشارة من كتاب الله إلى مسألة علمية تدهش الباحثين في هذا الحقل ، والأنعام أيضاً كونها أنزلت فهذا له عدة مخارج ، وهو أن ذكورها عندما تناكحها لا بد أن ينزل ماؤها من أصلابها إلى أرحام الإناث ولهذا يقال (أنزل) .

ثم إن الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الأرض ، وبهذا يكون كل ذلك من أعلى إلى أسفل ، وعلى الوجه الثاني وهو الأولى بالصواب يكون حرف الجر [مِنْ] ليس للجنس في قوله تعالى : **﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾** بل يكون من جنس القيد الذي في قوله

---

(١) سورة البقرة الآية (٣٦) .

تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً﴾ فيكون المعنى : (وأنزل لكم من أرحام الأنعام وبطونها) .

٤ ـ الله تعالى فرق بين الإنزال والإخراج في القرآن . ولم يجعلهما شيئاً واحداً ، فقد قال عز من قائل :

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاْتاً﴾ (١) .

فذكر الإنزال في قوله ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ﴾ لأن المعصرات في السماء وهي السحب ، وذكر الإخراج في قوله ﴿لِيُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاْتاً﴾ . لأن الحب والنبات يخرج من الأرض ، فهذا تفريق واضح .

ومن ذلك قوله تعالى :

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاْءِ مَاْءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاْتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾ (٢) .

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاْءِ مَاْءً فَأَخْرَجْنَاْ بِهِ أَزْوَاْجاً مِنْ نَبَاْتٍ شَتَّىْ﴾ (٣) .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيْ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاْءِ مَاْءً فَأَخْرَجْنَاْ بِهِ نَبَاْتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَاْ مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً﴾ (٤) .

---

(١) سورة النبأ الآية (١٤ ـ ١٥) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٢) .

(٣) سورة طه الآية (٥٣) .

(٤) سورة الأنعام الآية (٩٩) .

وهكـذا كما تـرون فلا دليـل معكم أبداً ، ، وإنمـا الذي تـأتون بـه ، يرجـع كله عليكم صاعقـة بـل صـواعق ، وذلـك لقـربكم من أنفسكم ، وبعدكم عن بارئكم ، وما كان ضعف أذهـانكم وملكاتكم وفساد عقولكم إلا لأنكم بعيدون عن كتاب الله تعالى ، فأدلتكم كلهـا كلامية سفسطائيـة عقلية ، ويـا ويلكم فقد أوردتم نفسكم المهـالك ، وأهلكتمـوها بـالأماني ، وظننتم أكـذب الـظن ، إذ آتـاكم الشيـطان جـدلاً ، ونفث فيكم من سمه ، بينـما آتانـا الرحمن عمـلاً وعلمنـا من علمه ، قال تعالى :

﴿وَيَرَىٰ الَّذِيْنَ أُوْتُوْا ٱلْعِلْمَ الَّذِيْ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَيَهْدِيْ إِلَىٰ صِرَاْطِ ٱلْعَزِيْزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (١) .

فـالذين أوتـوا العلم وأي علم ؟ الـذي أنـزل إلى محمـد ﷺ من ربه ، يرونه الحق وأنه يهدي إلى صراط العزيز الحميد سبحانه ، فعلم هؤلاء ينزل من ربهم الذي هو فوق عرشه وهـو الكتاب والسنـة ، فلا رشاد ولا سداد بغيرهما ، بل الخراب والفساد ، لأن الأهواء توصل إلى الجحيم . يقول تبارك وتعالى :

﴿وَإِنَّ كَثِيـرْاً لَيُضِلُّوْنَ بِأَهْـوَاْئِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّـكَ هُـوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِيْنَ﴾ (٢) . فسُحقا لمن قال : (ليس الله في السماء فلا ينـزل منه شيء) فهذا ما عرف ربه ولا قدره ، فالله تعالى يقول :

---

(١) سورة سبأ الآية (٦) .

(٢) سورة الأنعام الآية (١١٩) .

﴿وَمَا قَدَرُوْا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوْا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾[1] فهؤلاء عندما أرادوا أن ينكروا الكتاب قالوا : (ما أنزل الله) لأنهم يعلمون بأن الكتب الإلهية تنزل من فوق من عنده سبحانه ، فلم يقولوا : (ما أصعد الله إلى بشر من شيء) فكانوا أعلم بقولهم منكم .

ولا يخفي عليكم أنه يقال عن كتاب الله (التنزيل) أو (الكتاب المنزل) لأنه ينزل من فوق ولا يقال (النبي المنزل) لأنه لم ينزل من فوق ، فجبريل ومحمد عليهما السلام يشتركان في لفظ الإرسال لأنهما مرسلان ، كل واحد باعتبار وجه إرساله ، ولكن لا يشتركان في لفظ الإنزال لأن جبريل وحده الذي ينزل ، لكونه في السماء ، وأما محمد فهو على الأرض ، فلا يقال له إلا (مرسل) ومن ذلك قوله تعالى :

﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِيْ جَاءَ بِهِ مُوْسَىٰ﴾[2] .

فذكر النزول بالنسبة للكتاب ولم يذكره لموسى بل قال ﴿جَاْءَ بِهِ مُوْسَىْ﴾ لأنه لم ينزل به وإنما جاء به .

فالحمدلله تعالى على ما أنعم به علينا من فهم كتابه وقد قال :

﴿والذَّيْنَ آتَيْنَاهُمُ اَلْكِتَاْبَ يَعْلَمُوْنَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِاَلْحَقِّ﴾[3] . فنقول لكم : توبوا إلى بارئكم فاقتلوا ادعاءاتكم وأباطيلكم لعلكم تفلحون .

---

(١) سورة الأنعام الآية (٩١) .

(٢) سورة الأنعام الآية (٩١) .

(٣) سورة الأنعام الآية (١١٤) .

(قال الله تعالى) :

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]

هذه الآية العظيمة تحمل شمساً من الحقيقة ، فالعلو فيها واضح جلي ، ولكن لمن فهم ، ولا عبرة بغيره إذ قالوا :

وليس يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

فقوله ﴿ الظاهر ﴾ ظاهر في إثبات العلو ، فالظاهر في اللغة هو العالي ، وهي صفة ربنا الذي يعلو المخلوفات كلها ، وليس فوقه شيء ، فالظهور هو العلو ، ومن ذلك قوله تبارك وتعالى عن يأجوج ومأجوج الذين أرادوا أن يخرجوا بعد أن جعل ذو القرنين بينهم وبين الناس سداً ، فقال سبحانه :

﴿ فَمَا ٱسْطَاعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾[2] أي أن يَعْلُوه

ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾[3] أي يعلون ويرتفعون .

---

(١) سورة الحديد الآية (٣) .

(٢) سورة الكهف الآية (٩٧) .

(٣) سورة الزخرف الآية (٣٣) .

وهـذا مستخـدم في العـربيـة كثيـراً كقـول عمــرو بن جحـاش النضـري الذي كـان يريـد قتـل رسـول الله ﷺ ، وهـو من يهـود بني النضـير ، فكان قـال لأصحابـه اليهود أثنـاء تشـاورهم في كيفيـة قتـل النبي عليه الصلاة والسـلام : عارضـاً رأيه عليهم : (أنـا أظهر عـلى البيت فـأطرح عليـه صخرة)[1] ويقصـد أنـه يعلو عـلى سـطح البيت ويدفع بصخرة على الرأس الشـريف ، ومن ذلـك المعنى ما يـروى من أن النـابغـة الجعـدي قـال لـرسـول الله ﷺ :

بلغنـا السـماء بجـدنـا وجـدودنـا   وإنـا لنرجـو فـوق ذلـك مـظهـرا

فعندما سأله النبي ﷺ :

« أين المظهر يا ابن أبي ليلى ؟ قال له : الجنة »[2]

ويقصد أن الجنة فوق السماء .

وعمدتنا في تفسير هذه الآية قول النبي ﷺ عندما كـان يثني على الله بهذه الأسماء مفسراً لمعناها حيث قال :

« أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخــر فليس بـعــدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقـك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقضِ عني الدين وأغنني من الفقر »[3] .

---

(١) « طبقات ابن سعد » (٣/٩٩) .

(٢) انظر « البداية والنهاية » / ٦/١٦٨) و « الإصابة » (٣/٥٠٨) .

(٣) رواه مسلم (٢/٣٥) وابن خزيمة في « التوحيد » (ص ١١٦ ـ ١١٧) واللفظ له .

فقوله « أنت الظاهر فليس فوقك شيء » يدل على أن الله هو العالي ولا يعلوه شيء من مخلوقاته .

يقول الإمام الطبري في اسمه تعالى « الظاهر » :
(وهو الظاهر على كل شيء دونه ، وهو العالي فوق كل شيء ، فلا شيء أعلى منه)[1]

وقال ابن الأثير :
(هو الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه)[2]

ومن أقبح ما أراد المبطلون أن يردوا به علو الله تعالى قولهم في هذا الحديث ، أنه يدل على عدم الفوقية ، وأن الله بلا مكان ، وحجتهم في ذلك أن الرسول ﷺ قال : «أنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » فقالوا : ما ليس فوقه شيء وليس تحته شيء فهو بلا مكان ، فلو كان الله فوق المخلوقات لكانت المخلوقات تحته ، وهذا مردود بنص الحديث .

قلت :
هذا يرد من وجوه عديدة ، تُظهِرُ باديء ذي بدء ضعفهم في فهم العربية ، كما حصل في غير هذا الموضع فنقول لهم :

الحديث هنا نص عظيم على العلو ، وقد أقررتم بذلك من حيث لا تدرون ، فقولكم : (ما ليس فوقه شيء وليس تحته شيء كان

---

(١) « جامع البيان » (م ١١ ج ٢٧ ص ١٢٤) .
(٢) « جامع الأصول » (١٦٤/٣) .

بلا مكان) فيه هذا الإقرار ، وهو يظهر في الشطر الأول لأن ما ليس فوقه شيء كان هو الله لأنه فوق كل شيء ولا شيء فوقه ، وهذه فوقية حسية ، وهذا كاف لتكبيلكم ، لأن الله تعالى موجود وجوداً عينياً حسياً ، والكون موجود وجوداً عينياً حسياً ، وليس الله داخل الكون ولا الكون داخله ، فلا بد أن يكون شيء فوق الآخر ، ولا يمكن أبداً أن يكون الله تحت المخلوقات وهي فوقه لما في هذه الفوقية من الرتبة والعظمة .

وأما بالنسبة لفهمكم لقوله : « وأنت الباطن فليس دونك شيء » أنه نفي لتحتية المخلوقات فهو باطل لا يقبله عاقل ، ولا بد أن نشير إلى الشبهة التي وقعوا فيها ، فإنهم ظنوا - والظن أكذب الحديث - أن معنى (دونك) أي (تحتك) ولكن هذا غير مراد لأسباب :

١ - (دونك) هنا من الدنو لا التدني ، فالدنو هو القرب والتدني هو التسفل فتقول : (دنا منه) أي قرب .

٢ - لو أريد معنى التدني لقيل (أنت السافل فليس دونك شيء) وذلك ليطابق التفسير معنى المفسَّر فـ (الباطن) ليس في لغة العرب بهذا المعنى أبداً ، والدليل أنه عندما أراد أن يثبت الفوقية أتى بلفظ يتظمن هذا المعنى فقال « وأنت الظاهر فليس فوقك شيء » فالظاهر هو العالي لغة كما سبق وظهر .

٣ - لفظ (الباطن) يستخدم كناية عن شدة القرب ، فكان لفظ (دونك) مناسباً لهذا المعنى لأنه من الدنو أي القرب .

٤ ـ إن قيل : لا بد من مقابلة المعاني في هذا المقام لأن نفي أن يكون شيء فوق الله يقابله نفي لأن يكون شيء تحته .

قلنا : هذا كلام فيه جزء من الصواب وحمله إلى هذا الباب ضرب من التخليط ، لأن مثل هذه المقابلة والملاءمة في المعاني لا ينبغي أن يصار إليها إلا عند وجود ألفاظ تحملها وتدل عليها مثل : (السماء والأرض) ـ (الأول والآخر) ـ (الخير والشر) وأما قوله تعالى : ﴿ **الظاهر والباطن** ﴾ فليس الاسم الأول يدل على معنى يقابل معنى في الثاني ، إلا إذا كان (الظاهر) بمعنى (المتجلي) فعندئذ يكون اسم (الباطن) بمعنى (الخفي) ، وقد عرفت أن ذلك غير مراد من حديث النبي ﷺ ، ولا عبرة بمن ذهب إلى غيره .

وتفسير الظهور بمعنى العلن والتجلي ، وما بطن بمعنى المخفي فهو مسلّم في مثل قوله تعالى :

﴿ قُلْ : إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[1]

أي ما جُهِرَ به وأُعلن وما خفي واستتر ، وهذا معنى يقابل معنى آخر لمقابلة لفظية يراد منها المعاكسة .

وأما لفظ (الظاهر) عندما كان من الظهور بمعنى العلو لم يعد مقابلاً للفظ (الباطن) الذي بمعنى الخفي لأنه لا مقابلة بين هذين اللفظين ، ولهذا أبعدتم النجعة عندما ادعيتم اقتضاء المقابلة بين المعاني في هذه الآية .

(١) سورة الأعراف الآية (٣٣) .

٥ ـ إن قيل : هذا القرب إذاً حسي كما أن العلو حسي ؟ .

قلنا : هذا خطأ جسيم ناتج عن فهم قاصر ، لأن الآية فيها قرينة تصرف هذا القرب عن حسيته إلى معنى القرب العلمي ، فالله تعالى يقول :

﴿ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فختم الآية بالعلم ، فدلت بذلك على أن القرب هو قرب علم ، ولهذا تجد أن قوله (الباطن) مقرون بهذه القرينة . ومعقب بها عليه ، وهي تدل بدورها على معنى قوله ﷺ :

« ليس دونك شيء » أي (ليس أقرب منك شيء) لأن (دونك) من الدنو أي القرب ، وهذا القرب هو قرب العلم .

قال ابن الأثير رحمه الله في تفسير (الباطن) :

(قيل : هو العالم بما بطن يقال : بطنت الأمر . إذا عرفت باطنه)[1]

وقال الإمام ابن جرير الطبري :
(وهو الباطن جميع الأشياء فلا شيء أقرب منه)[2] .

وروى البيهقي بإسناده ـ كما قال الحافظ الذهبي ـ عن مقاتل بن حيّان قال : (بلغنا والله أعلم في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ :

---

(١) « جامع الأصول » (١٣٦/١) .
(٢) « جامع البيان » (م ١١ ج ٢٧ ص ١٢٤) .

هو الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء ، والظاهر فوق كل شيء ، والباطن أقرب من كل شيء ، وإنما قربه بعلمه ، وهو فوق عرشه)[1] .

٦ ـ إن قيل : لماذا استعملت لفظة (الباطن) لا (القريب)

قلنا : لا يسأل هذا السؤال لأن الله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

ولكن سنقول لكم لماذا ، حتى لا تكون شبهتكم على عقولكم فتنة ، ونحن ما خط بناننا هذه الرسالة إلا لتتعلموا وتتفهموا .

فالله تعالى يخاطب العباد ويخبرهم عن علمه ، وهذا المقامُ يقتضي أن يشار إلى ذلك بلفظة تؤدي هذه المهمة ، فكانت لفظة (الباطن) لما فيه من الدلالة على شدة القرب وعظمته ومنتهاه ، إذ أقرب ما يكون من الشيء باطنه ، فهو داخله وعمقه ، وكل ما هو بائن عنه وإن كان يلامسه فهو أقل قرباً من باطنه .

بل حتى نسبة الأشياء ، من قريب أو أقرب ، تكون باعتبار الباطن .

٧ ـ وإن قيل : وأي مناسبة لذكر العلم بعد ذكر العلو الحسي ؟ .

قلنا : هذا لا يدركه إلا من هدى الله قلبه ، فلو كان لكم مثل هذا القلب لما سألتم هذا السؤال ، وبالرغم من ذلك فلا بد من الإجابة .

---

(١) « مختصر العلو » (ص ١٣٩) وهو عند البيهقي في « الأسماء » (ص ٥٤٢ ـ دار الكتب العلمية) .

إعلموا أن العرب تعتبر في كلامها مقتضيات الأحوال ، وتنظر إليها بعين الإعتبار ، وتركب ألفاظها على أساسها، والله تعالى يخاطبها وأولى بكلامه أن يكون فصيحاً بحيث تغلب فصاحته لسان القوم .

فالله تعالى عندما ذكر علوه فوق المخلوقات كان مناسباً أن يذكر علمه بهم ، حتى لا يخالجهم ظن بأنه إذا كان عالياً كل هذا العلو كان بعيداً عنهم لا يعلم فعلهم وما يقومون به .

ولذلك قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

(العرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)[1] فذكر بعد الكلام عن علوه تعالى أنه لا يخفى عليه مع ذلك شيء من أعمالهم .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في أسماء الله الواردة في الآية :
(هذه الأسماء الأربعة متقابلة :
إسمان لأزل الرب تعالى وأبده ، واسمان لعلوه وقربه)[2]

---

(١) رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص / ٤٣) وابن خزيمة في «صحيحه» (ص ٧٠) و «توحيده» (ص١٠٦) والبيهقي في «الأسماء» (ص٤٠١) وأبو الشيخ في «العظمة» (ق ٢/٣٤) واللالكائي (١/٢/٩١) ورواه الذهبي في «العلو» (١٠٣/مختصر) وقال : [رواه عبدالله بن الإمام أحمد في «السنة له» وأبو بكر بن المنذر وأبو محمد العسال وأبو القاسم الطبراني . . وأبو عمر بن عبدالبر في تواليفهم . وإسناده صحيح] وقال الألباني : [وسندهم جيد] «مختصر العلو» (١٠٤/٣٩) وحسن إسناد «الرد على الجهمية» (ص ٢٧) للدارمي .

(٢) « مختصر الصواعق المرسلة » (ص ٣٥٧) وانظر « شرح الطحاوية » (ص ٢٨٣) .

قلت :

(الأول) : لم يسبقه شيء ، ولا بداية له فهو أزلي .

(الآخر) : ليس بعده شيء ، ولا نهاية له فهو أبدي وهذه إحاطة بالزمان .

(الظاهر) : ليس فوقه شيء ، بل هو بعظمته فوق الأشياء .

(الباطن) : هو الأقرب إلى مخلوقاته بعلمه من كل شيء .

فمن كانت هذه صفاته يكون إلهاً ، فكيف لا يعبد وله لا يسجد ؟ .

قلت : كل هذه الآيات من كتاب ربنا تؤكد علوه تعالى فوق المخلوقات ، وقد أنزل القرآن عربياً ، والواجب أن يؤخذ على مقتضى اللغة التي نزل بها ، فنؤمن بظاهره ، لا كما تدعي الباطنية أن له باطناً ، لا يعلمه الناس وإنما الخواص ، فإن ذلك في غاية الفساد ، ويتنزه كتاب الله عن هذا الظلم، بل هو كتاب منير ، وهو الشفاء ، والهدى ، والتفصيل ، ولو كان بتلك الصفة لما استدعت الحاجة إنزال الكتب ، بل لأوحى الله تعالى إلى كل إنسان وحياً خاصاً به ، ولم ينزل كتاباً عاماً يقوم حجة على الجميع ، ويحكمونه عند الإختلاف ، فجل الله سبحانه عن أن يخاطب قوماً بغير ما يفهمون .

وهناك من يقول ـ وأصحابنا هؤلاء منهم ـ :

كيف تأخذون كل شيء بالظاهر ، والله يقول :

﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[1] ؟ .

---

(١) سورة المجادلة الآية (٧) .

وهذا يقتضي على ظاهركم أن الله ليس في السماء فقط ، بل في الأرض معكم أيضاً .

نقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وماذا نفعل بـالنفوس التي لم تـدر من دينهـا ولا لغتهـا شيئـاً ، ولا شـك أن هـذا النـوع من الاحتجاجات ناتج عن شبهات باطلة ، يتأتى ردها بعـد فهم العربيـة بإحكام الأوائل ، ونجيب فنقول :

(وجوب الأخذ بالظاهر)

لم يكن معناه ـ أي الظاهر ـ الأخذ بلفظ من عبارة ، ولا هكذا قصده السلف ، كأن يبتروا من جملة ، أو مناسبة ، أو حالة ، لفظاً ، أو عبارة ، ثم يقولون : ظاهرها كذا أو كذا ، بل هم يؤمنون بأن الظاهر للفظ يكون في جملة ، إنما هو المعنى المتبادر منه ، لا بالإستقلال ، بل بإضافته إلى ظرفه ومناسبته ، وسياقه وتركيبه .

هذا الظاهر قد يكون من طريق قرينة ، تعيّن المعنى المراد من اللفظ ، لا أن يفهم كل لفظ على حدة ، وأن يصرف النظر عن المعنى الإجمالي المفهوم من سياق الكلام ! .

وشبهتهم من هذا النوع في هذه الآية ، فإن قوله تعالى :

﴿ مَاْ يَكُوْنُ مِنْ نَجْوَىْ ثَلاَثَةٍ إِلَّاْ هُوَ رَابِعُهُمْ . . . ﴾ هو جزء وقطعة من آية ، لا يتبين معناها إلا بالنظر إلى السياق بكامله ، ومن الجهالة والفساد أن نقتطف من الجمل ألفاظاً ، ونعلنها بأنها قول الله ، ومن سوَّغ لنفسه ذلك فقد سوَّغ لمن قال :

يقول الله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّيْنَ ﴾ ثم سكت .

فالآية هي :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَاْ فِي ٱلسَّمَوَاْتِ وَمَاْ فِيْ ٱلأَرْضِ ، مَاْ يَكُوْنُ مِنْ نَجْوَىْ ثَلاَثَةٍ إِلَّاْ هُوَ رَابِعُهُمْ ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا

أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

فهذه الآية مشبعة بالقرائن التي تدل على معناها ، وهو ظاهرها الذي علم منها كاملة ، فأي احتجاج يوجهه السفهاء ؟! ألا لقد انقلب السحر على الساحر .

فالآية كما نرى تبدأ بالعلم ، وهو قوله : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ** . . ﴾ .

واختتمت بالعلم ، وهو قوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ .

هذا يدل على أن المقصود من قوله : ﴿ **مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ .

أن ذلك بعلمه لا بذاته ، كذلك قوله : ﴿ **هو معهم أين ما كانوا** ﴾ .

فهذه المعية معية العلم ، ولا أخال عربي القلب أو اللسان ، يفهم من الآية غير ما نقول .

ثم نفس اللفظ : ﴿ **مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ** ﴾ يتضمن قرينة ، وهي ذكر (النجوى) فإن النجوى هي المخافتة والإسرار بالكلام بين المتناجين ، فأخبر الله تعالى بأنه مع هؤلاء ، أي هو يعلم سرهم وإن كانوا يخفون .

قال محيي السنة الإمام البغوي(*) :

(*) هو أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفقيه الشافعي المحدث المفسر كان بحراً في =

(﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ أي من سرار ثلاثة إلا هو رابعهم بعلمه)[1] .

وقال أبو حيان الأندلسي :[*]

(قال الثوري : المعنى علمه معكم)[2]

وقال ابن قتيبة الدينوري :
(ونحن نقول في قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ . . . ﴾ إنه معهم بالعلم بما هم عليه . .)[3] .

وقال أبو القاسم الأصفهاني :
(فإن قيل : قد تأولتم . . . قلنا : ما تأولنا ذلك وإنما الآية دلت على أن المراد بذلك العلم ، لأنه قال في آخرها ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾)[4]

= العلوم ، وصنف في التفسير من قول النبي ﷺ ، وروى الحديث ودرس ، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة . له مصنفات كثيرة منها « شرح السنة » و « المصابيح » وغيرها توفي سنة (٥١٠هـ) .

انظر « الوفيات » (٢/١٣٦ ـ ١٣٧) و « طبقات السبكي » (٤/٢١٤) .

(١) « معالم التنزيل » للإمام البغوي (٣/٤٨٨ ـ طبعة المنار) .

(*) هو يحيى بن سعيد بن حيان أبو حيان الكوفي ، العابد من يتم الرباب . من اقران الأعمش ، وكان سفيان الثوري يعظمه ويوثقه . قال ابن حبان : كان من المجتهدين ، مات سنة ١٤٥هـ .

انظر التهذيب (١١/٢١٤ ـ ٢١٥) .

(٢) البحر المحيط (٨/٢١٧) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص/١٨٢) .

(٤) « الحجة على تارك الحجة » (ق ١٨٦/م) .

وقال الإمام الآجري (*) .

(فإن قيل : فإيش معنى قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾

قيل : علمه والله على عرشه ، وعلمه محيط بها ، كذا فسره أهل العلم ، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم ، وهو على عرشه ، هذا قول المسلمين)[1] .

وقال الطبري في قوله : ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ :

(إذا تناجوا أينما كانوا . يقول : في أي موضع ومكان كانوا ، وعنى بقوله ﴿ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ (بمعنى أنه مُشاهدهم بعلمه وهو على عرشه - ثم روى عن الضحاك في تفسير الآية - : هو فوق العرش ، وعلمه معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم)[2] .

(*) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري ، ولد سنة (٢٩٤هـ) بدأ دراسته ببغداد عند كبار مشايخها وحدث بها أولاً قبل سنة ٣٣٠هـ ثم إنتقل إلى مكة فسكنها حتى توفي فيها قال ابن خلكان : أخبرني بعض العلماء أنه لما دخل مكة - حرسها الله - أعجبته فقال : اللهم أرزقني الإقامة بها سنة . فسمع هاتفاً يقول له : بل ثلاثين سنة ، فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة ثم مات بها سنة (٣٦٠هـ) .

من مؤلفاته كتاب « الشريعة » و « النصيحة الكبير » و « أخلاق العلماء » .

انظر تاريخ بغداد (٢/٢٤٣) طبقات الشافعية للأسنوي (١/٧٩ - ٨٠) وللسبكي (٣/١٤٩) .

(١) « الشريعة » (ص/٢٨٥) .

(٢) « جامع البيان » (م ١٢ ج ٢٨ ص ١٠) .

قال أبو طالب أحمد بن حميد : (سألت أحمد بن حنبل عن رجل قال : الله معنا ، وتلا ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هـو رابعهم** ﴾ فقال :

قد تجهم هذا ، يأخذون بآخر الآيـة ، ويدعـون أولها ، قـرأتَ عليه :

﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ** ﴾ ؟ فعلمه معهم)[1] .

وعن مقاتل بن حيان قال :

(﴿ **إِلَّا هُـوَ مَعَهُمْ** ﴾ يقول علمـه ، وذلك قـولـه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِكُـلِّ شَيْءٍ عَلِيْمُ** ﴾ فيعلم نجـواهم ويسمـع كـلامهم ثم ينبئهم يـوم القيامة بكل شيء ، هو فوق عرشه وعلمه معهم)[2] .

وقال الإمام عثمان الدارمي :

(قلنا : هذه الآيـة لنا عليكم ، لا لكم ، إنمـا يعني أنه حـاضر كل نجوى ، ومع كل أحـد من فوق العـرش بعلمه ، لأن علمـه بهم محيط ، وبصره فيهم نافذ . . . وبها نقول على المعنى الذي ذكرنا ، غير أنكم جهلتم معنـاها ، فضللتم عن سـواء السبيـل ، وتعلقتم بـوسط الآيـة ، وأغفلتم فاتحتهـا وخاتمتهـا . . . ففي هذا دليـل على أنـه أراد

---

(١) « العلو » للذهبي (١٩٠/م) .

(٢) رواه البيهقي في « الأسماء » (ص/٥٤٢) والآجري في « الشريعة » (ص/٨٩) وأبـو داود في المسائـل (ص/٢٦٣) عن الإمـام أحمـد والـلالكـائي في « شرح أصـول السنـة » (٤٠١/٣) .

العلم بهم وبأعمالهم ، لا أنه نفسه في كـل مكان معهم كـما زعمتم ، فهذه حجة بالغة لو عقلتم . . .)[1] .

وقال ابن كثير(*) في تفسير هذه الآية :

(أي مطلع عليهم ، يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ، ورسله أيضاً تكتب ما يتناجون به مع علم الله بهم وسمعه لهم كما قال تعالى :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوْا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاْهُمْ ﴾ قال :

ولهـذا حكى غير واحـد الإجماع عـلى أن المراد بهـذه الآية معيـة علمه تعالى)[2] .

وقال الإمام الشوكاني :(*)

---

(١) « الرد على الجهمية » (ص/١٩ ـ ٢٠) .

(*) هو الإمام الحافظ إسماعيل بن كثير ، عـماد الدين ، أبـو الفداء ، أجمـع المؤرخون لـه على حفظه وإطلاعه ، وسعه باعه في العلوم الشرعية عامة ، وفي الحديث والتفسـير خاصـة ، وهو خريج مـدرسة شيـخ الإسلام ابن تيميـة ، وحامـل لوائهـا . ولد سنـة (هـ) وتوفي سنـة (٧٧٤هـ) من تصانيفه «تفسير القرآن العظيم».

انظر .

(٢) تفسير إبن كثير (٣٠٤/٤ و ٣٢٢) .

(*) هـو الإمام محمـد بن علي الشـوكاني اليمني منشـأ وولادة من العلماء الأفاضـل ، وهـو من المصلحـين الخيار ، استـطاع التنقل من مـذهب الزيـدي الذي هـو مذهب أهـل بلاده وعلماء وقتـه ، قام في وجـوه المشركين والمقلدين بقلمـه ولسانـه ، ومن الرسـائـل المفيـدة لـه في هـذا البـاب : « شرح الصدور » و « إرشـاد النقـاد إلى تيسـير الإجتهـاد » ومن أشهـر كتبـه « نيـل الأوطار » و « السيل الجرار » ولد سنة (هـ) وتوفي سنة (هـ) .

(ومعنى ﴿ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ إحاطة علمه بكل تناجٍ يكون منهم في أي مكان من الأمكنة)[1](*) .

وقد قال لي أحدهم محتجاً بآية أخرى :

يقول الله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾[2] والظاهر أنه معنا هنا .

قلت : نعم هو معنا بعلمه ، فأكمل قوله سبحانه ، ولا تبتره أيها المحرف ، فهو يقول عز من قائل :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

ففي هذه الآية أيضاً ذكر العلم فكان ذلك قرينة ، وكذلك ختم الآية بالإبصار ، فدل على أنه معنا بعلمه وبصره .

قال الإمام الطبري :

(﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ يقول : وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم ، يعلمكم ويعلم أعمالكم ، ومتقلبكم ومثواكم ، وهو على عرشه فوق سمواته السبع)[3] .

(*) وممن قال بهذا القول كل من ابن عبدالبر والضحاك والثوري ونعيم وابن راهويه وابن المديني والثعلبي والنقاش وابن مهدي وابن بطة ومالك وابن تيمية وابن القيم والذهبي وغيرهم .

(1) فتح القدير (١٨٧/٥) .

(2) سورة الحديد (الآية/٤) .

(3) « جامع البيان » (م ١١ ج ٢٧ ص ١٢٥) .

وقال الإمام أبو عمر الطلمنكي :

(وأجمعوا - أهل السنة - على أن معنى ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه ، وأن الله فوق السموات بذاته ، مستو على عرشه)[1](*) .

فهذه المعية لا تقتضي المجاورة والمخالطة والممازجة ، بل هي بقرائنها متعينة المعنى ، ولا يقال : نؤولها . لأن هذا المعنى الذي تعين لدينا قد استفدناه من ظاهر اللفظ لا باطنه .

وهذه المعية كثيرة في القرآن ، لها أكثر من معنى ، وذلك يرجع إلى القرينة التي اقترنت بها ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾[2] .

أي معكما بسمعي ورؤيتي لا بذاتي وحضرتي ، فكان ذكر السمع والرؤية بعد المعية قرينة عينت المعنى . ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ** ﴾[3] كذلك المعية هنا بمعنى الرقابة والإطلاع بالسمع ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾[4] .

وهذه معية خاصة ، فالفاجرون لا يكون الله معهم ، مع أن المتقين والفاجرين مع بعضهم من الناحية الذاتية ، فلو كان الله بذاته

(*) وممن قال بهذا القول كل من ابن عباس وأحمد وابن بطة والثوري والطلمنكي ونعيم ومقاتل وابن أبي شيبة والطبري وأبي الحسن بن مهدي والبغوي وابن تيمية وابن كثير وغيرهم .

(١) « مجموعة فتاوى شيخ الإسلام » (٥/ ٥١٩) .

(٢) سورة طه الآية (٤٦) .

(٣) سورة الشعراء الآية (١٥) .

(٤) سورة التوبة الآية (١٢٣) .

مع أحدهم لكان مع سواه . ثم علمنا هذه المعية بأنها معية التأييد والنصر ، عندما ذكرت التقوى .

ومنه قول الله عن لسان نبيه : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾[1] .

فقال ذلك لأبي بكر ، ليعلمه بأن الله معهما بتأييده ونصرته .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِيْنَ ﴾[2] فلو كان بالذات لما كان من معنى لهذا التخصيص ، لأنه يكون بذاته عندئذ مع الصابرين وسواهم .

ومنه قوله تعالى عن لسان إبراهيم :

﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّيْ سَيَهْدِيْنِ ﴾[3] فالقرينة ذكر الهداية .

وقد ضرب شيخ الإسلام ابن تيمية مثلاً رائعاً وهو أن :

(القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته ، وهو موضوع في السماء ، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان ، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه ، مهيمن عليهم ، مطلع إليهم) .

وقال رضي الله عنه في رسالته الحموية :

(وقد يدخل على صبي من يخيفه فيبكي ويشرف عليه أبوه من

---

(١) سورة التوبة الآية (٤٠) .

(٢) سورة النساء الآية (٦٦) .

(٣) سورة الشعراء الآية (٦٢) .

فوق السقف ، فيقول : لا تخف أنا معك ، أو أنا هنا ، أو أنا حاضر ونحو ذلك ، ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه)[١] .

فهذه المعية بحسب قرينتها يظهر معناها ، وهذا هو الظاهر يا جهال . فأنت تقول لضيفك الذي زارك ويريد الذهاب ، تقول له :

(الله معك) أي يكلؤك ويحرسك ويحفظك، ولا تقصد أنه معه بذاته ، معاذ الله .

وقد تكون المعية ، معية العلم ، كما في حديث عبد الله بن معاوية الغاضري مرفوعاً .

« ليعلم العبد أن الله معه حيث كان »[٢] .

وفي حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً :

« إن من أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان »[٣] .

قال الإمام الذهبي في الحديث الأول :

(يريد أن الله علمه محيط بكل مكان ، والله على العرش)[٤] .

---

(١) « الفتوى الحموية الكبرى » (ص ٦١) .

(٢) قال شيخنا الألباني في « مختصر العلو » (٢١٩/٢٠١) : [رواه الطبراني وغيره بسند صحيح] وانظر « السلسلة الصحيحة » (١٠٤٦) .

(٣) رواه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٥٤١ دار الكتب العلمية) .

(٤) « العلو » للذهبي (٢٠١/م) .

وقد ردَّ الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي على من اعتبر تفسير مثل هذه الآيات بالعلم ونحوه تأويلاً ، فقال رحمه الله :

(فإن قيل : فقد تأولتم آيات وأخباراً ، فقلتم في قوله تعالى :

﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ أي بالعلم ونحو هذا من الآيات والأخبار فيلزمكم ما لزمنا ؟ قلنا : نحن لم نتأول شيئاً وحمل هذه اللفظات على هذه المعاني ليس بتأويل لأن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره ، وهذه المعاني هي الظاهرة من هذه الألفاظ بدليل أنه المتبادر إلى الأفهام منها ، وظاهر اللفظ هو ما سبق ألى الفهم منه حقيقة كان أو مجازاً . . .

فعلم أنه ظاهر هذه الألفاظ هو ما حملت عليه فلم يكن تأويلاً ، ثم لو كان تأويلاً فما نحن تأولناه وإنما السلف رحمة الله عليهمً ، الذين ثبت صوابهم ، ووجب اتباعهم ، هم الذين تأولوه ، فإن ابن عباس والضحاك ومالكاً وسفيان ، وكثيراً من العلماء قالوا في قوله : ﴿ وهو معكم ﴾ : أي علمه ، ثم قد ثبت بكتاب الله والمتواتر عن رسول الله ﷺ ، وإجماع السلف أن الله تعالى في السماء على عرشه وجاءت هذه اللفظة مع قرائن محفوفة بها دالة على إرادة العلم . . .)[1] (*) .

---

(١) كتاب « ذم التأويل » للمقدسي (ص ٦٠٣ ـ ٦٠٥ من مجموعة اعتقاد السلف ـ تحقيق النشار والطالبي) .

(*) نستطيع من خلال قول تعالى ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ أن نثبت لربنا تبارك وتعالى صفة العلو وذلك أن لفظ استوى في اللغة إذا عدي بـ «على» لا يمكن أن يفهم منه إلا العلو والإرتفاع .

واستدلوا لجهلهم أيضاً ، بقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الذِيْ فِيْ السَّمَاْءِ إله وَفِيْ ٱلأَرْضِ إِلَهٌ ﴾[1] .

قالوا : لو أخذنا بالظاهر لبطل القول بأنه في السماء دون الأرض .

قلنا : لا بل الظاهر غير ما فهمتم ، وإنما يتعين المعنى باللجوء إلى العربية الصحيحة ، فإن لفظة (إله) في اللغة معناها (معبود) والآية معناها بذلك :

(وهو الذي في السماء معبود وفي الأرض معبود) ولو أريد ذكر وجوده في السماء والأرض لقيل (وهو الذي في السماء وفي الأرض) ولَمَا جيء بلفظ (إله) لأن ذلك يصبح حشواً من طريق العبث ، فمحل (إله) في الآية أنه خبر ، ولا ينتهي المعنى إلا به ، وعلى كلٍّ فليعرب لنا الجاهل هذا اللفظ ، وليخبرنا عن موقعه في الجملة ، إنه لا شك سيجد نفسه حائراً .

ومما يردُّ باطلهم أن (إله) اسم جنس وليس اسم علم .

والضمير (هو) الذي في أول الآية : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيْ ﴾ يقوم مقام اسم الجلالة ، فإذا وضعت الإسم مكان الضمير قلت : (والله الذي في السماء إله) أي معبود فكلمة (إله) وصف لاسم الجلالة (الله) .

(١) سورة الزخرف الآية (٨٤) .

ولا يجوز في اللغة غير ما قلنا ، والله المستعان على أهل الجهالة والضلالة .

وبالذي قلنا قال أهل العلم من السلف .

عن قتادة في تفسير هذه الآية . قال :

« يعبد في السماء ويعبد في الأرض »[1]

وقال الإمام الآجري :

(فالإله هو المعبود ، فهو يعبد في السماء كما يعبد في الأرض)[2]

وقال مرعي بن يوسف : (فهو باتفاق المفسرين بمعنى : مألوه ، أي معبود ، فإنه معبودٌ فيهما)[3]

ومن حججهم قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ﴾[4] .

وهذه الآية كسابقتها ، جهلوا معناها ، لجهلهم باللغة العربية .

فالضمير هنا أيضاً يقوم مقام اسم الجلالة ، فلو وضعنا الاسم مكانه لقلنا : (والله الله في السماوات وفي الأرض) والمعنى (والله

(١) رواه البخاري في « أفعال العباد » (ص ٢٠ ط ١ مؤسسة الرسالة) وذكره الآجري في « الشريعة » (ص ٢٩٨) .

(٢) « الشريعة » (ص ٣٩٨) .

(٣) « أقاويل الثقات » (ص ١٠٥ ط ١ مؤسسة الرسالة ـ تحقيق شعيب الأرناوؤط) .

(٤) سورة الأنعام الآية (٣) .

مدعو بـ (الله) في السماوات وفي الأرض) فيعبده أهـل السماوات وأهل الأرض وينادونه باسمه (الله) ولو كان المقصود من ذلك ذكـر الوجـود لقيل وجوباً :

(وهـو في السموات وفي الأرض) فيكـون الضمير مبتـدأ والخبر محذوف تقديره (موجود) وفي هذا كفاية لمن عنـده أدنى نظر أو فهم في لغة العرب .

قـال الإمـام أبـو الحسن الـطبـري تلميـذ الأشعـري في كتـاب « مشكل الآيات » :

(فلو أن قائلاً قـال : فلان بـالشام والعـراق ملك لدل عـلى أن ملكه بالشام والعراق لا أن ذاتـه فيهما - إلى أن قـال -: وإنما أمـرنا الله بـرفع أيـدينا قـاصدين إليـه برفعهم نحـو العرش ، الـذي هـو مستـو عليه)[1] .

وقـال الإمـام زين الـدين الكـرمي الحنبـلي - وهـو مـرعي بن يوسف - :

(هو المسمَّى فيهما - أي في السماء والأرض - بهذا الإسم ، فهـو كما أنه هـو الله في السماوات، هـو الله في الأرض ، كقولـك : موسى أخـو هارون في جميـع الدنيـا ، والكعبـة هي البيت الحـرام في السـماء والأرض ، وكقولهم : فلانٌ أميرٌ في خراسان وأميرٌ في بلخ وسمـرقند ، وهو في موضع واحد . وهذا موجود في اللغة)[2][*] .

---

(١) « العلو » للذهبي (٢٥٢/م) .

(٢) « أقاويل الثقات » (ص ١٠٦) .

(*) وممن قال بهذا القول الأمام أحمد وابن بطه وابن قتيبة .

ومما احتجوا به قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيْدِ ﴾[1] .

قالوا : ظاهر هذا اللفظ يدل على قرب الذات .

قلت : غيِّروا عادتكم ولو مرةً واحدة ، واستشهدوا بآية كاملة ، وهذه الآية فيها من القرائن ما يلجمكم يا جهال .

فالله يقول فيها :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيْدِ ﴾ فذكر سبحانه العلم بوسوسة النفوس ، ثم عقب بشدة القرب ، ممثلاً ذلك بحبل الوريد ، كناية عن شدة العلم ، فإن هذا القرب بالعلم وبالملائكة . حيث أخبر عن حضور الملائكة عند الإنسان، وهم من جنده . يفعلون ما يؤمرون ، وهم كتبة ، يسجلون الأقوال ، والأفعال ، فكان هذا قرباً من الإنسان ، وهو قرب إحصاء ، ولذلك قال سبحانه بعد هذه الآية مباشرة :

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيْدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيْبٌ عَتِيْدٌ ﴾[2] .

وهو الذي اختاره العلامة ابن القيم ، فقال رحمه الله :

(المراد قرب ملائكته منه ، وأضاف ذلك إلى نفسه بصيغة

---

(١) سورة ق الآية (١٦) .

(٢) سورة ق الآية (١٧ ـ ١٨) .

ضمير الجمع ، على عادة العظماء ، في إضافة أفعال عبيدها إليها ، بأوامرهم ، ومراسيمهم ، فيقول الملك : نحن قتلناهم ، وهزمناهم . قال تعالى :

﴿ فَإِذَاْ قَرَأْنَاْهُ فاتَّبع قُرْآنَهُ ﴾[1] وجبرائيل هو الذي يقرؤه على رسول الله ﷺ ، وقال : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوْهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾[2] فأضاف قتل المشركين يوم بدر إليه ، وملائكته هم الذين باشروه ، إذ هو بأمره ، وهذا القول هو أصح من الأول لوجوه :

أحدها : أنه سبحانه قيَّد القرب في الآية بالظرف ، وهو قوله :

﴿ إِذْ يَتَلَقَّىْ ٱلْمُتَلَقِّيَاْنِ ﴾ كالعامل في الظرف ، ما في قوله ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ﴾ من معنى الفعل ، ولو كان المراد قربه سبحانه نفسه ، لم يتقيد ذلك بوقت تلقي الملكين ، ولا كان في ذكر التقييد به فائدة . فإن علمه سبحانه ، وقدرته ، ومشيئته ، عامة التعلق .

الثاني : أن الآية تكون قد تضمنت علمه وكتابه ملائكته ، لعمل العبد ، وهذا نظير قوله : ﴿ أَمْ يَحْسَبُوْنَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاْهُمْ ، بَلَىْ وَرُسُلُنَاْ لَدَيْهِمْ يَكْتُبُوْنَ ﴾)[3] .

وقال الإمام زين الدين الكرمي الحنبلي :

(فقوله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاْ ٱلإِنْسَاْنَ وَنَعْلَمُ مَاْ تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيْدِ ﴾ قال المفسرون جميعاً :

---

(١) سورة القيامة الآية (١٨) .

(٢) سورة الأنفال الآية (١٧) .

(٣) « الصواعق المرسلة » (ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦/ اختصار الموصلي) .

هو كناية عن العلم به وبأحواله ، أي : ونحن أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه من حبل الوريد . فهو تجوُّز بقرب الذات ، لقرب العلم ، لأنه موجبه ، بحيث لا يخفى عليه شيء من خفياته ، فكأن ذاته قريبة منه . . .

والذي يدل على أن المراد بالقرب ، هو القرب بالعلم : سياق الآية ، فإنه سبحانه قال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ ثم قال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ﴾ أي : بالعلم المفهوم من « نعلم » ، وحبل الوريد : مثلٌ في فرط القرب ، كقول العرب : هو مني مقعد القابلة ، ومعقد الإزار ، والحبل : العرق ، فشبه بواحد الحبال ، والوريدان : عرقان مكتنفان لصفحتي العنف .)[1] .

فظاهر الآية هو ما قلنا ، لا ما فهم أهل الظاهر الحمقى .

سبحان الله العظيم ! إنهم لا يفهمون ، لا حججهم ، ولا حجج خصومهم .

واحتجوا بقوله سبحانه وتعالى :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[2] .

قالوا : لو أخذنا بظاهر الآية ، لاقتضى أن الله يفنى يوم القيامة ، ولا يبقى منه إلا وجهه . فهذا ، قاله لي بعضهم بكل وقاحة وتبجح ، وزعم أن الوجه هنا هو الذات .

---

(١) « أقاويل الثقات » (ص ٩٨ ـ ٩٩) .

(٢) سورة الرحمٰن الآية (٢٦ ـ ٢٧) .

قلت : بل الظاهـر غير مـا ظهر لأعينكم ، وقـولكم مردود من وجوه :

أ ـ قوله ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ أمر مستقـل لا علاقـة له بمـا بعده ، والـذي بعده ليس مستثنىً منـه ، والمقصـود (كـل من عليهـا ـ أي الأرض ـ فان) ولذلك ورد أن الملائكة فرحت ، عندما نـزلت هذه الآية ، وظنت أنها غير ميتة، لأنها من أهل السماوات، ولكن لما نزل قوله سبحانه :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[1] علمت بأن لها فيه نصيباً .

وأمـا الآيـة الأخـرى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ ففيها معنى مستقـل على سبيـل إثبات البقـاء لله وحده ، وليس فيه استثناء أصـلاً ، وإنما ذكـر للمقام والمنـاسبة ، حيث أن الله تعالى يتكلم عن فناء من على الأرض مكان الحال مناسباً لذكر بقاء الله تعالى ، للحد بين صفة العبد وصفة المعبود .

ب ـ قولكم : ظاهر الآية أن الله يبقى وجهـه ، ويفنى سائـر الذات . وقـوع منكم في مـا هـربتم منـه ، ونفيتمـوه ، وهـو أن لله تعـالى صفـات ليست هي الذات ، وليست هي من غـير الذات ، فلله مثلاً يد ووجه وعـين وقدم ، ولكـلٍّ حقيقـة ، ومعنى ، والـذات تشمل كل ذلك ، لأن هذه الصفات ، هي صفات للذات .

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٨٥) .

ج ـ في قوله : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ نعت للوجه ، وليس للذات ، لأنه قال (ذو) ولم يقل (ذي) والأول مرفوع ، فهو وصف لمرفوع ، والمرفوع هو لفظ (الوجه) لأنه فاعل ، ولو كانت الذات هي الموصوفة ، لقيل (ذي الجلال) فيكون راجعاً إلى (ربك) الذي هو مضاف إليه ، وهو مجرو .

فعندما وصف الوجه دون الذات ، دل على أنه شيء مستقل من حيث الصفة ، يوصف ، ويخبر عنه .

قال الإمام البيهقي :

(فأضاف الوجه إلى الذات ، وأضاف النعت إلى الوجه ، فقال : ﴿ ذو الجلال والإكرام ﴾ ولو كان ذكر الوجه صلة ، ولم يكن للذات صفة ، لقال : ذي الجلال والإكرام . فلما قال : ذو الجلال والإكرام ، علمنا أنه نعت للوجه وهو صفة للذات)[1] .

فلفظ الآية ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ وفيه مضاف ومضاف إليه ، وليس عند أحد من أهل العربية ، أن المضاف هو المضاف إليه ، فإذا قلت (وجه الرجل) لا يكون الوجه هو الرجل .

د ـ إن كان المقصود من الآية ذات الله تعالى ، فهذا من الآية كلها ، أي من الجملة وتركيبها ، لا من لفظ الوجه بالإستقلال ، لأن الذات شيء والوجه شيء آخر ، وإن عبر بأحدهما عن الآخر ، لا

(١) « الاعتقاد » للبيهقي (ص ٨٨ ـ أحمد عصام الكاتب ـ دار الآفاق الجديدة) .

بمعنى المرادفة ، بل من باب الكتابة والإشارة ، وهذا من المسائل البلاغية ، التي يعرفها عربيو اللسان .

فعندما أراد سبحانه وتعالى أن يخبر عن بقائه ، لم يقل (ويبقى ربك ذو الجلال والإكرام) ، وإنما نسب البقاء إلى الوجه ، من باب إرادة العام من إطلاق الخاص ، وذلك أن الوجه أكرم ما في الذات ، فإذا نسب الله إليه البقاء ، كانت الذات لاحقة بالطبع ، وإنما كان ذكر الوجه ، لما فيه من العظمة والجلال الخاصين ، ولذا جعل الله اللذة العظمى يوم القيامة ، بالنظر إلى وجهه سبحانه ، حتى قال جلُّ المفسرين(*) في تفسير قوله تعالى : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾[1] قالوا : هي النظر إلى وجه الله يوم القيامة . وفي ذلك حديث رواه مسلم وأحمد والترمذي وغيرهم ولا يسأل بوجه الله كل شيء ، بل أشرف الأشياء ، ولذا قال النبي ﷺ : « ملعون من سأل بوجه الله ، وملعون من سئل بوجه الله فمنع سائله »[2] (**) .

فهنا تبين أن اللعنة لحقت بمن يسأل بوجه الله كل شيء ، لا بالله ، لأن السنة أقرت بل دعت إلى السؤال بالله تعالى ، ولكن للوجه خصائص .

(*) وممن فسر الآية هذه التفسير أبو بكر وأبو موسى وحذيفة وابن أبي ليلى وعامر بن سعد وصهيب وغيرهم .

(١) سورة يونس الآية (٢٦) .

(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١/٣٥٨).

(**) انظر الملحق رقم (٢) .

ونـرجع فنقـول : إن هذا الإستعمـال بلاغي رائـعٌ ، كيف لا ، وهـو قول الله تعـالى ، ولكن مـاذا نقـول لمن جعـل الله عـلى قلوبهم أكنة أن يفقهوه! .

فذكر الوجه ـ كما قلنا ـ من قبيلِ ذكر البعض وإرادة الكل ، كـما تقول : (أعتقت رقبـة) أي عبداً ، ولكن ذكـرت منه الـرقبة فقط ، لما تحمل من المنـاسبة ، إذ أن الأغـلال عادة تكـون مطوقـة للرقبة ، فأصبح من البلاغـة أن ينسب التحريـر والعتق إلى الرقبـة بـالذات ، وبـالطبـع فإن من أعتق رقبـة ، لا يقطعهـا من العبد ، ليطلقها ويبقي باقيه عنده .

قال الإمام ابن فورك :
(قد تذكر صفة الشيء والمراد به الموصوف)[1] .
وهناك أدلة عظيمة على ثبوت صفة الوجه لله تعالى ، كـما في الحديث الصحيح ، الذي قال فيه النبي ﷺ أكثر من مرة : « أعوذ بوجهك »[2] .

وحديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال :
« إن الله لا ينام ، ولا ينبغي لهُ أن ينام ، حجابه النور ـ أو النـار ـ لـو كشفـه ، لأحـرقت سُبُحَـات وجهـه مـا انتهى إليـه بصـره من خلقه »[3] .

---

(١) « أقاويل الثقات » (ص ١٤١) .

(٢) رواه البخاري (٤٦٢٨ ـ ٧٤٠٦) وأحمد (٣/٣٠٩) والـترمذي (٣٠٦٥) وغـيرهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم (١٧٩) وأحمد (٤/٤٠٠) وإبن ماجـة (١٩٥) والطيـالسي (٤٩١) وابن خزيمة في « التوحيد » (١٩ ـ ٢٠) والبغوي في « شرح السنة » (٩١) .

قال الإمام النووي :

(سبحات وجهه : نوره وجلاله وبهاؤه)[1] .

فهذا فيه إثبات الوجه وأن له سبحات .

فكيف يجوز للمعطل أن يستمر في غيه !؟ وقد ظهر له الحق ، وتبدد ظلمة التأويل .

ولقد بلغوا من السفاهة وقبح المذهب أن استشهدوا لإنكارهم على أهل الظاهر بأن الله تعالى يقول :

﴿ **وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾[2] .

ولا أدري ما الذي حملهم على ذلك ؟ ! هل كذبهم وتشكيكهم المعتاد للناس بدينهم ؟ أم جهلهم الأسود الذي طمس على أبصارهم وبصائرهم ! ولكن أستبعد هذا الثاني ، لأننا غير مرة ، بيَّنا المقصود من هذه الآية . لكننا نراهم أبداً يأتوننا بها ، فيقولون بكل وقاحة وتجرؤ على الله : لو كان الله في السماء لصعق ومات . معاذ الله ، تعالى عن قولهم علواً كبيراً .

قلت : مردود عليكم ما قلتم من وجوه :

أ ـ كيف يتجرأ الجاهل أصلاً ! على القول بهذا ، وعلى اعتبار أن الله لو كان في السماء لكان مصعوقاً وداخلاً في جملة المصعوقين ،

---

(١) « شرح صحيح مسلم » للنووي (٣/١٣ ـ ١٤) .

(٢) سورة الزمر الآية (٦٨) .

فسبحان الله ! ما أبشع أقوالكم في الله ، وأنتم رافعوا لواء التنزيه ، فأي تنزيه هذا في سوء الأدب مع الله ؟ !

ب ـ لو حصل أننا سمعنا خبر أمير من الأمراء ، كأمير العراق مثلاً ، بأنه ذبح أهل العراق ، فهل يدخل هو فيهم لأنه من أهل العراق ؟ !

ج ـ من قبح فعلهم أنهم بتروا الآية ـ كعادتهم ـ وفيها :

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ فسبحان الله تعالى ! كيف يشاء عدم صعق بعض مخلوقاته ، كما ورد عن أن المستثنين هم إسرافيل وجبريل وميكال وملك الموت أو الأنبياء أو الشهداء ؟ ! ولا يشاء عدم صعق نفسه ؟ ! ولله العزة .

د ـ لم نقل أصلاً أن الله ضمن السماوات السبع بل فوقها ، فقولهم مردود من أوله ، ثم كان بعض العلماء يستثني من الصعق بعض المخلوقات . لكونها فوق السماوات السبع ، كما فعل الحليمي رحمه الله ، في استبعاده أن يكون المستثنى في الآية حملة العرش ، فقال :

(فإن حملة العرش فوق السماوات كلها ، فكيف يكون حملته في السماوات)[1] .

---

(١) « التذكرة » للقرطبي (ص ١٦٧ ط دار الفكر) .

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى :
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[1] .

فهذا القرب هو قرب الإستجابة ، لا قرب الذات ، وقرينة ذلك أنه قدم بقوله ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾ ثم عقب بعد قوله ﴿ فإني قريب ﴾ بقوله ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ فهذا واضح لا يخفى على الفاهم .

ومثله قوله تعالى :
﴿ فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾[2] .

قال شيخ الإسلام :
(﴿ قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ مقرون بالتوبة والاستغفار ، أراد به : قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين إليه ، كما أنه رحيم ودود ، وقد قرن القريب بالمجيب . ومعلوم أنه لا يقال : إنه مجيب لكل موجود ، وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه ، فكذلك قربه سبحانه وتعالى)[3] .

واستشهدوا على الظاهر بالسنة أيضاً ! وكأنهم أهل القرآن والسنة !

فمما تبجحوا به ، حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر ، فكانوا يرفعون أصواتهم

---

(١) سورة البقرة الآية (١٨٦) .

(٢) سورة هود الآية (٦١) .

(٣) « شرح حديث النزول » (ص ١٢٥) ط ٦ ـ المكتب الإسلامي .

بالتكبير ، فقال : « أيها الناس ، أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنما تدعون سميعاً قريباً ، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته »(١) .

هـذا هو الحـديث كامـلاً ، واضح المعنى ، لا يفهم منـه قـرب الـذات أبداً ، وقـرائنه أكـثر من أن تحصر ، فكونهم كـانـوا يـرفعـون أصواتهم بتكبير الله ، وكـون النبي عليه السـلام قال لهم : لا تـدعون أصمَّ ولا غـائباً ، إنمـا تدعـون سميعاً قـريباً ، فـالأمر متعـلق بـالثناء والدعاء ، ولهذا ذكر السمـع والقرب ، ممـا يدل عـلى مقام الـطلب ، وبالمقابل الإستجابة . وهذا يقتضي ذكر القرب المفيد لسماع مـا يثنى به على الله ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام :

« إن الذي تدعـونه أقـرب إلى أحدكم من عنق راحلتـه » وهذا كناية عن شدة القرب ، الذي يفيد الإستجابة والسماع .

ولـلأسف ! هم يبترون الحـديث ، ولا يأتـون به كـامـلاً ، ولا يـذكرون منـاسبته التي تبـين ظاهـره ، وإنما يـذكرون العبـارة الأخـيرة مبتورة .

ومما احتجوا به قول النبي ﷺ :

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد »(٢)

---

(١) رواه البخـاري (٤٢٠٥ ـ ٦٣٨٤) ومسلم (٢٧٠٤) وأحمـد (٣٩٤/٤ ـ ٤٠٣) وأبـو داود (١٥٢٦) وابن أبي عاصم (٦١٨) والبغوي في « شرح السنة » (١٢٨٣) وابن خزيمـة (ص ٣٥) .

(٢) سبق تخريجه (ص / ٧٤).

قالوا : ظاهر هذا ، أنه في الأرض أو تحتها ، وكلما أراد الناس الإقتراب منه سجدوا . قلنا : والله لا تستدلون إلا بما هو عليكم ، فهذا الحديث ما نظن أن أحداً من العامة ولا الخاصة ، يفهمه كما فهمتموه ، وحقيقته ظاهرة جليلة لمن كان له قلب ، وفيه أكثر من قرينة معينة لمعناه .

فالمقصود من هذا الحديث ، قرب الإستجابة من قبل الله ، وقرب العبد بعبوديته بالذل والخضوع ، مما يجعله عند الله بالمنزلة الحسنة ، بالرضى والمحبة والرأفة . وهذه الصلة ظاهرة ، لا تخفى على الخاشعين ، وهو أن العبد كلما خضع لربه وخشع وأقر بذله ، كلما قرب منه برضاه عنه ، فذكر في الحديث العبودية بلفظ (العبد) والربوبية بلفظ (الرب) رَبْطٌ بين العبد والرب بصلة العبادة ، وذكر الذل والخضوع بلفظ (ساجد) ، وبهذا اجتمعت أكثر من قرينة ، تعين المعنى المقصود ، وهو أن الكلام عن ذل العبد لربه ، وأنه مدعاة لقربه ، والدخول في حزبه ، وذلك عن طريق العبادة والإنابة ، فيكون أدعى إلى الإجابة والإثابة .

فالسجود من باب التعبد يكون اقتراباً من الله تعالى ، وهو قرب القبول ولهذا يقول الله تعالى :

﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِبْ ﴾[1] .

ثم نفس الحديث ، بتروا منه جزءً ، فهو ينتهي بقوله ﷺ : « فأكثروا الدعاء » أين ذهبوا بهذا اللفظ ؟ ألأنه يظهر عيبهم ؟ فأن

---

(١) سورة العلق الآية (١٩) .

الحث على إكثار الدعاء في هذا الموضع ، وهو موضع السجود ، يدل على أن القرب هو قرب استجابة .

ومما أظهروا جهلهم ، استدلالهم بالحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال :

« يقول الله تعالى : أنا عند حسن ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وأن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن اقترب إلي شبرا اقتربت إليه ذارعاً ، وإن اقترب إلي ذارعاً اقتربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة »[1] .

قالوا : لو أخذنا بظاهر هذا الحديث لقلنا : فعل الله كل ذلك . قلت : هذا هو الجهل بعينه ، فالحديث رائع في قرائنه التي تبين معناه ، الذي هو ظاهره . فإن قوله سبحانه (وأنا معه) لم يطلق وإنما عقب عليه بـ (إذا ذكرني) فلو أراد الله أن يخبر بأنه مع عبده بذاته ، فلماذا قال (إذا ذكرني) — فدل على أن المعية هنا ، إنما هي معية حفظ وتأييد ، وهي مترتبة على شرط ذكر العبد لربه عز وجل ، فإذا كان العبد ذاكراً لربه ، متوكلاً عليه ، فالله تعالى لا يخذله ، بل هو معه بنصره وحمايته ، بل هو كلما اقترب منه عبده كان أشد اقتراباً

---

(١) رواه البخاري (١٣/٣٢٨ - ٣٢٩ - فتح) ومسلم (٨/٦٢) وأحمد (٢/٢٥١ - ٤١٣) وصححه الترمذي (٤/٢٩٠) وقال الشيخ الألباني بعد هذه التخريجات : [وأخرجه إبن منده في « التوحيد » (ق ١/٧٧), ثم روى له (ق ١/١٠٠) شاهداً عن أنس مرفوعاً] انظر « مختصر العلو » (٩٥/١٩) .

منه ، ولذا رمز إلى ذلك بالمقاييس الحسية المتفاوتة ، وكل ذلـك كنايـة عن التفاوت في الإقبال والإقتراب ، لأنه الشبر أقل من الـذرع مثلاً ، فقـابل الشـبر من العبد بـالـذراع منـه ، والـذراع بـالبـاع ، ثم المشي بـالهرولـة من حيث السرعة ، وكـل ذلك معلوم المعنى من أول قـرينـة وأهمها ، وهي المناسبة والسياق .

واحتجوا بحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب . وما تقرَّب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه . وما يـزال عبدي يتقـرب إلي بـالنوافـل حتى أحبه ، فـإذا أحببته كنت سمعـه الـذي يسمـع بـه وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينـه ، ولئن استعاذني لأعيـذنه ، ومـا ترددت عن شيء أنـا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته »[1](*) .

---

(١) رواه البخـاري (٦٥٠٢ ـ فتح) والبغـوي في « شرح السنة » (١٢٤٨) ، وإسنـاد هـذا الحديث ضعيف كما قـرر العلماء وإن أخرجـه البخاري ، وهـو مما عيب عليـه . فالإسنـاد فيه خالد بن مخلد وقد تكلموا فيه ، فقال أحمد : [له منـاكير] وقـال أبو حـاتم : [لا يحتج بـه] وقيـل غير ذلـك من التضعيف ، وكذلـك فيه شريـك بن عبد الله شيـخ شيخ خـالد قـال إبن حجر : [فيه مقال] .

والحديث له طرق بألفاظ أخرى كلها ضعيفة . فلعل مجموعهـا يدل عـلى أنه لـه أصلاً ، وهذا ما قرره الحافظ إبن حجر ، حيث ساق له الطرق ، فانظر تفصيـل ذلك « فتـح الباري » (٣٤١/١١ ـ ٣٤٢) وهو صحيح إن شاء الله ، وقد صححه شيخنا الألباني بعد تـوقف . قال في حاشية « صحيح الجامـع » (ص ٣٦٧) : [كنت برهـة من الزمن متـوقفاً في صحـة هذا الحديث ، ثم تتبعت طرقه ، فتبين لي أنه صحيح بمجموعها] .

(*) انظر الملحق رقم (٣) .

قالوا : مقتضى الظاهر في هذا ، أن الله سمع العبد وبصره ويده ورجله ، وهذا لا يقوله مسلم .

قلنا : هذا ظاهركم ، والذي ظننتموه لا يظنه عاقل ، فضلاً عن أن يكون مسلماً ، لأنه ليس من أحد يفهم هذا الحديث كما فهمتموه ، وإن ظاهره - كسابقيه - متعين بقرائنه ، لا برسمه ، فالله تعالى يقول فيه : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » فكان هذا أعظم قرينة ، تظهر معنى الحديث ، فهو سبحانه يحارب عدو عبده التقي ، لأنه سبحانه يقول : ﴿ إن أولياؤه إلا المتقون ﴾[1] فالولاية ليست معنى اصطلاحياً ، كما يفهمه الناس اليوم ، من أن هناك أولياء ، يعرفون بصفات معينة ، تحصل لهم من الكرامات - بل يقولون أحياناً : معجزات - مع أن أكثر الموسومين في هذه الأيام باسم (الولي) زنادقة ، تجار شعوذة .

والحاصل أن كل مسلم يتقي الله سبحانه ، فهو ولي من أولياء الله تعالى ، فمن عاداه ، نصب نفسه في حرب مع الله ، فيمد الله وليه بالقوة والنصر .

ولما كان العبد غالباً ما يستعمل ويستخدم ، في حربه مع أعدائه ، سمعه وبصره ويده ورجله ، وهذا هو المعهود ، لمَّا كان ذلك وأراد الله أن يضيف إليه مساعدته وحمايته ، إضافة عظيمة ، تقارب المنتهى في التأييد ، لم يقل : كنت معيناً لسمعه وبصره . . . بل نزل نفسه منزلة الآلات ، كناية عن شدة وعظمة التأييد والنصرة ، وهذا معروف في لغة العرب ، كقولك : (فلان أذن)

---

(١) سورة الأنفال الآية (٣٤) .

فتطلق عليه جزءاً معيناً لعلاقة بين هذا الجزء والمعنى الذي تريد إثباته ، أو وصف المتكلم عنه به . فالأذن للسماع ، فإذا أردت أن تبالغ في سماع أحد ، قلت عنه : (هو أذن) وكأنه تحول بكل أعضائه إلى أذن ، وهذا الغاية بل المنتهى في وصف الموصوف بالسماع ، وقد وصف الله نبيه في القرآن بأنه (أذن خير) .

وكذلك أنت تسمع في كل حين ، أن المخابرات الفلانية ، بثت في منطقة كذا ، عيوناً لها ، ومن المعلوم أنها لا تقلع عيون أصحابها وتنثرها في الشوارع ، بل نفس عملائها ، وصفوا بأنهم (عيون) لأن مهمتهم التجسس والمراقبة ، فكان من البلاغة أن يطلق عليهم تسمية ذلك العضو المستخدم في هذه المهمة ، فأنت تقول : فلان عينٌ لأمير الشام مثلاً ، وبالطبع لا يقصد أنه عينه ، التي هي عضو منه ، ولكن لكونه يتجسس لحسابه ، وكل ما يراه هو مأمور بإيصاله إلى سيده ، فيصبح كالآلة عنده ، يرى به ما يريد رؤيته في هذه المنطقة .

ولقد قال الإمام الطوفي في تفسير هذا الحديث :

(اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته ، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها ، ولهذا وقع في رواية :

« فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي »)[1] .

ومن القرائن التي ترد ادعاء هؤلاء الذين لا يفهمون إلا إلى أرنبات أنوفهم ، أن الله علق ذلك بتقرُّب العبد من ربه ، وطاعته

---

(١) « فتح الباري » (١١/٣٤٤) .

له ، فإذا لم يطعه حرم من هذه المساعدة ، وهذا بيّن في قوله :

« وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه ، وما يزال يتقرب إلي عبدي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به . . . » .

واحتجوا بحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله تعالى يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال : يا ربِّ كيف أعودك وأنت ربُّ العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرضَ فلم تعدْه ؟ أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده ؟

يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، فقال : يا ربِّ وكيف أطعمك وأنت ربُّ العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ، قال : يا ربِّ كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدي فلانٌ فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي »[1] .

قالوا : ظاهر الحديث أن الله يمرض ويأكل ويشرب ، وهذا لا يجوز عليه . قلنا : والله ما رئي منكم أقبح من هذا الفهم ، فيا ليتكم تسكتون ، لأن الدين بين أيديكم سيفسد في أعين الناس ، ومن يفهم

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٩) و (١٦/١٢٥ - ١٢٦ - نووي) وذكره البغوي في « شرح السنة » (٥/٢١٨) .

هـذا الفهم مثلكم ؟ دلوني عـلى طفل أو امـرأة أو شيخ !! بـل دلوني عـلى أرعن أو مجنون !! ولا أظنكم ستجـدون غيركم ، يفهم هـذا ، لأن أجوافكم محشوة بقلوب خرقاء ، دبَّ فيها السقم والعياء .

فقـوله سبحـانه لعبـده يوم القيـامـة « يـا ابن آدم مـرضت فلم تعدني » هو رأس البلاغة ومنتهاه ، فالله سبحـانه عنـدما أراد أن يبـين شدة عنايته ورحمته بخلقه ، وعظمة حفظه ورعايته لهم ولمشـاعرهم ، جعـل يصف نفسه بـأنه هـو المريض . فكيف لا يعـوده عبده في هـذا المرض ؟ وهو عتاب لمن تخلف عن زيارة أخيه المريض .

فمن يفهم من هـذا أن الله مريض حقيقـة ؟ . إن القرينـة بينـة واضحـة وهي قول العبـد لربـه : « يـا رب كيف أعـودك وأنت رب العالمين » وهذا يبين أن الله عنـد عبده لـه صفات الكـمال ، ولا يشك أحد في ذلك ، ولذا سأله مستغرباً (كيف أعودك) أي : كيف تمرض يا رب ، وهي صفة نقص ؟ ! فلم ينكر عليه ربـه ، بل راح يبـين له مقصوده من هذا القول : وهو أن عيادة عباده المرض مطلوبـة ، وعلى العبد أن يهتم بها كما لو كان الله هو المريض ، ويظهر ما نقول في قوله له : « أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ؟ » .

وفي قوله : « أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده ؟ » أي لـو زرت هـذا المريض ، فكـأنـك زرتني وعـدتني ، وهـذا هـو الـظاهـر بـالقرائن ، فكيف تعبثـون بـالحقـائق ؟ وتشـوهـون المعـاني ؟ إلى الله المشتكى . ولم يـرد في آية أو حـديث أن الله يمرض ، هكـذا من دون المقصود ، فكيف يجعل ما له قرينة كالذي ليس له قرينة ؟ !

ونفس الكلام نقوله عن الأكل والشرب وأنت تـدرك من قولـه

« لـوجدتني عنـده » أي لـوفيتـك أجـرك وجـزاءك ولـذلـك قـال عن الطعام : « أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ » .

قال الإمام النووي(*) :

(قال العلماء : إنما أضـاف المرض إليـه سبحانـه وتعالى والمـراد العبد ، تشريفاً للعبد وتقريباً له)[1] فهذه الإضافـة والنسبة ، كـانت لحاجة ، وهي دفع العبد إلى زيارة أخيه المريض ، فالعبد عندما يشعر بأن زيارته بمثابة زيارة الله ، كان أبلغ في الإقبال وأدعى إلى العيـادة ، وهذا أسلوب القرآن كما في قوله تعالى :

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾[2] .

فالمال مال الله ، بل كل ما في الكـون ملكه ، وهـو لا يحتاج إلى مال ، فحث على النفقة وحض عليها ، بـل أوجبها ، وهي تـدفع إلى العبيد لا إلى الله ، ولكن أضافها إلى نفسه ، إذ عندما يشعر المنفق بأن القرض منه ، هو لله تعالى ، يكون ذلك عنده أدعى إلى الإنفاق .

وهناك الكثير من الآيـات والأحاديث التي ظنـوا بأنها تسـوغ لهم

(*) هو الإمام أبو زكريا ، يحيى بن شرف بن مري الحزامي النووي نسبة إلى نوا ، بليدة من أعمال حوران من بلاد الشام . ولد سنة (٦٣١هـ) كان شديد الورع ، محباً لطلب العلم منذ صغره حتى صار علماً يحتج به المخالف قبل الموافق ، دون منازع أو مدافع ، وصار شيخ المذهب الشافعي . من مؤلفاته « شرح صحيح مسلم » و « المجموع » .

تـوفي (سنـة ٦٧٦هـ) . أنـظر طبقـات السبكـي (٨/٣٩٦) التـذكـرة لـلذهبـي (٤/١٤٧٠) .

(١) شرح صحيح مسلم (١٦/١٢٦).

(٢) سورة الحديد الآية (١١).

ترك الظاهر ، والإقبال على التأويـل ، جهلاً ـ كـما ظهر لـك ـ بحقيقة الظاهر . ونحن لو أردنا استقصـاء الردود ، عـلى كل مـا تشبثوا بـه ، لوضعنا مصنفاً مستقلاً في الرد على جهالاتهم وضلالاتهم .

لقد تبين لكم ظاهرهم ، والظاهر الذي به يـدعون ، ولا يخفى على من عرفهم ، أنهم إن لم يتمكنـوا من رد الألفاظ ، جنحـوا إلى رد معانيها ، مدعين أن الألفاظ التي ترادف بالمعنى ألفاظ النصوص ، أنها مـردودة ، ولا تجـوز عـلى الله ، وأكـثر تـأويـلاتهم من هــذا النـوع ، وتصرفاتهم هذه ليست بدعاً من التصرف ، وقد سبقوا إلى ذلك ، من قبل أربابهم وأسيادهم .

وتجد ما قلنا ، في نفيهم المكان والجهة عن الله تعالى :

ومن طبيعتهم أنهم يصطلحون عـلى معانٍ لألفـاظ ، إصطلاحـاً خاصاً ، يخرجون به عن أصحاب اللغـة الأوائل ، ثم يلزمـون غيرهم بتلك المعـاني ، أنها هي المراد من تلك الألفـاظ ، التي لم يكن معناهـا عند الأوائل كما اصطلحوا . فمثلهم في ذلك مثل ثلاثة نفر اتفقـوا فيما بينهم على أن يسموا البحر جبلاً ، فإذا أرادوا الذهاب إلى البحر (وهو معروف ومعلوم عند الجميع) قالوا : تعالوا نذهب إلى الجبل ، فما من أحــد غـيرهم يمكنــه أن يعلم قصـدهم لأنهم شــذوا عن النــاس ، واصطلحوا على أشياء خاصة ، فما بالك لو جـاء هؤلاء النفر ، ودعـوا الناس إلى الذهاب معهم ، ألا تظن أنه سيحكم عليهم بالجنـون ؟ أو أن الناس ستضربهم بالنعال ؟

وهكذا فعلوا مع لفظي (المكان والجهة) فقد اصطلحوا على أن (المكـان) هو مـا أحاطت بـه الجهات ، فقـالـوا : هـذا مخلوق ، ولا

يكون الله موجوداً في مخلوق . وكذلك قالوا بالنسبة إلى (الجهة) شيئاً شبيهاً .

وقد توصلت إلى موقف ، أدعو غيري إلى التزامه مع هؤلاء ، وأن يثبت لله الجهة والمكان ، لأنهما غير مردودين ، بل هما ثابتان لله تعالى ، من خلال ألفاظ النصوص التي تتضمن معناهما ، ومن باب آخر لأن العرب ليسوا ملزمين بشذوذ بعض الجهلة حتى يتنازلوا عن معانٍ عربية أصيلة ، بل على الجميع أن يعودوا إلى النبع الصافي ، وإلى لغة العرب الأصيلة ، لأن فتح هذا الباب لكل داخل ، قد يصل بنا إلى تحريف ألفاظ العرب عما وضعت له ، وهذا أمر خطير ، لما فيه من تسهيل الطريق إلى تحريف القرآن ، فعلى الناس أن يرتقوا إلى الحقيقة ، لا أن تمسخ الحقيقة لتناسب جهلهم ، فالعلماء كانوا قد ناقشوهم في هذه القضية ، مناقشة وصلت بالبعض إلى حل وسط ، وهو عدم التلفظ بـ (الجهة والمكان) لعدم ورود ذلك ، وهو أمر خطأ لأن هناك مرادفات للألفاظ ، فلا يمكن أن يتنصل أي إنسان من أن المقصود من (أين ؟) إنما هو السؤال عن المكان ، لأن المكان عند العرب بمعنى (حيثية الوجود) فأنت تقول : (هذا مكانه هنا أو هناك) أي (حيثية وجوده) ولذلك يأتي المكان ظرفاً في كثير من الأحيان .

كما في الحديث الصحيح ، الذي فيه ذكر البلاء وشدته « لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتني مكانه »[1] أي : يا ليتني مدفون حيث هو مدفون .

---

(١) متفق عليه ورواه أحمد .

وكذلك لا يُتَنَصَّل أبداً ، من أن (فوق) للجهة ، فيقال : الله في جهة الفوق بالنسبة لنا لأننا داخل الكون ، فكوننا نثبت أن الله على العرش ، وفوق السموات ، هذا إثبات للمكان وللجهة ، ولذلك تجد العامة يستغربون من البعض عندما يقولون : الله فوقنا لا بمعنى الجهة . فهذا مردود ، ولا يجوز لنا أن نغير لغة العرب من أجل حثالة من الجهلة ، ولم يكن أحد من الأوائل ينكرها بل الكل يثبتها ، مع الإيمان الراسخ بأنه ليس كمثله شيء سبحانه .

فالمكان عندما كان عند العرب بمعنى (حيثية الوجود) أصبح نفياً لوجود الخالق قولنا : (ليس هو في مكان أو ليس له مكان) وكذلك الجهة عندهم أمر نسبي ، فنحن بالنسبة لله تحته ، وهو بالنسبة لنا فوقنا ، ونحن لا نقول أنه داخل الكون حتى يعتبروا الجهة له محذورة ، بل هو خارج الكون ، ولا بد أن للكون حدوداً ، فهو محدود ، فنحن عندما نشير إلى فوق ، لا بد أن تنتهي الإشارة عند حدود الكون فتستمر الإشارة إلى خارجه حيث المكان اللائق بالله تعالى ، وهو ليس مكاناً مخلوقاً ، كما هو داخل الكون .

فلفظ (المكان والجهة) معنى للنصوص ، ولا يجوز عدم إثباتهما لله ، بل يجب إثباتهما ، وإن دعت الحاجة إلى توضيح المقصود منهما فهذا لوجود شاذ قد اشتبه عليه الأمر ، أو لبَّسوا عليه بإصطلاحهم معنى هذه الألفاظ . وإن تذرع أحد بأن ذلك لم يرد باللفظ ، قلنا : وما الفرق ؟

وهل يمكن لإنسان أن يقول : الله غير موجود ، لكون لفظ (موجود) غير موجود في الكتاب والسنة ؟ بالطبع لا ، لأن هذا اللفظ معنى ثابت لله . ومن أنكره أنكر الخالق وجحده .

وقد ورد لفظ المكان في أحاديث كثيرة ، ولكنها ضعيفة ، ونحن نستفيد من ذلك أن العلماء لم يكونوا ينفونها على أنها غير جائزة على الله ، بل كانوا يتلفظون بها ، ويثبتونها خارج النصوص أيضاً ، حتى أن الإمام البخاري نفسه روى في « صحيحه » حديثاً في المعراج[1] ، فيه ذكر المكان لله تعالى ، والمهم أن رجلاً كالبخاري يؤمن بأن هذه الألفاظ ثابتة لله تعالى ، بل التابعون أطلقوها على الله ، وهم الذين أخذوا عن الصحابة رضوان الله عليهم .

فعن مجاهد في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾[2] قال :

« بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب ، فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب ، فلما رأى مكانه ، وسمع صريف القلم ، قال : ربِّ أرني أنظر إليك »[3] .

والعلماء كما قلنا ، أثبتوا لله المكان ، ولم يتلوثوا بما تلوث به المتأخرون .

---

(1) وهو حديث شريك بن عبد الله عن أنس بن مالك ، متفق عليه ورواه أيضاً إبن خزيمة في « التوحيد » (ص ٢١٠ ـ ٢١٢) وفيه :

« فعلا به جبريل حتى أتى به إلى الجبار ـ وهو في مكانه ـ فقال : يا رب خفف » وقال مسلم عن شريك : [إنه اضطرب في رواية هذا الحديث ، وساء حفظه ، فزاد ونقص وقدم وأخر] .

(2) سورة مريم الآية (٥٢) .

(3) سبق (ص / ٣٥).

قال الفضيل بن عياض :

(إذا قال لك الجهمي : أنا أكفر برب يزول عن مكانه ، فقل : أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء)[1] .

فأنظر إلى الجهمي هنا كيف أثبت المكان لله دون أن يشعر .

وقال حرب الكرماني رحمه الله :

(إن الجهمية أعداء الله ، وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق ، وأن الله لم يكلم موسى ، ولا يرى في الآخرة ، ولا يعرف لله مكان ، وليس على عرش ولا كرسي ، وهم كفار فاحذرهم)[2] .

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي :

(قد أينا له مكاناً واحداً ، أعلى مكان ، وأطهر مكان ، وأشرف مكان : عرشه العظيم المقدس المجيد ، فوق السماء السابعة العليا ، حيث ليس معه هناك إنس ولا جان ، ولا بجنبه حش ولا مرحاض ولا شيطان)[3] .

(*) هوفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي ، أبو على الزاهد الخراساني ، كان شاطراً يقطع الطريق بين ابيورد وسرخس ، ثم تاب وجعل توبته مجاورة البيت الحرام ، وثقه النسائي وابن حبان وابن عيينه ، مات سنة (٢٨٧هـ) قال وكيع يوم موته : ذهب الحزن اليوم عن الأرض .

انظر التهذيب (٨/٢٩٤ ـ ٢٩٧) .

(١) ذكره ابن تيمية في « شرح النزول » (ص ٤٧ ط ٦ ـ المكتب الإسلامي) وذكره البخاري في « خلق أفعال العباد » معلقاً (ص ١٤ ـ مؤسسة الرسالة) .

(٢) « العلو للعلي الغفار » للذهبي (٢١٣/م) .

(٣) « النقض على بشر المريسي » (٩٦/١ ـ طبع مطبعة الأشرف ـ لاهور باكستان) .

وقال الإمام الطبري :

(وقال آخرون : معنى ذلك : وهو العلي على خلقه بإرتفاع مكانه عن أماكن خلقه)[1] .

وهناك أقوال كثيرة في إثبات إطلاق العلماء المكان على الله .

وبالنسبة للجهة ، فقد أثبتها كثيرون أيضاً :

قال إمام الشافعية في وقته ، سعد بن علي الزنجاني :

(وجماهير المسلمين ، وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله جل ثناؤه من جهة الفوق في الدعاء والسؤال ، فإتفاقهم بأجمعهم على الإشارة إلى الله سبحانه من جهة الفوق حجة ، ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل ، ولا من سائر الجهات سوء جهة الفوق)[2] .

وقال الإمام عبد القادر الجيلاني في كتابه « الغنية » :

(وهو تعالى بجهة العلو ، مستو على العرش ، محتوٍ على الملك محيط علمه بالأشياء)[3] .

وقال ابن رشد المالكي في كتابه « الكشف » :

(وأما هذه الصفة ـ يعني القول بالجهة ـ فلم تزل أهل الشريعة يثبتونها ، حتى نفتها المعتزلة ومتأخروا الأشاعرة . . . . فقد ظهر أن

---

(١) « جامع البيان » (م ٣ ج ٣ ص ٩) .

(٢) « اجتماع الجيوش » لابن القيم (ص ١١٨ ط ١ دار الكتب العلمية) .

(٣) نقله شيخ الإسلام في « مجموع الفتاوى » (٥/٨٣ ـ ٨٤) وكذلك ابن القيم في « اجتماع الجيوش » (ص ١٧٥) .

إثبات الجهة واجب شرعاً وعقلاً)[1].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في « تفسيره » :

(وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم ، لا يقولون بنفي الجهة ، ولا ينطقون بذلك ، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى ، كما نطق كتابه ، وأخبرت رسله . . . . ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه تعالى استوى على العرش حقيقة)[2] .

وقال الإمام زين الدين الكرسي الحنبلي* :

(واحتجوا أيضاً ، على أنه في جهة العلو ، بأنه هو الذي طبع الله عليه أهل الفطرة العقلية السليمة من الأولين والآخرين ، الذين يقولون : إنه فوق العالم . إذ العلم بذلك فطري عقلي ضروري ، لا يتوقف على سمع . . .

واحتجوا أيضاً بأن الله تعالى كان ولا مكان ولا زمان ، ولا خلاء ولا ملاء ، منفرداً في قدمه ، لا يوصف بأنه فوق كذا ، إذ لا شيء غيره .

---

(١) « الكشف عن مناهج الإدلة » (ص ٦٦) .

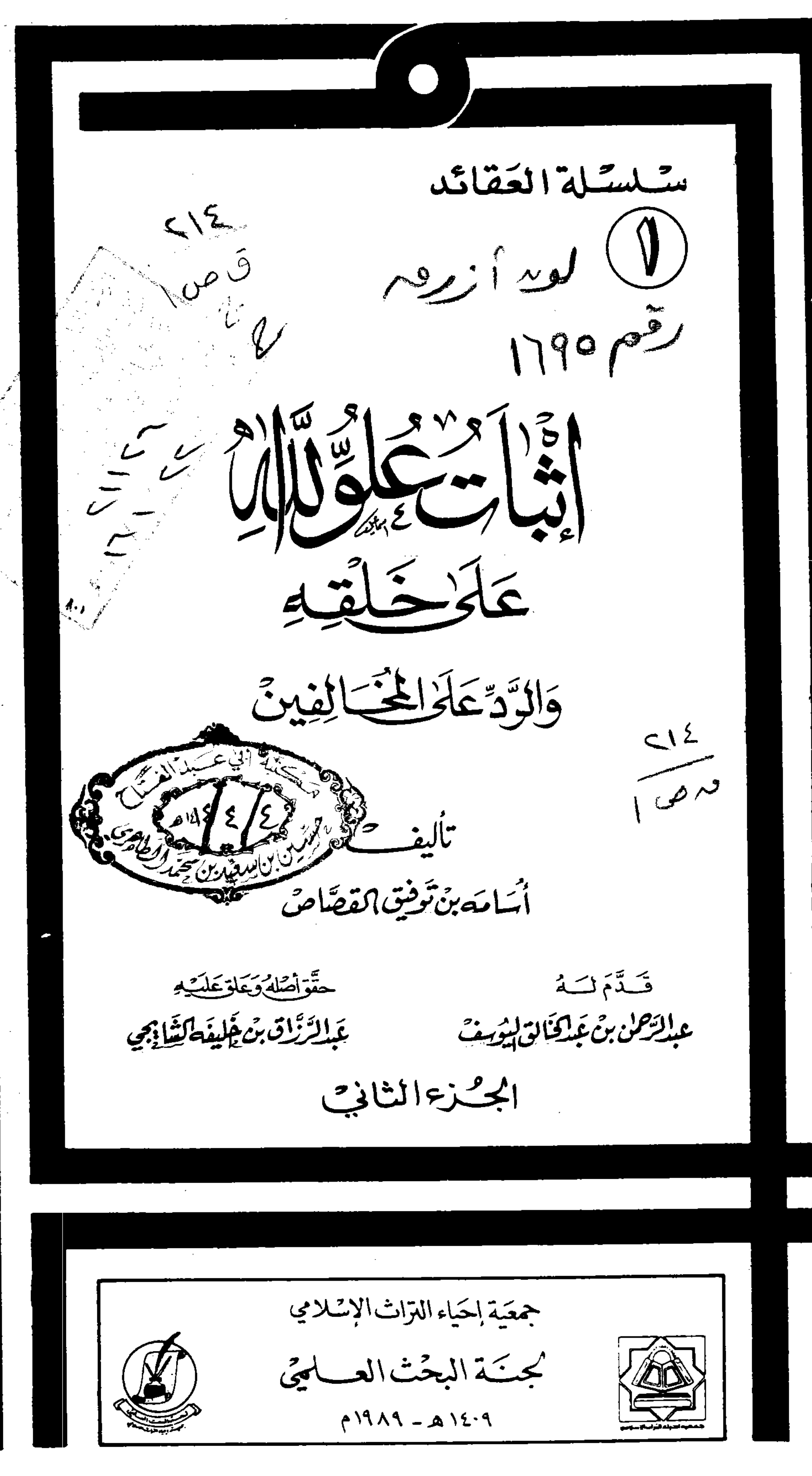
(٢) « تفسير القرطبي » (٧/٢١٩) .

(*) هو الإمام زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي ، نسبة إلى كرم في فلسطين كان عارفاً بمذهب الإمام أحمد ، منافحاً عنه ، حتى أصبح من أكابر علماء الحنابلة في عصره ، أما في الإعتقاد فكان على مذهب السلف الصالح من التسليم المطلق للنصوص وعدم تأويلها كما يظهر ذلك من كتابه « أقاويل الثقات » . من مؤلفاته « دليل الطالب » و « الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية » توفي سنة (١٠٣٣هـ) بمصر .

انظر كشف الظنون (١٩٤٨) معجم المؤلفين (٢٤٤) .

فلما اقتضت الإرادة حدوث الكون ، اقتضت أن يكون له جهة علو وسفل ، واقتضت الحكمة الإلهية . أن يكون الكون في جهة التحت والسفل ، لكونه مربوباً مخلوقاً ، وأن يكون هو فوق الكون ، باعتبار الكون لا باعتبار فردانيته تعالى ، إذ لا فوق فيها ولا تحت ، فإذا أشير إليه سبحانه ، يستحيل أن يشار إليه من جهة التحت ونحوها ، بل من جهة العلو والفوقية)[1] .

(١) « أقاويل الثقات » (ص ٨٦ ـ ٨٧) .



سلسلة العقائد

(١)

إثبات علو الله على خلقه

والرد على المخالفين

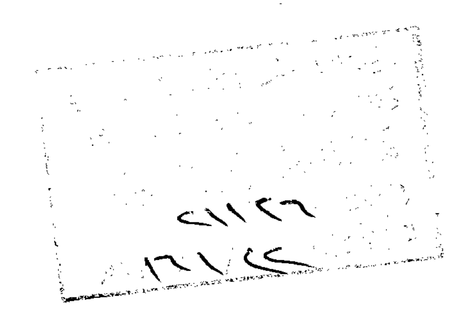
تأليف
أسامة بن توفيق القصاص

قدم له
عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف

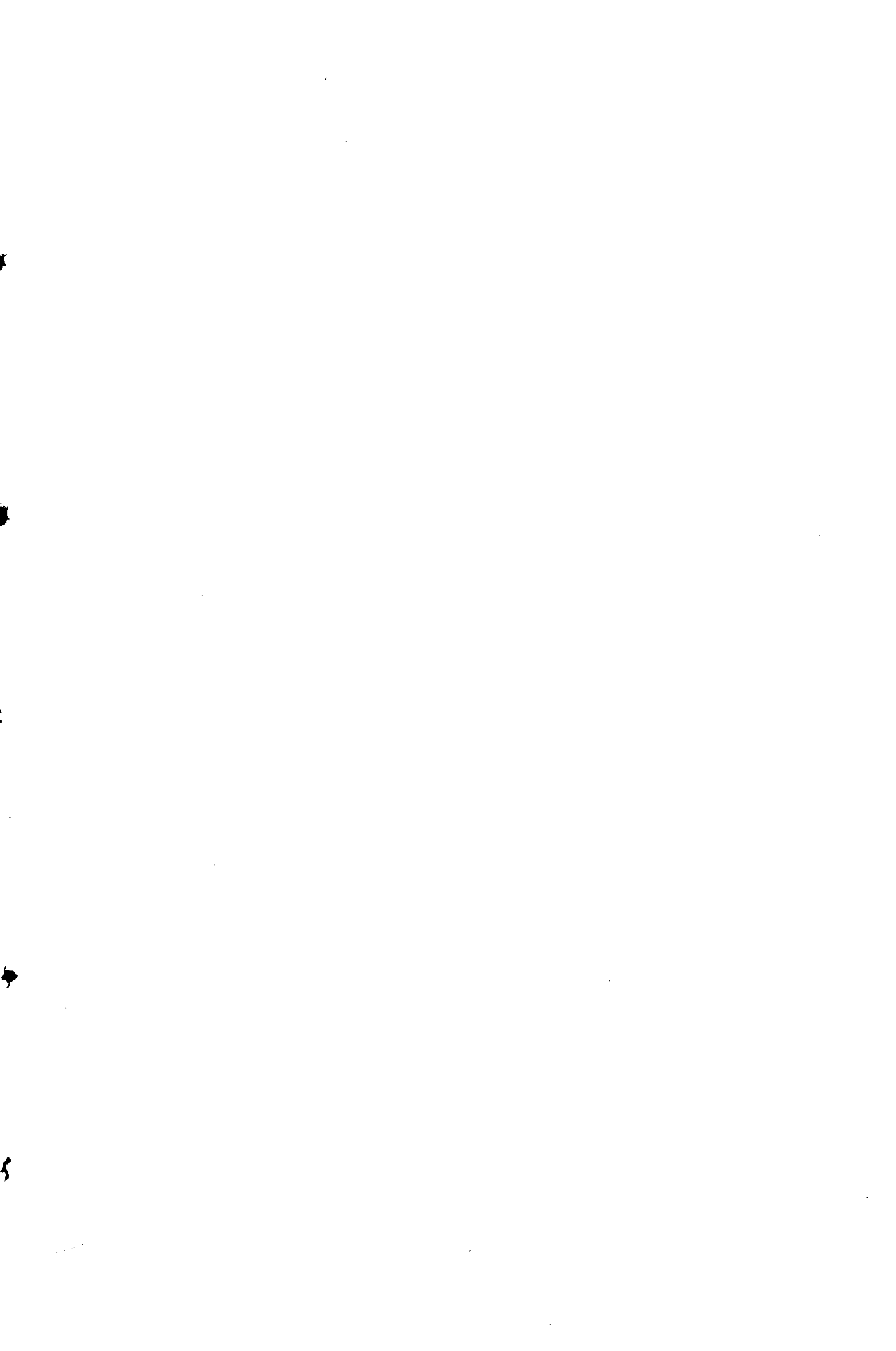
حقق أصله وعلق عليه
عبد الرزاق بن خليفة الشايجي

الجزء الثاني

جمعية إحياء التراث الإسلامي
لجنة البحث العلمي
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م



أدلة علو الله تبارك وتعالى
من السنة الشريفة



والآن سننتقل إلى مصدرنا الثاني ، وهو سنة رسول الله ﷺ ، الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحَى.

(حديث أبي سعيد الخدري)

أن النبيَّ ﷺ قال :

« ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟ يأتيني خبر من في السماء صباح مساء »[1] .

ومناسبة هذا القول ، أن علياً رضي الله تعالى عنه ، أرسل ذهيبة من اليمن ، فقسمها النبي ﷺ بين أربعة نفر من نجد ، فغضب القرشيون ، وتضايقوا ، حتى قال له رجل :

(إتق الله يا محمد) .

فجاء قوله رداً عليهم :

« ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟ » .

---

(١) رواه البخاري (٣/١٥٨ ـ ١٥٩) (٨/٦٧) ومسلم (١/٢٩٢) (٢/٧٤٢) وأحمد (٣ / ٤ ـ ٥) ورووه بلفظ آخر من طريق أخرى هم أبو داود (٤٧٦٤) والنسائي (١/٣٥٩) والبيهقي (٧/١٨) أنظر « الإرواء » (٣/ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩) وراوه بهذا اللفظ أيضاً ابن خزيمة (ص / ١١٨).

أي أمين الله تعالى ، الذي هو في السماء ، والذي يُنزل إليّ الوحي ليلاً نهاراً .

هل ستقولون الآن أيضاً : (يعني أمين اللوح المحفوظ) ؟!

من دون شك ، لن تجرؤوا ، لأنه قال :

« أمين من في السماء » ولم يقل : « أمين ما في السماء » .

أم هل ستدعون بأن المعنى : (أي أمين جبريل) ؟

فهذا أيضاً لا ، بل ألف لا ، لأن جبريل نفسه ، أمين الله في السماء كما أن محمداً ﷺ أمينه في الأرض .

(حديث جرير بن عبد الله)

أنه سمع النبي ﷺ يقول :

« من لم يرحم من في الأرض لم يرحمه من في السماء »(١)(*) .

هذا الحديث فيه من الإشراق ، ما تـزيغ أمـامه الأبصـار ، التي اعتـادت على الـظلمة ، فقـوله : « من لم يـرحم من في الأرض » فيـه تذكير ، بـل أمر بـأن يرحم العبـاد بعضهم البعض ، فهي الرحمـة فيما بينهم ، وقوله :

« لم يرحمه من في السماء » فيه ذكر رحمة المولى عز وجل لعباده .

فإن انتفت الأولى ، كان العقاب بالآخرة الثانية .

وإن قلتم : (في السماء جبريل) قلنا : كفرتم الآن ، لأن الذي يرحم هنا هـو الله لا جبريـل أيها الجهـال . فإن قلتم : وكيف يَـرحم العبادُ ، ولا يرحم جبريلُ ؟! وهو منهم . قلنا :

إن الرحمة التي يعاقب التنزيل بحبسها ، لا تكون رحمة مخلوق ، وإنما هي رحمة الخالق تبارك وتعالى ، فالتحذير بهـذا الإنذار دليـل على أنها رحمـة الله ، التي تحتاج إليهـا المخلوقات دائـماً وأبـداً ، وأمـا رحمـة جبريل فهم يستغنون عنها ، لكونها رحمة من هو بحاجة إلى رحمة .

(١) رواه الـدارمي في « الرد عـلى الجهمية » (ص ٢٥) والـذهبي في « العلو » (ص ٨٤/م) وقال : [رواته ثقات] وقال الألباني (٥/٨٤) : [أخرجه الطبراني] .

(*) انظر الملحق رقم (٤) .

والدليل الناصع ، على أن راحم السماء هنا هو الله تعالى ، رواية أخرى ، وهي عن نفس الصحابي جرير بن عبدالله رضي الله عنه ، قال النبي ﷺ :

« من لا يرحم الناس لا يرحمه الله »[1] .

وقد قرأت في « الإنجيل » الموجود اليوم ، أن عيسى عليه السلام قال :

«إن لم تغفروا أنتم ، لا يغفر أبوكم الذي في السموات أيضاً زلّاتكم»[2] .

وهناك رواية عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ، تؤكد المعنى الذي نريد إثباته كما هو الحق .

قال ﷺ :

« الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى :
إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »[3] .

---

(١) رواه البخاري (٤٤٦/٤) ومسلم (٧٧/٧) والترمذي (٣٥٠/١) وقال : [حسن صحيح] وأحمد (٣٥٨/٤ - ٣٦٠ - ٣٦٢ - ٣٦٥ - ٣٦٦) ورواه هذان الأخيرين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . أنظر « تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام » للألباني (١٠٨/٧٠) .

(٢) (مرقس ١١ : ٢٦) .

(٣) رواه أحمد (١٦٠/٢) وأبو داود (٤٩٤١) والترمذي (٣٥٠/١) وقال : [حديث حسن صحيح] والبخاري في « الكنى » والحاكم في « المستدرك » (١٥٩/٤) وصححه ووافقه الذهبي وذكره في « العلو » (ص ٨٣/م) ورواه البيهقي في « الأسماء » (ص ٣٠٠) =

وفي رواية :

« إرحم من في الأرض يرحمك من في السماء »[1](*) .

إن قلتم : معنى (في السماء) أي عظمة وقدراً .

قلنا لكم : أنظروا إلى عظم جهلكم ، لأن العربية لا تألف هذا الأسلوب ، بل حتى آذان العامة تستوحشه ، وتمهجه .

ألا ترون إلى سياق الحديث ؟ وإلى هذه المقابلة اللفظية التي فيه ؟ (الأرض والسماء) فعندما قال :

« إرحموا من في الأرض » أراد الأرض التي نحن عليها ، وهذا المعنى حسي ، والتعقيب عليه بـ « يرحمكم من في السماء » فيه مقابلة لفظية ، فتعين أن المعنى الآخر حسي أيضاً ، وهذه مقابلة بين الفوقية والتحتية ، ونحن لم نعرف في حياتنا رجلاً يقول :

(الشجر على الأرض وفلان في السماء) ويقصد القدر والعظمة للثاني .

= والخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/٢٦٠) وهو صحيح باعتبار الشواهد والمتابعات ، وإلى ذلك مال الحافظ السخاوي ، وحسنه عبد العزيز الغماري في « منح المنة » (ص ١١) وصححه شيخنا الألباني وقال : [إنما هو صحيح لغيره] « مختصر العلو » (٤/٨٤) وهو في « صحيح الجامع » (٣٥٢٢) و « الصحيحة » (٩٢٥) والحديث من المسلسلات بالأولية إلى سفيان بن عيينه رحمه الله .

(١) هذه الرواية عن جرير وعن إبن مسعود رضي الله عنهما ، والحديث رواه الطبراني في « الكبير » و « الأوسط » و « الصغير » ورواه الحاكم والطيالسي وأبو نعيم في « الحلية » والخطيب في « تاريخه » وصححه الألباني . أنظر « صحيح الجامع » (٨٩٦) « الصحيحة » (٩٢٥) « الروض النضير » (٦٠٠) .

(*) انظر الملحق رقم (٥).

وجاء بعضهم بحديث ، ليضرب السنة بعضها ببعض ، وهو : « الراحمون يرحمهم الرحيم ، إرحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء » .

فقالوا : هذا يدل على الملائكة . قلنا : حتى وإن سلمنا لكم بهذا ، أفلم تقرؤوا قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِيْنَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِهِ** ﴾[1] إن الملائكة عند الله في السماء ، وهذا لا ينفعكم مهما حاولتم !!

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٦) .

(حديث أبي هريرة)

* أن النبي ﷺ قال :

« إن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ يَاْ أَيُّهَاْ الرُّسُلُ كُلُوْا مِنَ الطَّيِّبَاْتِ وَاْعْمَلُوْا صَاْلِحاً إِنِّي بِمَاْ تَعْمَلُوْنَ عَلِيْمٌ ﴾[1] وقال : ﴿ يَاْ أَيُّهَاْ الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُلُوْا مِنْ طَيِّبَاْتِ مَاْ رَزَقْنَاْكُمْ ﴾[2] .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء (يا رب يا رب) ومطعمة حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِّي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك ؟ ! »[3] .

---

(١) سورة المؤمنون الآية (٥١) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٧٢) .

(٣) رواه مسلم (٣/ ٨٥ ـ ٨٦) وأحمد (٢/ ٣٢٨) والترمذي (٢/ ١٦٤) وقال : [حديث حسن غريب وإنما نعرفه من حديث فضيل بن مرزوق] ورواه الدارمي (٢/ ٣٠٠) وفضيل بن مرزوق هذا فيه كلام حتى ضعفه النسائي وعثمان بن سعيد وقال ابن حبان : [منكر الحديث جداً] وهو لا يصل إلى ذلك وكذلك لا يصل إلى مرتبة الصحة ، ولهذا قال الحاكم : [ليس من شرط الصحيح ، عيب على مسلم إخراجه في «الصحيح»] والقول الفصل فيه قول الحافظ في «التقريب» : [صدوق يهم] .

وبناء على ما سقنا قال شيخنا الألباني : [فمثله أحسن أحواله أن يكون حديثه حسناً وأما الصحة فلا] .

انظر « غاية المرام » (ص ٢٨) .

هذا الحديث فيه دليل عظيم على علو ربنا العظيم ، وفيه أن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فلا فرق من ناحية التكليف إلا ما كان من باب الإختصاص ولكن الطيبات فقد أحلها لهم جميعاً وحرم الخبائث عليهم جميعاً .

وذكر فيه ﷺ أمر الرجل الذي يسافر ليحج ويعتمر فيمد يده إلى السماء إلى ربه ويناديه (يا رب يا رب) وهو غارق في الحرام لا يخلو منه مأكله ولا مشربه ولا ملبسه فكيف يريد هذا العبد القائم على المعصية والذي غذي جسده من مال الحرام أن يستجاب له دعاؤه ؟ !

وشاهدنا :

« يمد يديه إلى السماء (يا رب يا رب) » .

أما وجدتم فيه شيئاً ؟ !

ألا ساء ما تحكمون !

(حديث أبي هريرة)

* أن رسول الله ﷺ قال :

« والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها »[1] .

فها هو رسول الله ﷺ يقسم على أن الله تعالى يسخط على امرأة دعاها زوجها إلى الجماع فأبت ورفضت ، لما في ذلك من مخالفة لأمره وتضييع لحقه وتخريب في المجتمع إذ الإمتناع قد يفضي بالرجل إلى الزنا فيعم الفساد وشاهدنا قوله :

« إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها » .

فمن الذي يسخط هنا ؟ جبريل أم الرب تعالى ؟

لا شك أنكم ستقولون : بل الله وهو الهدف .

---

(١) رواه مسلم (١٠/٧ ـ ٨ نووي) وهو عند الذهبي في « العلو » (٨٤/مختصر) بلفظ « حتى يرضى عنها زوجها » .

(حديث أبي هريرة)

أن النبي ﷺ قال :

« إن الميت يحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا : أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان فيقال : مرحباً بالنفس الطيبة فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله تعالى . . »[1] .

قلت : بربكم لا تَنَطَّعوا ، ألا تجدون الدليل جلياً واضحاً في هذا الحديث العظيم ها هي الملائكة تصعد بالروح الطيبة ـ المؤمنة

---

(١) رواه أحمد (٢/٢٦٤ و ٦/١٤٠) وإبن ماجة (الزهد باب رقم ٢١) والحاكم في « مستدركه » وقال : [هو على شرط البخاري ومسلم] وقال شيخنا الألباني [وهو كما قال] « مختصر العلو » (٨٥/٧) وهو عنده في « صحيح الجامع » (١٩٦٨) وخرجه في « الترغيب » (٤/١٨٨) .

والحديث عند إبن خزيمة في « التوحيد » (ص ١٢٠) بلفظ « حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الرب تبارك وتعالى» وقد وهم الأخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لـ «أقاويل الثقات» (ص ١١٨) حيث علق على القرطبي عندما ذكره بهذا اللفظ فقال : [هذا تصرف مخل من القرطبي رحمه الله فلم يرد الحديث بهذا اللفظ] قلت : فالقرطبي يذكر حديث أبي هريرة لا البراء بن عازب رضي الله عنهما فهو وارد باللفظ الذي نفاه شعيب بارك فيه .

بصفات الله كما وصفت نفسه ـ إلى السماء وتظل تعرج من سماء إلى سماء حتى تنتهي بها إلى السماء التي فيها الله تبارك وتعالى حيث يليق به من مطلق العلو وأعظمه .

وأما الروح الخبيثة ـ كروح المنكرين لعلوة سبحانه ـ فلا يفتح لها وذلك قوله تعالى : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ ﴾[1] .

قال الإمام أبو سعيد بن سعيد الدارمي :

(وفي قوله ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ دلالة ظاهرة أن الله تعالى فوق السموات لأنه لو لم يكن فوق السماء لما عرج بالأرواح والأعمال إلى السماء ولما غلقت أبواب السماء عن قوم وفتحت لآخرين)[2] .

---

(١) سورة الأعراف الآية (٤٠) .

(٢) « الرد على الجهمية » للدارمي (ص ٣٥) .

(حديث أبي هريرة)

أن النبي ﷺ قال :

« من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوَّه حتى تكون مثل الجبل » .[1]

هيا انظروا معنا إلى صعود الطيب إلى ربنا فهل يصعد إلى تحت أم إلى فوق ؟

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٠ ـ فتح) ومسلم (٣/٨٥) وأحمد (٢/٣٣١ ـ ٣٨٢ ـ ٤١٨ ـ ٤٣١) والترمذي (١/١٢٨) والنسائي (١/٣٤٩) وابن ماجه (١/٥٩٠/١٨٤٢) والدارمي (١/٣٩٥) والحديث رواه عن عائشة أحمد (٦/٢٥١) وقال الألباني عنه : [بإسناد صحيح على شرط مسلم وصححه إبن حبان (٨١٩)] «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» (ص٧٤) والحديث رواه مالك في «الموطأ» (٢/٩٩٥/١) مرسلاً وانظر أكثر من هذا التفصيل كتاب شيخنا «الإرواء» (٣/٨٨٦).

(حديث أبي هريرة)

قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن لله ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كُتَّاب الناس فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا : تعالوا هلموا إلى بغيتكم فيحفون بهم فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء .

فيقول الله تعالى : أي شيء تركتم عبادي يصنعون ؟ . . . »[1] .

ولفظ مسلم :

« فيسألهم ـ وهو أعلم ـ : من أين جئتم ؟ فيقولون :

جئنا من عند عباد في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويهللونك ويسألونك . . . » .

أليس في هذا حجة دامغة على علوه تبارك وتعالى ، إذ هؤلاء الملائكة السياحون عندما يتفرّق أهل الذكر يصعدون إلى الله إلى السماء ، لأنه سبحانه فيها ، فيسألهم وهو أعلم .

---

(١) رواه البخاري (١١/١٧٧ ـ ١٧٩) ومسلم (٢٦٨٩) وأحمد والبغوي في « شرح السنة » (١٢٤١) والذهبي في « العلو » (٩٠/مختصر) والحديث قريباً من هذا اللفظ عند الترمذي (٢/٢٨٠) وقال : [حديث حسن صحيح] وهو عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما .

والشاهد قول الرسول ﷺ :

« فإذا تفرقـوا صعدوا إلى السمـاء فيقول الله تعـالى » هكذا يـأتي السؤال والقول من الله بعد صعودهم إلى السماء ، قولوا لماذا ؟ لا شك لأنه فيها ولذلك كان جوابهم :

« جئنا من عند عباد في الأرض » .

(حديث أبي هريرة)

قال : قال رسول الله ﷺ :

« كان ملك الموت يأتي الناس عياناً فأتى موسى عليه السلام فلطمه فذهب بعينه فعرج إلى ربه عز وجل فقال : يا رب بعثتني إلى موسى فلطمني فذهب بعيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه . . . »[1] .

ألا ترون إلى ملك الموت كيف نزل إلى موسى من السماء ليقبض روحه ، فحصل معه ما حصل فعاد إلى ربه لا في العراق ولا في الشام ، ولا حفر تحت الأرض ، وإنما صعد صعوداً إلى ربه الذي هو في السماء وهناك قال : يا رب .

---

(١) رواه أحمد (٢/٥٣٣) بإسناد قال عنه الألباني : [جيد] « مختصر العلو » (٨٦/٨) والحاكم (٢/٥٧٨) وقال : [صحيح على شرط مسلم] والذهبي في « العلو » (٨٥/مختصر) وإبن القيم في « الجيوش » (ص ٣٧) وقال : [حديث صحيح أصله وشاهده في الصحيحين] وهو كما قال فقد رواه البخاري (٥/٣٨٧ ـ قسطلاني) ومسلم (٧/٩٩) والنسائي (١/٢٩٦) وهو مخرج في « السنة » لابن أبي عاصم (رقم ٥٩٩) .

(حديث أبي هريرة)

قال : قال رسول الله ﷺ :

« ما طَرَفَ صاحب الصور مذ وكل به مستعداً ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان »[1][*] .

ألا يدل هذا الحديث على أن الله فوق العرش ؟

إسرافيل هو صاحب الصور الذي وُكِّل بالنفخ فيه ، وهو منذ أن عهد بذلك إليه يرقب وينتظر أمر الله ، ولذا هو ينظر نحو العرش لا يغفل ولا يحرك طرفه مخافة أن يؤمر ، لأن الأمر من هناك من فوق العرش ، حيث يستوي الله الآمر عز وعلا .

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه وقال الألباني في « مختصر العلو » (١٧/٩٣) : [ووافقه المؤلف - أي الذهبي - في « تلخيصه » (٥٥٩/٤) وزاد : « على شرط مسلم » وهو كما قال وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (١/٧٣) وذكر له شاهداً من حديث ابن عباس) .

(*) انظر الملحق رقم (٦) .

(حديث أبي هريرة)

عن النبي ﷺ قال :

« إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والأرض إذا سألتم الله عز وجل فاسألوه الفردوس فإنه في وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة »[1] .

أليس في هذا الحديث أيضاً دلالة على العلو ؟

فالفردوس أعلى الجنة وفي وسطها ، وفوقه عرش الرحمن تبارك وتعالى ، وقد دعت آسيا زوج فرعون وسألت ربها فقالت :

﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾[2] .

فإنها لما علمت أن ربها فوق عرشه الذي هو أعلى من الجنة ، والجنة تحته مباشرة إذ هو سقفها ـ أي سقف الفردوس ـ ، طلبت منه

---

(١) رواه البخاري (٧٤٢٣ ـ فتح) وأحمد (٣١٦/٥ ـ ٣٢١) والترمذي (٣٢٦/٣) وابن ماجة (٥٩٠/٢) والحاكم (٨٠/١) وقال : [إسناده صحيح] ووافقه الذهبي ورواه البيهقي في الاعتقاد (ص ٤٢) وفي « الأسماء » (ص ٥٠٤) وإبن عساكر . والحديث رواه بعضهم عن غير أبي هريرة ، رووه عن عبادة بن الصامت وعن معاذ وعن أبي عبيدة بن الجراح .

(٢) سورة التحريم الآية (١١) .

أن يبني لها بقربه بيتاً ، ولذا قالت له ﴿ عِنْدَكَ ﴾ فرضي الله عنها وعنا ، وأدخلنا برحمته فسيح جنانه سبحانه فهو القائل :

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾[1] .

فالجنة هي دار السلام وهي تحت العرش ، فكانت عنده جل وعلا ، ومن ذلك قوله عن حملة عرشه ومن حوله :

﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾[2] .

فهم حول عرشه وتحته ، ولهذا كانوا عنده سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٢٧) .

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٦) .

(حديث أبي هريرة)

عن النبي ﷺ قال :

« إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان »[1] .

يا جهال أليس في الحديث : « إذا قضى الله الأمر في السماء » ؟

هذا يعني أنه في السماء ، وها هي الملائكة تضرب بأجنحتها خاضعة لقوله الذي قاله ، كأنه صوت الحديد على الجبل .

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٠٦) وفي « خلق أفعال العباد » (ص ٤٠) وصححه الترمذي ورواه ابن ماجة وابن خزيمة والبيهقي في « الأسماء » أنظر « صحيح الجامع » (٧٣٤) و « الصحيحة » (١٢٩٣) .

(حديث أبي هريرة)

عن النبي ﷺ أنه قال :

« لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي غلبت غضبي »[1] .

أنظر يا من تكلفت تكلف المرء يبغي تبخير البحر ، لقد كتب ربنا في كتابه ووضعه فوق العرش وفيه (أن رحمته سبقت غضبه) ولولا ذلك ما استمهلكم ، وكأني به يخسف الأرض من تحت أرجلكم ، ويمطركم عليكم من السماء حجارة ، فهذا الكتاب الذي كتبه ووضعه على العرش دل وجود كاتبه على العرش أيضاً من خلال قوله ﷺ « فهو عنده فوق العرش » فهذه العندية أوضحت وبينت بأنه سبحانه على عرشه ، والعجيب قول أحدكم : معنى (عنده) أي عند سلطانه وأنه رمز بالعرش إلى الحكم فهذا السفيه لولا أن الحق يجب أن يذكر لإزالة الشبهة لقلنا : قول الشافعي :

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت

ولكن نقول : سلطان الله في الكون بأسره ليس فوق العرش فقط .

---

(٢) رواه البخاري (٧٤٢٢ - فتح) ومسلم (٤/٢١٠٧) وأحمد (٢/٢٤٢) والبيهقي في « الاعتقاد » (ص ٤٢) و « الأسماء » (ص ٥٠١) ورواه الترمذي وابن ماجة بلفظ آخر وهو مخرج في « الصحيحة » (١٦٢٩) و « تخريج السنة » لابن أبي عاصم (رقم ٦٠٨) وانظر « صحيح الجامع » (١٨٠٣) .

(حديث رفاعة بن رافع الزرقي)

قال :

« كنا نصلي يوماً وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال : سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه : ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه فلما انصرف قال : من المتكلم ؟ قال: أنا ، قال : رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول »[1] .

وفي رواية :

« لقد ابتدرها بضعة وثلاثون ملكاً أيهم يصعد بها »[2] .

وفي رواية :

« والله لقد رأيت كلامك يصعد في السماء حتى فتح باب فدخل فيه »[3] .

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » (١/٢١١ ـ ٢١٢) والبخاري (٢/٢٣٧ ـ ٢٣٨) والبغوي (٦٣٢) .

(٢) رواه الترمذي (٢/٢٥٤ ـ ٢٥٥) وقال : [حديث حسن] وقال الألباني في تخريج « شرح الطحاوية » (ص ١٢٤) : [وإسناده جيد] ورواه النسائي (١/١٤٧) .

(٣) قال الألباني في « شرح الطحاوية » (ص ١٢٤) : [أخرجه أحمد (٤/٣٥٥ و ٣٥٦) وابنه في زوائده ورجاله ثقات غير عبد الله بن سعيد ذكره ابن حبان في « الثقات » (١/١٠٤ ـ ١٠٥)] .

فإنا نسألكم أليس إلى الله يصعد الكلم الطيب ؟

ها هو يصعد في السماء الحسية حتى يفتح له باب فيدخل فيـه ، وكل هذا ليصل إلى المولى الرب سبحانه وتعالى .

(حديث عبدالله بن عمر)

قال : قال رسول الله ﷺ :

« اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى الله كأنها شرارة »[1] .

وفي لفظ « إلى السماء » وهذا لأن الله في السماء .

ها هي دعوة المظلوم تصعد إلى الله لا إلى غيره ، لأن الذي سينصفه من لا يظلم قيد أنملة ، ونحن مظلومون بتكفيرهم لنا ، فاتقوا دعوتنا الصاعدة .

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (١/ ٢٩) والديلمي في « مسند الفردوس » (١/١/ ٣٢ - ٤٣) والذهبي في « العلو للعلي الغفار » (٨٦/مختصر) وقال : [غريب وإسناده جيد] وصححه الألباني انظر « السلسلة الصحيحة » (٨٦٩ - ٨٧١) .

(حديث أبي موسى الأشعري)

قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله لا ينـام ولا ينبغي أن ينـام يخفض القسط ويـرفعـه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابة النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره »[1] .

إنظروا إلى قوله : « يرفع إليه عمل الليل قبل النهار . . . » .

ألا تجدون فيه العلو؟ !

(١) رواه مسلم (١٧٩) وأحمد (٤/ ٤٠٠ - ٤٠١) وابن ماجة (١٩٥) والطيالسي (٤٩١) وابن أبي شيبـة وابن خزيمـة في « التوحيـد » (ص ١٩) والبيهقي في « الأسماء » (ص ٢٣٤ - ٢٣٥) ط ١ دار الكتب العلمية والبغوي في « شرح السنة » (٩١) .

(حديث النعمان بن بشير)

أن الرسول ﷺ قال :

« التسبيحة والتحميدة والتهليلة يتعاطفن حول العرش لهن دويّ كدويّ النحل يذكرن بصاحبهن ، ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الرحمٰن ما يذكر به ؟ »[1] .

الكلم الطيب كما عرفنا يصعد إلى الله ، وهذا التسبيح والتحميد والتهليل من الكلم الطيب الذي - كما قال النبي - يصعد إلى السماء ، ويتعاطف حول العرش ، لماذا ؟ أليس لأن الله فوقه ؟ لا سيما أنه ﷺ قال : « ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الرحمٰن ما يذكر به ؟ » .

فقوله : « عند الرحمٰن » بعد ذكر تعاطف الكلم الطيب حول العرش دليل بل أعظم دليل .

وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم حديث نبيهم عليه السلام وفهموا منه علو ربهم تعالى .

---

(١) قال الألباني في « مختصر العلو » (٢٤/٩٦) : [حديث صحيح أخرجه ابن ماجة (٣٨٠٩) والحاكم (٥٠٣/١) وقال : (صحيح على شرط مسلم) ووافقه المصنف - أي الذهبي] .

وقال إبن مسعود رضي الله عنه :

(من قال : سبحان الله والحمد لله والله أكبر) تلقاهنَّ ملك فعرج بهن إلى الله عز وجل فلا يمر بملأ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بهن وجه الرحمن)[1][*] .

---

(١) قال الإمام الذهبي في « العلو » (١٠٤/مختصر) : [أخرجه أبو أحمد العسال بإسناد صحيح] وقال ابن القيم في « الجيوش » (ص ١٥٩) : [أخرجه العسال في كتاب « المعرفة » بإسناد كلهم ثقات] .

(*) اخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢ / ١٢٠) والطبراني في الكبير (٩/٢٦٦) والحاكم (٢/٤٢٥) وصححه والبيهقي في «الأسماء» (ص/٣٩٠) . كلهم من طريق عبدالرحمن المسعودي عن عبدالله بن المخارق عن أبيه ـ المخارق بن سليم ـ قال : قال لنا عبدالله بن مسعود : . . . فذكره.

ذكره المنذري في «الترغيب» (٢/٤٣٢ ـ ٤٣٣) وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٩٠) وفيه المسعودي وهو ثقة لكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات.

وأخرجه الهروي في «الأربعين» (١٧) من طريق عجلان عن عون بن عبدالله قال عبدالله . . . فذكره.

(حديث جابر بن عبدالله)

أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم عرفة :

« ألا هل بلغت ؟ فقالوا : نعم - فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إليهم - ويقول : اللهم اشهد »[1] .

هذه إشارة من أصبع رسول الله ﷺ الشريفة إلى السماء حيث يليق بالله تعالى ، يستشهد ربه على أمته بتنكيبها إليهم فيقول : اللهم اشهد .

إنها إشارة حسية ترمز - من غير شك - إلى علو الله سبحانه ، وهذا يبطل زعمكم بأن معنى (في السماء) أي قدراً ومرتبة ، فإنه لا يشار بالإصبع إلى العظمة وكذلك لا تستشهد المرتبة ، والعجيب الغريب أنكم تقولون : لا يجوز الإشارة إليه وأن فاعلها كافر ، فإن تجرؤكم هذا سيؤدي بكم إلى ما تتهمون به الأبرياء ، فإن كنتم لا تعرفون أين ربكم فنحن نعرف ، لأن نبينا المصطفى عرف بوحي ربه الأعلى فكان فعله بالإشارة شرعاً لنا .

---

(١) رواه البخاري (٢/١٩١) وفي « خلق أفعال العباد » (٧٦ - ٨٩) عن ابن عباس ورواه مسلم (١٢١٨) عن جابر وقال شيخنا الألباني في « شرح الطحاوية » (٢٨٧/٣١٩) : [وأبو داود والدارمي وابن ماجة وغيرهم] .

قال الإمام ابن شيخ الحزاميين رحمه الله :

(فلا يمكن معرفته والإشارة بالدعاء إليه إلا من جهة الفوق لأنها أنسب الجهات إليه)[1] .

وقال الإمام أبو القاسم التيمي رحمه الله :

(وفي منعهم الإشارة إلى الله سبحانه وتعالى من جهة الفوق خلاف منهم لسائر الملل لأن جماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله سبحانه وتعالى من جهة الفوق في الدعاء والسؤال ، واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة ، ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل ، ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق)[2] .

وقال في موضع آخر من كتابه « الحجة في بيان المحجة » :

(قال أهل السنة : الله فوق السموات لا يعلوه خلق من خلقه ، ومن الدليل على ذلك أن الخلق يشيرون إلى السماء بأصابعهم ، ويدعونه ، ويرفعون إليه رؤوسهم وأبصارهم)[3] .

وقال الإمام الخطابي في كتابه « شعار الدين » :

(وقد جرت عادة المسلمين خاصهم وعامهم بأن يدعوا ربهم عند الإبتهال والرغبة إليه ويرفعوا أيديهم إلى السماء وذلك لاستفاضة العلم

---

(١) « النصيحة في صفات الرب جل وعلا » (ص ٣٨) .

(٢) « الجيوش الإسلامية » (ص ١٠٨) .

(٣) نفس المصدر السابق (ص ١٠٦) .

عندهم بأن المدعو في السماء سبحانه)[1] .

ويقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله :

(الإشارة إليه حساً إلى العلو كما أشار إليه من هو أعلم بربه وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله في اليوم الأعظم في المكان الأعظم قال لهم :

« أنتم مسؤولون عني فماذا أنتم قائلون ؟ قالوانشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت » فرفع إصبعه الكريمة إلى السماء رافعاً لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء قائلًا : « اللهم اشهد » فكأنا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه « اللهم اشهد » ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين وأدى رسالة ربه كما أمر ونصح أمته غاية النصيحة فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه . . . إلى تنطع المتنطعين وحذلقة المتحذلقين والحمد لله رب العالمين)[2] .

يحسن بنا أن نشير إلى أن المسلم عندما يرفع يديه إلى ربه فإنما يتوجه إلى جهة طاهرة لأنها جهة الإله التي لا يسدها أحد من المخلوقات بل هي باب مفتوح على مصراعيه أمام اللاجئين واللائذين .

عن عكرمة عن إبن عباس رضي الله عنه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ** ﴾ قال : (لم يستطيع أن يقول « من فوقهم » علم أن الله

---

(١) « مختصر الصواعق المرسلة » (ص ٣٠٧) .

(٢) « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٢٨٦) .

من فوقهم)[1](*)

وهكذا نرى المسلمين جميعاً فضلاً عن الكافرين يرفعون أيديهم إلى السماء، ويطلبونه من هذه الجهة ، ونرى هؤلاء الجاهلين الضالين يقولون : إن رفع اليدين إلى العلو سببه إن السماء هي قبلة الدعاء، فسبحان الله من أين جاؤوا بهذا ومن عرفه ! لا أدري أحداً قاله غير أصحاب هذا المنهج العقيم والفكر السقيم.

وقد رد عليهم وفنَّد قولهم ابن أبي العز الحنفي رحمه الله فقال :

(واعترض على الدليل الفطري : أن ذلك إنما تكون السماء قبلة للدعاء كما أن الكعبة قبلة للصلاة ، ثم هو منقوض بوضع الجبهة على الأرض مع أنه ليس في جهة الأرض ؟ وأجيب على هذا الإعتراض من وجوه :

أحدها : أن قولكم : إن السماء قبلة الدعاء لم يقله أحد من سلف الأمة ولا أنزل الله به من سلطان وهذا من الأمور الشرعية الدينية فلا يجوز أن يخفي على جميع سلف الأمة وعلمائها .

الثاني : أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة وكان النبي ﷺ يستقبل القبلة في دعائه في مواطن كثيرة ، فمن قال إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة أو أن له قبلتين : إحداهما الكعبة والأخرى السماء فقد ابتدع في الدين وخالف جماعة المسلمين .

(١) رواه اللالكائي في « شرح أصول السنن » (٣٩٧/٣) وابن القيم في « الجيوش » (ص ١٥٧) والطبري في « جامع البيان » (١٠١/٨) وابن كثير في « تفسيره » (٢٠٤/٢) والسيوطي في « الدر المنثور » (٧٣/٣) .

(*) انظر الملحق رقم (٧) .

الثالث : أن القبلة هي ما يستقبله العابد بوجهه ، كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء ، والذكر والذبح ، وكما يوجه المحتضر والمدفون ، ولذلك سميت وجهة . والإستقبال خلاف الإستدبار ، فالإستقبال بالوجه ، والإستدبار بالدبر . فأما ما حاذاه للإنسان برأسه أو يديه أو جنبه فهذا لا يُسمى قبلة ، لا حقيقة ولا مجازاً ، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها وهذا لم يشرع ، والموضع الذي ترفع اليد إليه لا يسمى قبلة ، لا حقيقة ولا مجازاً ، ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع في الشرائع ، ولم تأمر الرسل أن الداعي يستقبل السماء بوجهه بل نهوا عن ذلك . ومعلوم أن التوجه بالقلب ، واللجوء والطلب الذي يجده الداعي من نفسه أمر فطري ، يفعله المسلم والكافر ، والعالم والجاهل ، وأكثرها ما يفعله المضطر والمستغيث بالله ، كما فُطر على أنه إذا مسه الضر يدعو الله ، مع أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل ، كما تحولت القبلة من الصخرة إلى الكعبة . وأمر التوجه في الدعاء إلى الجهة العلوية مركوز في الفطر ، والمستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك ، بخلاف الداعي ، فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه ، ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده][1] .

رحم الله ابن أبي العز ، كيف كشف عوار كلامهم كل الكشف ، ورد عليهم رداً شافياً كافياً ، حتى لم يعد أمامهم ثغرة جندب ، وهكذا هي تأويلاتهم ، تظل تدور بهم كالحمار يدور حول الرحى ، وتسوقهم من شبهة إلى شبهة ، حتى يتعطل الدين بكامله .

---

(١) « شرح الطحاوية » (ص ٢٩١ - ٢٩٢) .

قلت : وليس هناك أشنع من أن تنظر إليهم وهم يقولون : السماء قبلة الدعاء ، فإنك تتساءل في نفسك : لماذا هي قبلة الدعاء ؟ لا تجد الجواب إلا لأن الله في السماء .

وقولهم بأن السماء قبلة الدعاء مردود ، لأن النبي ﷺ كان يستقبل في دعائه القبلة التي هي الكعبة ، وأن خوطبنا بطلب الدليل ، فنحن أهل السنة ، أصحاب الأدلة ، ليس على معترضنا سوى أن يقول : أين البرهان ؟

عن عبد الله بن زيد قال :

« خرج رسول الله ﷺ يستسقي فتوجه إلى القبلة يدعو . . . »[1] .

وفي رواية : « . . . ورفع يديه واستسقى واستقبل القبلة »[2] .

وعقد الإمام البخاري في « صحيحه » باباً سماه : (باب الدعاء مستقبل القبلة) .

وقال تحته الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله :

(ورد في استقبال القبلة في الدعاء من فعل النبي ﷺ عدة أحاديث : منها حديث عمر عند الترمذي . . ولمسلم والترمذي من

---

(١) رواه البخاري (١/ ٢٦١) ومسلم (٣/ ٢٣) وأحمد ((٤/ ٣٩ - ٤٠ - ٤١) والشافعي (١/ ١٩٥) وأبو داود (١١٦١) والترمذي (٢/ ٤٤٢) وقال : [حديث حسن صحيح] والنسائي (١/ ٢٢٤) وابن ماجة (١٢٦٧) والدارقطني (١٨٩) والبيهقي (٣/ ٣٤٧) أنظر « الإرواء » (٦٦٤) .

(٢) رواه البخاري (٢/ ٤٢٧) ومسلم والترمذي (٥٥٦) وغيرهم .

حديث ابن عباس عن عمر « لما كـان يوم بـدر نظر رسـول الله ﷺ إلى المشركين فاستقبـل القبلة ثم مد يـديه فجعـل يهتف بربـه » الحديث ، وفي حديث ابن مسعود « استقبل النبي ﷺ الكعبة فـدعا عـلى نفر من قريش » الحديث متفق عليه ، وفي حديث عبـد الرحمن بن طـارق عن أبيه « أن رسول الله ﷺ كان إذا جاز مكاناً من دار يعـلى استقبل القبلة فدعا » أخرجه أبو داود والنسائي واللفظ له ، وفي حديث ابن مسعـود « رأيت رسـول الله ﷺ في قبر عبـد الله ذي النجادين » الحـديث وفيـه « فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعاً يـديه » أخـرجه أبـو عوانـة في « صحيحه »)[1] .

---

(١) « فتح الباري » (١١/١٤٤) .

(حديث سلمان الفارسي)

قال : قال رسول الله ﷺ :

«إن الله حييٌّ كريم ، إذا رفع العبد إليه يديه يستحيي أن يردهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً» (١) .

هذا الحديث يدل على أن رفع اليدين إلى السماء ليس لأنها قبلة الدعاء ، بل لأن الله فيها ، وهذا واضح في قوله «إذا رفع العبد إليه يديه» . ثم لو كانت السماء قبلة ، لأقر الله رسوله ﷺ على تقلب وجهه في السماء ، ولكن نرى العكس من ذلك فقد قال تعالى : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ (٢) .

---

(١) رواه أبو داود (١٤٨٨) والترمذي (٣٥٥١) وابن ماجة (٣٨٦٥) والحاكم (١/٤٩٧) وصححه هو وابن حبان (٢٣٩٩) ورواه البيهقي في « الدعوات الكبير » والبغوي في « شرح السنة » (١٣٨٥) وقال : [حسن غريب) وحسنه ابن حجر في « الفتح » (١١/١٢١) وصححه شيخنا الألباني انظر « المشكاة » (٢٢٤٤) « صحيح أبي داود » (١٣٣٧) « شرح الطحاوية » (٣١٧) « مختصر العلو » (٢٨/٩٧) وحسنه بلفظ في « صحيح الجامع » (٢٠٧٠) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٤٤) .

وقال أخ مشكور إن شاء الله في كتابٍ له «الرد على عبدالله الحبشي»[1] : (وهل تعلم الدجاجة حين ترفع رأسها إلى السماء أنها قبلة للدعاء . أم أن التوجه إلى الله هو فطرة لا ينبغي تبديلها أو تشويهها ! . . . ومما يزيد تناقض الحبشي قوله : [ونرفع أيدينا إلى السماء لأنها مهبط الرحمات والبركات] . ومعنى هذا أن العلة من رفع الأيدي إلى السماء هو الرحمات والبركات لا الله نفسه ، وهذا فصل الصفة عن الموصوف ، وفيه مخالفة للعقل والمنطق . فعلى هذا ينبغي أن نتوجه بالدعاء إلى الرحمات والبركات لا إلى الله قائلين : يا رحمات الله يا بركات الله) .

---

(١) (ص ٢٩٢) .

(حديث جابر بن سمرة)

قال : قال رسول الله ﷺ :

«ألا تُصَفُّون كما يصف الملائكة عند ربهم ؟ قلنا : وكيف يصف الملائكة عند ربهم ؟ قال : يتمون الصفوف المقدَّمة ، ويتراصُّون في الصف» (١) .

نسألكم أولاً : أين هم الملائكة ؟ لن تقولوا : بلا مكان بل ستقولون : في السماء ، فلن نزيد على أن نطلب منكم إمعان النظر في قوله «ألا تصفون كما يصف الملائكة عند ربهم» .

---

(١) رواه مسلم (٤٣٠) وأبو داود (٦٦١) وأحمد (٥/١٠١) وابن ماجة في (الإقامة باب رقم ٥٠) والبغوي في « شرح السنة » (٨٠٩) .

(حديث أنس بن مالك)[1]

إن مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله حدثه عن ليلة أسري به ، ومن ذلك الحديث أنه بعدما عرج به من سماء إلى سماء حتى وصل إلى موسى عليه السلام ، ثم صعد إلى ربه ، فكتب عليه خمسين فريضة ، ثم سأل ربه التخفيف ، وراح يتردد بين موسى وربه صعوداً ونزولاً ، مما يدل على علو الله تعالى ، ودليل آخر يكمن في اختلاف الصحابة ، هل رأى ربه عند المعراج أم لم يره ؟

ونحن لم نسق نص الحديث لأنه طويل ، فارجع إليه في كتب السنن بل تجده في الصحيحين .

(١) رواه البخاري (١/٧٨ ـ ٧٩) ومسلم (٢/٥٣ ـ هامش قسطلاني) والنسائي (١/٢١٧) وابن ماجة (١/٢٢٠ ـ ٢٢١) وغيرهم .

(حديث معاوية بن الحكم السهمي)

قال رضي الله تعالى عنه :

«كانت لي غنم بين أُحُد والجوانية فيها جارية لي ، فاطلعتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة - وأنا رجل من بني آدم - فأسفت ، فصككتها ، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له ، فعظَّم ذلك عليّ ، فقلت : يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : ادعُها ، فدعوتها ، فقال لها : أين الله ؟ قالت : في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ﷺ ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة»[1] .

هذا هو حديث الجارية الذي اسودَّت أمامه وجوه الذين ظلموا على مرِّ العصور ، لا زالوا يقولون - وكأنهم تواصوا بقولهم - :

---

(١) رواه مسلم (٢/٧١) وأحمد (٥/٤٤٧ - ٤٤٨) وأبو داود (٩٣٠ - ٩٣١) والنسائي (١/١٧٩ - ١٨٠) وأبو عوانة (٢/١٤١ - ١٤٢) والدارمي (١/٣٥٣ - ٣٥٤) والطحاوي في « شرح المعاني » (٢/٢٥٨) وابن أبي شيبة في « الإيمان » (٨٤) والبيهقي (٢/٢٤٩ - ٢٥٠) والطيالسي (١١٠٥) وابن الجارود في « المنتقى » (ص ١١٣ - ١١٤) وابن أبي عاصم في « السنة » (١/٢١٥) وابن خزيمة في « التوحيد » (ص ١٢١) والذهبي في « العلو » (٨١/مختصر) وغيرهم .

انظر « ظلال الجنة » (٤٨٩ - ٤٩٠) « صحيح أبي داود » (٨٦٢) - وهذا غير متوفر فيما أظن - و « إرواء الغليل » (٣٩٠) .

لا يجوز السؤال بـ (أين الله) ، ومن سأل ذلك فقد كفر ، ألا ساء ما خرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذباً ، سبحان الله ! كيف تجرأوا وكفروا رسول الله ﷺ !

قالوا : لا ، لم نكفره ، وإنما عندنا لقوله تأويل ، فقلنا : وما هو ؟

قالوا : معنى (الله في السماء) أي قدراً وعظمة .

قلنا لهم : أما آن لكم ـ وقد ألزمناكم سابقاً ـ أن تعودوا عما أنتم فيه من التناقض والتعارض !؟

والمضحك ما بلغني عن صبي من صبيانكم ، تعتبرونه قطباً ، أنه راح يفتش ويجهد نفسه حتى يخرج بدليل ، تستطيعون به ـ في ظنكم ـ أن تصرفوا هذا النص الذي لم يوجد أصرح منه في سنة النبي المصطفى ﷺ ، ولكن هيهات !

لقد غطس صاحبكم المسكين في بطون الكتب ، فلم يعد من هذه الرحلة الشاقة على أمثاله إلا ببيت أو بيتين من الشعر ، لم يهتد إلى غيرهما ، رجع بهما فرحاً مسروراً ، ولم يدرك هذا الصغير أنه وقع في الحفرة التي حفرها ، ولا أخفي عليكم أنني عندما أبلغت بدليله ـ ولا تحزنوا ـ ضحك فمي وبكى قلبي ، لما استدرجكم إليه إبليس من الضلال واتباع الهوى .

أما الأول فقول النابغة الجعدي :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال : ها هو يقول : بلغنا السماء ، ولا يقصد أنه صعد إلى السماء قلت : ومن فهم البيت كما تقول ؟ بل نحن فهمناه كاملاً على ظاهره ، لا كما علمت شيئاً فيه وغابت عنك أشياءُ .

ألم تنظر عيناك أي قرينة فيه ؟ ولا حتى واحدة ؟ فضع - أنصحك - نظارات لتبصر ، إلا إذا كان المرض في العقل لا في العين .

تنبه يا صغير، لا تجذم الكلام عن وجهه ومناسبته فإن النابغة رضي الله تعالى عنه يفتخر ويذكر مناقب إخوانه ، وهذه قرينة تكفي لتصرف هذا القول إلى معنى فرعي والقصيدة فيها :

وإنا لقوم ما نعوّد خيلنا	إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع الوان خيلنا	من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا
وليس بمعروف لنا أن نردّها	صحاحاً ولا مستنكراً أن تعقّرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا	وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فهذا فخر واعتزاز ، وهو يقتضي صرف (بلغنا السماء) إلى الرتبة والعظمة ، وهذا مستفاد من القرينة لا من اللفظ المستقل الذي هو (السماء) ، فقوله (بلغنا السماء) في الأصل للحقيقة ، أي وصلنا إلى السماء بأعمالنا العظيمة ، وهذا يدل على أن العلو صفة كمال ، ولكن عندما قصد الفخر والإعتزاز علم أن بلوغ السماء ليس على حقيقته من حيث المراد وإن كان من حيث التركيب اللفظي للحقيقة . والدليل على أن اللفظ حقيقي قوله •

(وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا) فهو إشارة إلى أن الجنة فوق

السماء ، ولذا سأله النبي ﷺ :

«أين المظهر يا ابن أبي ليلى ؟ فقال له : الجنة قال : أجل إن شاء الله»[1] وهذا علو حسي ، وهو علو الجنة فوق السماء ، فهل فطن له البحّاثة المجازف ؟ كذلك لا يمكنني السكوت عما هو أوضح من الشمس في البيت الذي ساقه وأتانا به ، إذ في صدر البيت ما يدل على أن المراد هو الفخر والإعتزاز ، فقوله (بلغنا السماء مجدنا وجدودنا) فيه قرينة واضحة أخرجت اللفظ عن هذا الظاهر المجذوم ، فلو قال (بلغنا السماء) لكان يمكنه أن يرفع عينيه في وجهنا ، ولكن تقييد ذلك بالمجد كان دليلاً على أن المراد غير حسي ، بل هذا العلو هو علو مجد قد أحرزوه ببطولاتهم .

أما الحديث الذي استشهدنا به على علو ربنا ففيه لفظ (في السماء) من غير تعقيب بـ (عزة أو رفعة أو رتبة) ، وليس هناك أي جو يمكن أن يكون قرينة ، فالواجب الأخذ بما تعاهد عليه العرب ، لأن القرآن وقول النبي عربيان ، وما أدري طفلاً ولا شيخاً ولا فاهماً ولا غبياً يفهم من قولي (الشمس في السماء) غير المعهود المعلوم من الجواب بأن الشمس فوقنا في السماء .

---

(١) انظر « الإستيعاب » (القسم الرابع ١٥١٦) « البداية والنهاية » (١٦٨/٦) « الإصابة » (٥٠٨/٣) وقد رواه جماعة من طريق يعلى بن الأشدق وقد ضعفه البخاري وأبو زرعة وابن حبان .

وقال الشيخ عبد العزيز الغماري في « منح المنة » (ص ٤٥) ط ١ ـ دار البشائر : [رواه مسلسلاً بالشعراء جماعة ولكن وقع في سندهم اضطراب] .

وقـد بلغوا من السفـاهة الأرض السفـلى ، فهم يستدلـون عـلى قولهم بقول العامة بعد أن لم يجدوا في لغة العرب ما يعاضد مذهبهم ، فقالوا : هـا أنت تُسأل عن الشخص فيقـال لك (كيف حـال فلان) ؟ فتجيب : (أصبح في السما) أو باللهجة العامية (صار في اللوج).

قلنـا : سبحان الله ! كم سيبـويهٍ ظهـر في هذا الـزمان ! ولكن وللأسف سيبويه هذا العصر يستدل بما هـو عليه ، لأنـه جاءنـا بكلام فيه القرينة التي نتكلم عنها ، إذ السؤال بـ (كيف حـال فلان) واضـح الدلالة على أن الجواب بـ (أصبـح في السما) أي حـاله عـظمت ، لأن المسؤول عن الحال لا عن الذات ، وهذا نظير قول النابغة لا فرق .

وأمـا لو كـان السؤال (أين فلان) ؟ لا يمكن أن يقـول أحـد من الخاصة ولا من العامة : (وصـل إلى السماء) لأنـك لا تسأل عن حـاله وإنما عن مكانه . ولو كانت المعاني بهذه الفوضى ، لم يعد لنا احتجـاج عـلى الباطنيـة ، ولتمكن المارقـون من أن يختـرعـوا من نفس الكتـاب والسنة ديناً معاكساً لدين الله تعالى .

فردنا الأعظم على هذا المتخرص البقبـاق النفّاج هـو أن السؤال بـ (أين) المطلقة لا يـراد به إلا الإستفهـام عن المكان الـذي هو حيثيـة الـوجود ، وقـول الرسـول ﷺ (أين الله ؟) يبطل مـزاعم المتكلفـين . فلا أدري كيف يحاولون اللعب بالدين من خلال استشهادات باطلة ، لا تعرفها العجم حتى !

إنني لـو قلت لـك : (أين الشمس ؟) لا بـد أن تقـول : (في السـماء) أو (أين أنت ؟) تقـول (هنـا) أو (هنـاك) أو (عنـد فـلان) أو (فـوق) أو (تحت) وإذا قلت لك (أين أبـوك ؟) فتقـول (في البيت) أو

(في المتجـر) إلى غير ذلـك ، ولا يمكن أن يفهم من هـذه الأسئلة غـير الاستفهام عن حيثية الوجود .

ومـا يزيـدك عجباً ، أن نفس المتكلف الـذي ساعـدنـا بـالبيت الأول أتى بقول ثانٍ ليسد الفجوة العظيمة التي تسببها له (أين) .

فقال : عندي دليل على أن (أين) تأتي للمكانة يراد بهـا ؟ذلك ، والدليل قول الشاعر : (أين الثري من الثريا) .

قلت : وهذه حفرة ثانية لن يخرج منها ، فـإننا ـ كـما سبق ـ بينا بأن (أين) إذا أطلقت ، لا يكون لها إلا معنى الإستفهام عن المكـان ، ونزيد الآن فنقول ـ ليتعلم هذا الجاهل ـ :

إذا دخـل على (أين) حـرف الجر (مِن) فـإنها تولـد باقتـرانها بها معنى جديداً مضمونة الإستبعاد بين الشيئين للتفاضـل وغيره ، ولا بـد من وجود ذكر هذين الشيئين كقولك :

(أين أنت مني) و (أين أبوك من أبي) و (أين الجاهـل من العالم) و (أين الفضـة من الذهب) ومثـل هذا كثـير في لغـة العـرب . فقـول الشاعر من هذا النوع (أين الثري من الثريا) ، فإني أسأل هذا الفـرخ المختال أن لو قلت له : (أين الثريا ؟) هل سيقـول غير (في السـماء) ؟ أو لو سألته (أين الثري ؟) هل سيجاوب بغير (في الأرض) ؟

وإني لأقول له (أين استدلالك من الصـواب ؟) و (أين كلامـك من الكتاب ؟) فقد علمنا أن النبي ﷺ سأل الجـارية فقـال لها : (أين الله) هكذا بالإطلاق المفيد تلك الفائدة ، ولم يقل (أين الله من كذا أو كـذا) عيـاذاً بـالله . وهي قـالت لـه (في السـماء) ولم تـزد لفـظاً آخـر

(كـ عظمة وكـرامة) أو مـا شابـه هذا السؤال المحمـدي أعياكم وهـذا الجـواب الإيمـاني أبكـاكم ، والحـديث كـالشمس وضـوحـاً ودلالـة ، وكالجبال رسوخاً وثبوتاً ، فلن يجدي عظيم محـاولاتكم في الغمز فيـه ، كـما فعل أستـاذكم محمد زاهـد الكوثـري ، هذا الـرجل الـذي عرف واشتهر باتباع الهوى ، والكذب على أولياء الله ، والدس والتزوير على رواة السنــة ، لا يــراقب في مؤمن إلاَّ ولاذمــة ، عليــه من الله مــا يستحق ، فالحديث صحيح يا ضـلال ، اتفق الأئمة عـلى ثبوتـه(*) ورواه مسلم في «صحيحه» ، قال شيخنا الألباني حفظه الله :

وهذا الحديث صحيح بلا ريب ، لا يشـك في ذلك إلا جـاهل أو مغرض من ذوي الأهواء الذين كلما جاءهم نص عن رسول الله ﷺ يخـالف ما هم عليـه من الضلال ، حـاولوا الخـلاص منه بتـأويله بـل تعطيله .

فإن لم يمكنهم ذلك حاولوا الطعن في ثبوته كهذا الحديث) (١) .

ويقول الشيخ محمد خليل هراس : رحمه الله : -

(وأقول : هذا حديث يتألق نصاعة ووضوحاً وهـو صاعقـة على رؤوس أهل التعطيل فهذا رجل أخطأ في حق جاريته بضربها فـأراد أن يكفر عن خطيئته بعتقها فاستمهله الرسول ﷺ حتى يمتحن إيمانها فكان السؤال الذي اختاره لهـذا الإمتحان [أين الله ؟] ولمـا أجابت بـأنه [في

---

(١) « مختصر العلو » (٨٢/٢) .

(*) وممن صحح هذا الحـديث ابن عبدالـبر والأشعري والبيهقي وابن أبي العـز والسفـاريني وغيرهم كثير.

السماء] رضي جوابها وشهد لها بالإيمان ولو أنك قلت لمعطل : أين الله ؟ لحكم عليك بالكفران) [1] .

قلت : يا قبح فعلهم ، كيف يكفروننا بما أثبت النبي به إيماننا ؟! هم يقولون : من قال : أين الله ؟ أو جاوب (في السماء) نجس كافر والرسول ﷺ يعلمنا بأن من قال ذلك مؤمن طاهر . فمن نصدق ؟ أنصدق رسل رب العالمين أم رسل الشيطان العدو المبين ؟! دليلهم سفسطة اليونان ، ودليلنا وحي الرحمن .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله :

(وهكذا رأينا كل من يسأل : أين الله ؟ يبادر بفطرته ويقول : في السماء ، ففي الخبر مسألتان :

- **إحداهما** : شرعية قول المسلم : أين الله ؟
- **وثانيهما** : قول المسؤول : في السماء .

فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى ﷺ) [2] .

وقال الإمام عثمان الدارمي :

(ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عز وجل في السماء دون الأرض فليس بمؤمن) [2] .

---

(١) التعليق على « التوحيد » لإبن خزيمة (ص ١٢١) .

(٢) « العلو للعلي الغفار » (ص ٨١/ مختصر) .

(٣) « الرد على الجهمية » (ص ٢٢) .

وقال الإمام الجويني :

(ثم قوله ﷺ في الحديث الصحيح للجارية «أين الله ؟» فقالت : في السماء ، فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه كيلا يتوهموا أن الأمر على خلاف ما هو عليه بل أقرها وقال : أعتقها فإنها مؤمنة) [١] .

وقال رحمه الله في موضع آخر وهو يتكلم عن المؤمن :

(بخلاف من لا يعرف وجهة معبوده وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه فإنها قالت : في السماء ، عرفته بأنه في السماء لما قال لها رسول الله ﷺ : يا جارية أين الله ؟ قالت : في السماء وأقرها . . . فمن تكون الجارية أعلم بالله منه لكونه لا يعرف وجهة معبوده ، فإنه لا يزال مظلم القلب لا يستنير بأنواع المعرفة والإيمان ومن أنكر هذا القول فليؤمن به وليجرب ولينظر إلى مولاه من فوق عرشه بقلبه مبصراً من وجه أعمى من وجه . . . فإنه إذا علم ذلك وجد ثمرته إن شاء الله تعالى ووجد بركته ونوره عاجلاً وآجلاً ولا ينبئك مثل خبير والله الموفق المعين) [٢] .

ويقول الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله وسدَّد خطاه :

(فيا ويح من لا يشهد له الرسول ﷺ بالإيمان ويا ويل من يأبى

---

(١) « إثبات الإستواء والفوقية » (١/ ١٧٧) من المجموعة المنيرية .

(٢) نفس المصدر السابق (١/ ١٨٥) .

بـل يستنكر مـا جعله ﷺ دليلاً عـلى الإيمان وهـذا والله من أعـظم مـا أصاب المسلمين من الإنحراف عن عقيدتهم أن لا يعـرف أحدهم أين ربه الذي يعبده ويسجد له أهو فوق خلقه أم تحتهم ؟ بل لا يدري إذا كان خارجاً عنه أو في داخله ! حـتى صدق فيهم قـول بعض المتقدمـين من أهل العلم :

[أضاعوا معبودهم]) [١] .

ويقول الشيخ أحمد بن حجر قاضي المحكمة الشرعية في قـطر : (يقول سيد المرسلين ورسول رب العالمين للجارية : أين الله ؟

ويجـاهر الجهمي ومن نحـا نحـوه بـأنـه لا يجـوز السؤال بـ [أين الله] . . . فلا أدري أهؤلاء أعلم بالله من رسوله أم تـرهات الفلسفـة أعمت أبصـارهم وبصـائـرهم وأضلتهم عن سـواء السبيـــل وجعلتهم يجترئون بكل وقاحة بلا خجل ولا حياء ولا شك أن هذه جرأة عظيمة وزلة كبيرة إذ مضمـونها أنهم أعلم من الله ورسولـه ﷺ وإنه يجـوز لهم أن يشرعوا الأحكام بالجواز والوجـوب وغيرهـا ومن المعلوم أن المشرع هـو الله ثم رسولـه ﷺ فهؤلاء جهلوا رسولـه ونصبوا أنفسهم في مقـام التشريع الذي هو حق الربوبية فقل لي بـربك هـل يجتمع الإيمـان بالله ورسوله مع الرد على رسوله وتجهيله ؟) [٢] .

---

(١) « مختصر العلو » (ص/ ٥٥) .

(٢) « العقائد السلفية » (ص ١١٢) .

ولم يبق أمامي سوى أن أنقل قولاً لهؤلاء من غير أن أعلق عليه ، لأنه لا يستقيم الرد عليه ، لا لقوته وحجيته وإنما لسفاهته وقبحه ، وأترك التعليق للقارىء اللبيب فضلاً عن الصغار والأطفال .

لقد قالوا : :

(صعد أحدهم إلى سطح القمر ثم عاد وقال : لم أر الله في السماء) .

(حديث أبي هريرة)

إن رسول الله ﷺ قال :

«ينـزل ربنا تبـارك وتعالى كـل ليلة إلى السماء الـدنيا حـين يبقى ثلث الليـل الآخر فيقـول : من يدعـوني فـأستجيب لـه ؟ من يسـألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟»[1] .

ها هو حديث النزول العـظيم الذي رواه جمـع من الصحابـة ، واتفقت الأمـة من أولها إلى آخـرها ، عـلى ثبوتـه ، بـل ذهب بعضهم كالذهبي إلى أن حديث النزول متواتر ، وصنف الإمام الدارقـطني فيه كتاباً سماه (كتاب النزول) ، فانظر أخي معي إليه ما أدله وما أصرحه في الدلالة على علو الله تعالى ، فوالله من تكلف فيه أيضـاً فإن غشـاوة على قلبه ، وما آمن بربه ، وما دخل في حزبه .

إن قوله ﷺ «ينزل ربنا تبارك وتعالى كـل ليلة إلى السماء الـدنيا» واضح الدلالة على علوه ، فلو لم يكن عالياً ما قال (ينـزل) ، وإن هذا النـزول إلى السماء الـدنيـا يكـون صعـوداً من عنـدنـا ، لأن الله فـوق السموات السبع .

---

(١) رواه مـالك في « الموطأ » (١/ ٢١٤) وعنـه البخـاري (٣/ ٢٥ ـ ٢٦) ومسلم (٧٥٨) وأبـو داود (١٣١٥) والترمـذي (٢/ ٢٦٣ ـ بـولاق) وأحمـد (٢/ ٤٨٧) والبيهقي (٣/ ٢) ومن طرق أخرى ابن ماجة (١٣٦٦) والدارمي (١/ ٣٤٧) وغيرهما .

فيها منسوب إلى الله لا إلى الملك ، وغاية ما يمكنكم الكلام عنه هو نداء الملك لا غير ، وهذا رد عليه العلماء ردوداً معتبرين في ذلك عدة اعتبارات :

١ ـ لا يجوز أن ينادي الملك : (هل من سائل فأعطيه هل من تائب فأتوب عليه ، وذلك لأن مثل هذا النداء ليس من خصوصياته ، بل هو من خصائص الله لأن الذي يعطي السائلين ويتوب على التائبين ويغفر للمستغفرين هو الله لا سواه ، وقالوا : إن الله إذا أمر ملكاً أن ينادي فإنما يكون نداؤه بغير صيغة ذاتية ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحبَّه ، قال : فيحبه جبريل . ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء . قال : ثم يوضع له القبول في الأرض . . . »[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(فالملك إذا نادى عن الله لا يتكلم بصيغة المخاطب بل يقول : إن الله أمر بكذا أو قال كذا وهكذا إذا أمر السلطان منادياً ينادي فإنه يقول : يا معشر الناس أمر السلطان بكذا ونهى عن كذا ورسم بكذا لا يقول : أمرت بكذا ونهيت عن كذا بل لو قال ذلك بودر إلى عقوبته)[2] هذا الكلام رائع ولكن لنا عليه تعليق سيأتي فيما بعد .

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٠٧٠) ومسلم (٤/ ٢٠٣٠) .

(٢) «شرح حديث النزول» لابن تيمية (ص ٣٧) ط ٦ ـ المكتب الإسلامي .

٢ ـ قالوا : لقد ثبت في رواية أن الله سبحانه وتعالى يقول بعد أن ينزل إلى السماء الدنيا : «لا أسأل عن عبادي أحداً غيري» [١] فهذا يرد أن الملك هو المنادي ، لأن هذا القول لا يقوله الملك ، وكذلك هذا اللفظ ينافي أن يكون الملك هو السائل .

وهناك أجوبة أخرى جاوبوا بها ستمر معنا في سياق الكلام .

قلت : بعد النظر والتحقيق وصلت إلى أن العلماء ردوا هؤلاء وعنفوا عليهم ، فأصابوا في شيء وأخطأوا في آخر ، فالحق يقال ويتبع ، ولسنا من المقلدين إن شاء الله تعالى ، وليس هناك من حاجة إلى مثل هذه الردود ، وإن كانت في جملتها ردوداً جميلة ، ولكن فيما لو تعين وقوع ذلك المحظور .

وأقول ـ وإن كان الحياء يربط لساني إجلالاً لهذا العالم وهو شيخ الإسلام ـ بأنه أخطأ في بعض ردوده ، ومنها :

ـ أن النص الذي فيه «فيأمر منادياً ينادي : ألا من مستغفر فأغفر له» باطل من ناحية التركيب والمعنى ، ووهمه نشأ عن ظنه بأن الملك في هذه الحالة يكون متكلماً بصيغة ذاتية ، وهو ليس كذلك لأن

---

(١) وردت في رواية لرفاعة الجهني رواها الإمام أحمد (٤/١٦) وقال شيخ الإسلام في « شرح النزول » (ص ٣٧) : [رواه النسائي وابن ماجة وغيرهما وسندهما صحيح] وقال ابن القيم « الصواعق » (ص ٣٧٥/مختصر) : [هذا حديث صحيح] قلت : ورواه الدارقطني في « كتاب النزول » (ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ١٤٩) وذكر هذا اللفظ في رواية عن عقبة بن عامر ، ورواه الأجري في « الشريعة » (ص ٣١٠ ـ ٣١١) والدارمي في « نقضه على بشر » (ص ١٩) ط باكستان وهو عند ابن ماجة برقم (١٣٦٧) ورأيته بلفظ « لا يسألنّ عبادي غيري » انظر تصحيح الألباني له في « صحيح الجامع » (١٩١٧) .

هناك فرقاً بين الإخبار والخطاب ، وهذا النص من قبيل الإخبار ، وفيه محذوف مقدر ، وهذا كثير في العربية .

فالنص فيه إخبار عن النداء ومعناه لا عن لفظ المنادي الذاتي الذي خاطب به كما في حديث أبي هريرة الذي سبق واستدل به ابن تيمية :

«ثم ينادي في السماء - أي جبريل - فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه» . فهذا النص فيه ذكر لفظ جبريل ، وهذا اللفظ هو الخطاب الذاتي الذي خاطب به ، بخلاف النص الأول إذ ليس المقصود من (ينادي : ألا من مستغفر فأغفر له) أنه هو الذي يقوله إنما ينقله عن ربه سبحانه ، وفي النص محذوف مقدر ، فيصبح التقدير : (فيأمر ملكاً ينادي عنه فيقول : قال ربكم : ألا من مستغفر فأغفر له . . .) وقد وردت نسبة النداء إلى الملك بصيغة ذاتية ، فتغير اللفظ وأصبح بصيغة المبني للمجهول لأن النص في هذه الحالة يذكر الخطاب الذي باشره الملك ، كما في حديث عثمان بن أبي العاص عن النبي ﷺ قال :

«تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي منادٍ : هل من داعٍ فيستجاب له ؟

هل من سائل فيعطى ؟ هل من مكروب فيفرج عنه ؟ فلا يبقى مسلمٍ يدعو بدعوة إلا استجاب الله له ، إلا زانية تسعى بفرجها أو عشاراً» [١](*) .

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٧٨٤) وقد راوه =

لاحظ اللفظ كيف تغير وانقلب من صيغة المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول وإن طولبنا بالدليل على ما نقول ، من أن الإستعمال الأول سائغ لغة ، فإننا سنسوقه من غير شك لأننا أصحاب الأدلة كما قدمنا .

قلت : لنا الدليل من القرآن والسنة معاً إن شاء الله .

- أما الذي في القرآن : فإنك تجد الله تعالى يقول :

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ (١) .

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ (٢) .

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ (٣) .

فهذه الآيات فيها القول منسوب إلى النبي ﷺ بصيغة ذاتية ، يباشرها القائل بلسانه منسوبة إلى نفسه .

= الدارقطني بغير هذا اللفظ وفيه نسبة النداء إلى مناد بصيغة المبني للمعلوم « كتاب النزول » (ص ١٥٠) سلسلة عقائد السلف - ورواه أحمد (٢٢/٤) ورواه ابن أبي عاصم (رقم ٥٠٨) بلفظ : « ينادي منادي كل ليلة : هل من مستغفر فأغفر له ، هل من داع فأستجيب له ، هل من سائل فأعطيه » قال الشيخ الألباني في تخريجه لـ « السنة » (رقم ٥٠٨) : [حديث صحيح ، وإسناده ضعيف ، لعنعنة الحسن وهو البصري ، ولسوء حفظ ابن جدعان . لكن يشهد لحديثه هذا الأحاديث المتقدمة . والحديث أخرجه ابن خزيمة في « التوحيد » (ص ٨٩)] .

(*) أضف إلى ذلك أن الحسن البصري لم يسمع من عثمان.

(١) سورة الأخلاص الآية (١) .

(٢) سورة الفلق الآية (١) .

(٣) سورة الناس الآية (١) .

وتجده سبحانه يقول في موضع آخر :

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (١) .

فربنا سبحانه يقول لنبيه : (قل يا عبادي) فهل يعطيه حق إدعاء الربوبية ؟ حاشا لله تعالى ، فالعباد ليسوا عباد محمد ﷺ حتى ينتدبه في هذا الأمر ، بل هم عباد الله تعالى .

وأما قوله (قل) فبعده محذوف مقدر والتقدير :

(قل يا محمد لهؤلاء يقول ربكم : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) .

ـ وأما في السنة فهو كثير نكتفي بذكر مثالين .

ففي حديث المعراج المتفق عليه :

«قد سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم فلما نفدت نادى منادي : قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي» .

فهل المنادي يكون ربنا حتى يقول : (قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي) ؟ فيعلم من ذلك أن هناك محذوفاً مقدراً .

وفي رواية البراء بن عازب وهو الحديث الذي فيه ذكر حال الأموات .

---

(٤) سورة الزمر الآية (٥٣)

قال ﷺ فيه : «فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ فيقول : ربي الله فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله فيقولان : ما يدريك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته . فينادي منادٍ : أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مدّ بصره» [1] فقوله «فينادي منادٍ أن قد صدق عبدي» .

ولا شك أن المنادي ليس هو الله لأنه جاء ـ زيادة على ذلك ـ منكراً ، والتنكير هنا مفيد لعدم معرفة المنادي ، ولا يدخل سبحانه في جملة المنادين حتى يقال (منادٍ) إجلالاً وتعظيماً له ، وإفراداً له عن خلقه عز وجل .

وإن قيل لنا : كيف نرد عليهم إذاً ، قلنا هكذا يقال :

١ ـ نحن نثبت من حديثنا نزول ربنا تعالى ، ومنه نستدل على علوه لأنه لا ينزل إلا ما كان عالياً ، وهذا النزول موجود في كل الروايات ، حتى التي فيها نسبة النداء إلى الملك ، ففي رواية علي التي مرت معنا فيها :

«إن الله عز وجل ينزل في كل ليلة جمعه من أول الليل إلى آخره السماء الدنيا وفي سائر الليالي في الثلث الآخر من الليل فيأمر ملكاً ينادي . . .» .

---

(١) رواه أحمد (٤/٢٨٧ ـ ٢٩٦) وأبو داود (٢/٢٨١) والحاكم (١/٣٧ ـ ٤٠) والطيالسي (رقم ٧٥٣) والآجري (٣٦٧ ـ ٣٧٠) وصححه شيخنا الألباني انظر « أحكام الجنائز » (ص ١٥٩) .

وقد اعتذر هؤلاء المبطلون بأعذار قبيحة ، فقالوا : المقصود من النزول هنا نزول أمره ورحمته .

قلت بعون الله : لماذا ترفضون نزول بارئكم سبحانه ؟ هو يعلمكم بأنه ينزل وأنتم تقولون : أنت لا تنزل ولا يجوز لك أن تنزل . إنكم تزعمون أن الذي ينزل رحمته ولكن رسول ربنا يقول : «ينزل ربنا» فلماذا تريدون أن تجعلوا الفاعل مضافاً إليه فيصبح المعنى (تنزل رحمة ربنا) ؟ فهذا لو أراد أن يعلمنا إياه لقاله ولكن هو قال : «ينزل ربنا» فالفاعل هنا ربنا لا الرحمة ومما يبين سفاهة أحلامكم ويبطل دعواكم ، أن الرحمة لا تنزل فقط في آخر الليل ، وإنما في الليل والنهار ، على مرور الزمن ، لأنه الرحمن الذي وسعت رحمته الزمان والمكان .

فهل قبل نزوله لم يكن هناك رحمة ؟ مع أن الناس أحوج ما يكونون إلى رحمة الله في النهار ، لكونهم يعملون ويمارسون أشغالهم فيه ، فيقعون في الذنوب والمعاصي ، وهذا في الليل أقل لأنهم في الغالب يكونون نائمين ، وقد يرفع عن النائم أكثر مما يرفع عن المخطىء ، فكيف تحصرونها وتقولون : تنزل فقط في الليل ؟. إن الذي يضحك الأطفال أن الرحمة تصل بناء على قولكم إلى السماء الدنيا فقط فلا ينتفع بها من هم على الأرض ، فالرسول عليه السلام يقول «ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا» .

وكذلك ننبهكم إلى أمر قد يكون خافياً عليكم ، وهو أن نبينا ﷺ قال : «ينزل ربنا . . . فيقول» فهل الرحمة تتكلم ؟

وفعل (يقول) لو أردنا إعرابه لقلنا : فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره (هو) لا (هي) فإلى أين تذهبون ؟ ألا ساء ما تحكمون .

وجاء فريق آخر منهم يقول : بل الذي ينزل ملك من الملائكة . ونقول لهذا الفريق المجتهد :

هذا القول فيه من الباطل ما لا يقل عن سابقه ويرد ذلك من وجوه :

١ ـ إن وجد نص فيه ذكر النزول للملك فهو من غير شك لا يحمل غيره عليه ، ولم أجده فلا داعي إلى التكلم عنه وإني أتحدى أن يثبت لي أحدهم نصاً فيه ذكر النزول منسوب إلى الملك .

٢ ـ الرسول ﷺ يقول «ينزل ربنا» ، فليس الملك ربنا بل هو عبد من عباده وقد تعلقوا برواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه تعالى أن النبي ﷺ قال : «إن الله عز وجل ينزل في كل ليلة جمعة من أول الليل إلى آخره السماء الدنيا وفي سائر الليالي في الثلث الآخر من الليل فيأمر ملكاً ينادي : هل من سائل فأعطيه هل من تائب فأتوب عليه . . .)[1] .

فقالوا : ها هو الملك ينادي لا الإله ، ونحن نحمل تلك الرواية على هذه . قلت : هذه الرواية لا تفيدكم في شيء ، فالنزول

---

(١) رواه الدارقطني في « كتاب النزول » (ص ٩٢) وهذه الرواية لا تصح وعند النسائي أيضاً رواية أيضاً فيها عزو النداء إلى الملك وسيأتي الجواب .

ذكر النزول هنا معزو إلى الله وهذا ما نريده .

وفي رواية عثمان بن أبي العاص :

«تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي منادٍ . . . » .

لم يذكر النزول هنا أصلاً ، فضلاً عن أن ينسب إلى الملك ، فيظل بالنصوص الأخرى النزول ثابتاً لله تعالى .

وفي رواية أخرى لأبي هريرة وأبي سعيد الخدري :

«إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً ينادي . . »[1](*). وهذه الرواية ليس فيها ذكر النزول ، ولم يُعز إلى الملك ، فيبقى النزول ثابتاً للمولى الأعلى .

قال ابن القيم رحمه الله :

(نحو ثلاثين حديثاً كلها مصرحة بإضافة النزول في الرب تعالى ، ولم يجيء موضع واحد بقوله : ينزل ملك ربنا) [2] .

٢ ـ لا يجوز حمل هذه الروايات على تلك ولا العكس ، لأن النزول إذا نسب إلى الله لا يقال : ينزل غيره ، لأن فعل النزول هنا ليس من جنس الأفعال التي تنسب إلى الآمر مع قيام غيره بها ، لانعدام العلاقة بين جنس الفعل والآمر به ، فأنت تقول : (احتل

---

(١) رواه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (رقم ٤٨٢) والدارقطني في « كتاب النزول » (ص ١٣٢) .

(*) انظر الملحق رقم (٨).

(٢) « الصواعق المرسلة » (ص ٤٦ / مختصر ـ موصلي) .

الأمير العراق) وإن كان جيشه هو الذي بـاشر بذلـك ، إلا أنه آلـة لا غـير ، والسيـطرة تمت لـلأمـير لا للجيش ، كـما لـو قتـل رجـل آخـر بسكين ، فإنك لا تقول : قتلت السكـين الرجـل لأن السكين أداة لا أكثر ، والفاعل هو من استعملها .

فالنزول لو وجد في نص منسوباً إلى ملك فيجب عدم حمل غيره عليه ولا يقال : نزول الله هو نزول الملك ، وإن كان قد أمر الله الملك بالنزول فـلا يعزى أيضـاً إليه ، وأي عـلاقة بـين الأمر بـالنزول وبـين المتعـين من فعل النـزول ؟ لا علاقـة أبداً ، ولا يكـون بحـالٍ نـزول الملائكة نزولاً لله ولا مجيئهم مجيئاً له .

فالله تعالى يقول :

﴿وَقَالُوْا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ، وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُوْنَ﴾ (١) .

فلا يصح بتاتاً أن يقال : (وقالوا لولا نـزل الله) ويقصد بـذلك الملائكة بل ينسب إلى الله الإنزال وبهذا يتجلى أمره وسيطرتـه . ويقول تعالى : ﴿وَجَاْءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ (٢) .

ألا ترى كيف فرق هنا بين مجيئه ومجيء الملك ؟

وبناءً على ما قلنا يتضـح الأمر عنـدنا ، فيكـون النزول إنمـا هو نزول الله تعالى ، وأما النداء فهذا أمر آخـر سنناقشـه إن شاء الله عـلى

(١) سورة الأنعام الآية (٨) .

(٢) سورة الفجر الآية (٢٢) .

حدة ، لأنه أمر مستقل . وسنبحث في حقيقته هل هو نداء من الله أم من الملك ؟

٣ ـ ثبت عندنا أن الله تعالى ينادي بنفسه عندما ينزل ، ولا يعارضه أن ينادي الملك ، فيكون النداء من الملك ومن الله ، ولا تناقض بين الروايات التي تذكر نداء الله وقوله بنفسه وبين أمره لبعض ملائكته بالنداء ، فيكون الملك منادياً بأمره قبل أن ينزل ثم ينزل سبحانه بنفس فينادي ، ولعل هذا يستفاد من اختلاف الوقت الذي تضمنته الروايات . ففي رواية عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه :

«تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي منادٍ : . . .» .

وفي رواية أبي هريرة وأبي سعيد الخدري :

«إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً ينادي . .» ففي هاتين الروايتين ذكر نداء الملك ، وأنه يكون في نصف الليل . ثم نجد مقابل ذلك رواية أبي هريرة وغيره تقول : «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني . . .» .

فهنا ذكر نزول الله ونداؤه ، وأنه يكون في الثلث الأخير من الليل . وعلى ذلك يكون الملك منادياً قبل نزول الله بوقت ، فإذا نزل الله نادى بنفسه ، ولعل الذي يؤيد هذا ما ورد في بعض الروايات أنه سبحانه عندما ينزل يقول : «لا أسأل عن عبادي غيري» أي أنه تعالى ينزل ولا ينتظر صعود الملائكة إليه ليخبروه عن عباده ، كما هي عادة الملائكة السياحين الذين يعرجون إليه ـ كما في حديث أبي هريرة ـ

الـذي رواه مسلم وغيره : «فيسـألهم ـ وهـو أعلم ـ : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عباد في الأرض يسبحونك ويكبرونك . . » .

وهـذا السؤال ليس للإستفهـام وإنما للمبـاهـاة ، والله تعـالى لا يحتاج إلى إخبار الملائكة حتى يكون عالماً بالأمـر بل هـو أعلم منهم بما سيخبرونه به ، ولذلك كان يرد في مثل هذه الأحاديث جمل اعتراضيـة مثل (وهو أعلم كما ورد هنا . فهم عندما يتلفظون بالجواب الذي فيـه خضوع العباد لله وتمجيـدهم له ، يكـون في هذا الـذكر والتلفظ عـزة وكبرياء وألوهية ظاهرة لله فيتباهى جل وعلا .

فقـوله (لا أسـأل عن عبادي غيـري) يستفاد منـه أنـه لا يجعـل واسطة في هذا السؤال عن أحـوال عباده المتعلقـة بالـطلب والإستعانـة والتـوبة والإستغفـار ، فهذا مقـام الإحتياج والإفتقـار إلى الله ، وغيره مقام الثناء والتمجيد وهناك فرق بين الأمرين ، فهو سبحـانه لا ينتـظر الملائكة ليصعـدوا إليه ويخبـروه عن مسائـل عباده بـل هو بنفسـه ينزل وينادي ويسأل ، وإن كـان كلف أحداً من مـلائكته بـالنداء قبله فـإنما ذلك كان من باب الحث والحض على الإستغفـار والتوبـة ، ولعل ابن الجوزي رحمه الله يشير إلى ذلك في نظم له :

أدعــوك لـلوصــل تــأبى ... أبعث رسـولي في الـطلب
أنــزل إلــيــك بـنــفسي ... ألــقــاك في الـنــومْ

قال ابن القيم رحمه الله :

(وقد صرح نعيم بن حماد وجماعة من أهل الحـديث آخرهم أبـو الفرج ابن الجوزي أنه سبحانـه ينزل بـذاته ونـظم أبو الفـرج ذلك في

قوله : . . . وذكره)[1] .

وقد يكون نداء الملك قبل نزوله تعالى من باب الإعلام بقرب قدومه ونزوله سبحانه وهو تعظيم وإجلال كما يحصل في بلاط الملوك ، فإذا أراد أن يحضر الملك قام بين يديه مناد ينادي بحضوره ويهيء له ويعلم الموجودين بقدومه حتى يستعدوا لاستقباله .

ومن ذلك ما يروى في بعض الروايات أنه قال ﷺ : «ينزل ربنا من آخر الليل فينادي مناد في السماء العليا : ألا نزل الخالق العليم فيسجد أهل السماء وينادي فيهم مناد بذلك فلا يمر بأهل سماء إلا وهم سجود»[2] .

ونحن يهمنا من ذلك كله أنه ينزل لا غير ، ونثبت لهؤلاء الجهال أن الروايات لا تعارض بينها ، وأن الله ينادي بنفسه إذا نزل . وهو سبحانه وتعالى يصبح قريباً من عباده في ذلك الوقت بذاته وإجابته ولذلك يقول النبي ﷺ :

«أقرب ما يكون الربُّ من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»[3] .

---

(١) « الصواعق المرسلة » (ص ٣٦٦/مختصر ـ موصلي) .

(٢) نفس المصدر السابق (ص ٣٧٣) وهذا الحديث رواه ابن أبي عاصم في « السنة » (رقم ٥٠٦) ط ٢ المكتب الإسلامي . وهو ضعيف لأنه مرسل بل فيه منكرات ، كما قال الشيخ الألباني في تخريجه لـ « السنة » (رقم ٥٠٦) .

(٣) رواه الترمذي وقال : [حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه] ورواه الحاكم في « مستدركه » وصححه ووافقه الذهبي ورواه النسائي وصححه الألباني « المشكاة » (١٢٢٩) « الترغيب » (٢/٢٧٦) « صحيح الجامع » (١١٧٣) .

وقال ﷺ :

«أفضل الصلاة بعد المفروضة صلاة في جوف الليل» [1] .

وقال عليه الصلاة والسلام :

«إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم ، يسأل الله فيها خيراً من أمر الدنيا والآخرة ، إلا أعطاه إياه ، وذلك كلَّ ليلة» [2] .
وبناء عليه استحب النبي ﷺ تأخير صلاة العشاء إلى جوف الليل .

وأما نداء الله تعالى بنفسه فهو ثابت لأدلة كثيرة ، فإن قيل : فعل (ينادي) من جنس الأفعال التي تنسب إلى الآمر مع مباشرة غيره له ، قلنا : نعم هو كذلك ـ والحق يقال ـ كأن تقول : (نادى الأمير ودعا إلى اجتماع) ويكون بمباشرة معاونه أو مندوبه ، ولكن غفل المحتج عن أن هناك روايات فيها :

«فيقول : هل من سائل فأعطيه . . .» وفعل القول ليس من ذلك النوع ، فلا بد من مباشرة القائل أو المنسوب إليه فعل القول ، لا بد من مباشرته للمقول بنفسه ، وهذا دليل على أن الله ينادي ويقول بنفسه .

وهناك قرائن أخرى إلى جانب فعل القول ، تثبت مباشرة الله تعالى للنداء كما في الرواية التي فيها : «لا أسأل عن عبادي غيري»

---

(١) رواه مسلم (٣/١٦٩) وأحمد (٢/٣٤٤) .

(٢) رواه مسلم وأحمد مسلم (٥٥٧) وأحمد (٣/٣١٣).

فهذا لا يمكن أن يقوله الملك ، بحال من الأحوال ، وفي رواية أخرى :

«فيقول : أنا الملك أنا الملك ، من ذا الذي يدعوني . . .»[1] . فقوله (أنا المِلك أنا المِلك) لا يقوله المَلَك بل ربُّ المَلَك .

وفي حديث ابن مسعود :

«إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط الله عز وجل إلى السماء الدنيا ثم تفتح أبواب السماء ثم يبسط يده فيقول : هل من سائل . . .»[2] .

فقوله (ثم يبسط يده) دليل على نزول الله تعالى وعلى قوله بنفسه لأنه لا يمكن أن يقوم الملك بهذا الفعل الشخصي ثم ينسب بسط اليد إلى الله . فالذي يبسط يده هو الله تعالى .

وفي رواية أخرى :

«ثم يبسط يديه تبارك وتعالى يقول : من يقرض غير عدوم ولا ظلوم»[3] . فنسبه البسط لليدين إلى الله هنا لا شك فيها ونسبة القول كذلك .

---

(١) رواه مسلم (٢/١٧٥ ـ ١٧٦) وأحمد (٢/٢٨٢ و ٤١٩) وأبو عوانة (٢/٢٨٩) والترمذي (٢/٣٠٧ ـ ٣٠٨ شاكر) وقال : [حديث حسن صحيح] .

(٢) رواه أحمد (١/٣٨٨) وابن خزيمة (٨٩) والآجري (٣١٢) وقال الألباني في « الإرواء » (٢/ص ١٩٩) : [بإسناد صحيح] .

(٣) رواه مسلم والدارقطني في « النزول » والبيهقي في « الأسماء » (ص ٣١٦ ـ ٣١٧) .

قلت : ثبت النـزول والقول بـأدلة كثيـرة ، ولا يحاد عنهـا بعذر واحد ، فالكثير من الروايات تذكر نزول ربنـا ، حتى وفي بعضها ذكـر الصعود مقابله مما يزيد في الإثبات كما في رواية لأبي هـريرة وأبي سعيـد معاً . أن الله يبقى بعد نزوله إلى السماء الدنيا :

«حتى ينفجـر الفجر ثم يصعـد»(١) وفي رواية «فلم يـزل هنـاك حتى يـطلع الفجر»(٢) أي في السـماء الـدنيـا وفي روايـة «فيكـون ذاك مكانه حتى يضيء الفجر»(٣)(*) .

ونزول الله تعالى لم يثبت فقط في الليل ، كما في هذه الروايات ، بل ثبت له النـزول في أحاديث أخـرى تتحدث عن أوقـات غير الليـل وعن مكان غير السماء الدنيا . ومنها :

روايـة ابن عباس رضي الله تعـالى عنه قـال : «ينادي منـادٍ بين يدي الساعة : أتتكم الساعـة ـ فيسمعه الأحيـاء والأموات ـ ثم ينـزل الله إلى السماء الدنيا»(٤) .

(١) رواه مسلم وأبـو عوانـة والـطيـالسي (٢٢٣٢ و ٢٣٨٥) وعنـه البيهقي (٣١٧) وأحمـد (٢/٢٨٣) .

(٢) رواه الـطبراني في « الأوسط » والـدارمي في « السنن » والهيثمي في « مجمـع الـزوائـد » (١/٢٢١) وقال : [وإسناد حسن] .

(٣) ذكـره ابن القيم في « الـصـواعق » (ص ٣٧٤/مختصر ـ مـوصـلي) وقـال : [رواه الدارقطني] .

(٤) رواه الذهبي في « العلو » (١٢٦/مختصر) وقال : [رواه ابن المبارك ورواته ثقات] وقال الألبـاني عن إسنـاده : [وهـذا إسنـاد صحيـح عـلى شرط مسلم] انـظر «مختصر العـلو» (٨٥/١٢٦).

(*) انظر الملحق رقم (٩) .

فهنا لم يذكر نزوله في الليل .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : «إذا كان يوم القيامة نزل الرب إلى العباد» (١) .

وهو يوم أن ينزل سبحانه للفصل بالحق بين الخلق . وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي رواه عبدالله بن أحمد في «السنة» (ص ١٧٧) : «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي . . .» (٢) .

وهناك أحاديث أخرى ، في بعضها أنه ينزل ليلة النصف من شعبان ، وفي أخرى ينزل ويدنو يوم عرفة يباهي بالطائفين الملائكة ، وغير ذلك . وللعلماء في أحاديث النزول حوادث ، فقد جرى أن

---

(١) قال شيخنا الألباني : [أخرجه الترمذي (٢/٦١) وابن خزيمة (ق ٢٥٠/٢) والحاكم (٤١٨/١) . . . وصححوه] « مختصر العلو » (١١٠/٥٤) .

(٢) قال الذهبي في « العلو » (١١٠/مختصر) : [إسناده حسن] وقال في « الأربعين » (١٨٦/١) : [هو حديث صحيح] وأعلاه الألباني فوق التحسين (١١٠/٥٥) والحديث له شاهد قرآني وهو قوله تعالى : ﴿ **ويوم تشقق السماء بالغمام** ﴾ قال مجاهد : [في ظلل من الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة] رواه الطبري في « جامع البيان » .

وشاهده أيضاً في قوله تعالى : ﴿ **هل يَنْظُرون إلا أن يأتيَهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقُضي الأمر** ﴾ [البقرة الآية ٢١٠] عن ابن عباس قال : [إن من الغمام طاقات يأتي الله فيها محفوفاً وذلك قوله ﴿ **هل ينظرون** . . . ﴾ الآية] رواه الطبري في « جامع البيان » (١٩١/٢) وأنظر « الدر المنثور » (٢٤١/١ ـ ٢٤٢) .

اجتمع اسحاق بن راهويه (*) رحمه الله بابن أبي صالح المبتدع في مجلس الأمير عبدالله بن طاهر ، فسئل عن أخبار النزول ، فسردها ، فقال له ابن أبي صالح :

(كفرت برب ينـزل من سماء إلى سماء فقال لـه إسحاق : آمنت برب يفعل ما يشاء) (١) .

فانظر أخي إلى هذا الرد الرائع الـذي جاوب به الإمام إسحاق في ذلـك المجلس المشهود ، وإن قلتم : من هـو إسحق هذا ؟ قلنـا : هـذا الذي أخـذ عنه الإمـام أحمد والبخـاري ومسلم والترمـذي فهـل تحتاجون بعدُ إلى تعريف ؟

وانظر إلى ما حصل معه في ذلك المجلس ، قال :

(دخلت على ابن طاهر فقال : مـا هذه الأحـاديث ؟ تروون أن الله ينزل إلى السماء الـدنيا ؟ قلت : نعم رواهـا الثقات الـذين يروون الأحكام ، فقال : ينزل ويدع عرشه ؟ فقلت : يقدر أن ينزل من غير

(*) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي ، أبو يعقوب بن راهويه ، عالم خـراسان في عصره ، من سكان مرو قاعدة خراسان وهو أحد كبـار الحفاظ طـاف البلاد لجمـع الحديث وأخذ عنه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم ، كان ثقة في الحديث ولد سنـة (١٩١هـ) وتوفي سنة (٢٣٨هـ) من مصنفاته « المسند » .

انظر الحلية (٩/ ٢٣٤) تاريخ بغداد (٦/ ٣٤٥) الميزان (١/ ٨٥) .

(١) رواه الذهبي في كتاب « الأربعين » (ق ١٧٩ / ٢) وقال : [رواها الحاكم بإسناد صحيح عنه] وقال في « العلو » (١٩٢/مختصر) : [فكأن إسحق الإمام يخاطبك بهـا] فعلق الألباني على قوله قائلاً : [يعني أن الأسناد في غاية الصحة حتى لكأنك تسمع ذلك من الإمام إسحاق مباشرة] « مختصر العلو » (١٩٢/ ٢٠٣) .

أن يخلو منه العرش ؟ قال : نعم قلت : فلم تتكلم في هذا ؟)[1] .

فابن طاهر سأل عن النزول واستغربه ، ولكن علم من إسحاق أن النبي ﷺ هو الذي قاله فآمن ، وهو عندما سأل كان مؤمناً بالعلو إيماناً ثابتاً لأنه كان من المسلمات ، وهذا يتجلى في قوله (أينزل ويدع عرشه ؟) فهذا إيمان منه بأن ربه على العرش ، ولكن هؤلاء ـ وللأسف ـ لا يؤمنون لا بالعلو ولا بالنزول . فليت شعري كيف يعبثون بالحقائق ! ويلبسون أمرها على الناس ، فما الذي منعهم من أن يؤمنوا برب يفعل ما يشاء ، إنهم يريدونه كما يشاؤون ، ونحن نؤمن بربنا سبحانه الذي ينزل ويصعد ، ويستوي ويجيء ، فهو إن شاء أن يكون في السماء الدنيا كان ، وإذا أراد أن يكون في الأرض كان ، فسبحانه حيث كان ، وقد ورد عن النبي ﷺ :

«أُذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام فيقول ذلك الملك : سبحانك حيث كنت»[2] .

فهذا يدل على أن الله أينما شاء أن يكون كان .

وحصل مع الإمام ابن راهويه في ذلك المجلس أنه :

---

(١) أخرجه البيهقي في « الأسماء » (ص ٤٥١ ـ ٤٥٢) وصححه شيخ الإسلام في « شرح حديث النزول » (ص ٤١) وعزاه إلى إبن بطة . ورواه الذهبي في « العلو » (١٩٢/مختصر) وقال الألباني في « مختصر العلو » (١٩٢/٢٠٤) : [إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات] .

(٢) رواه أبو داود والطبراني في « الأوسط » وصححه الألباني « الصحيحة » (١٥٠) « صحيح الجامع » (٨٥٣) .

(سئل عن حديث النزول : أصحيح هو؟ قال : نعم ، فقال له بعض القُوَّاد : كيف ينزل ؟ فقال : أثبته فوق حتى أصف لك النزول ! فقال الرجل : أثبته فوق ، فقال إسحق : قال الله : ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾ فقال ابن طاهر : هذا يا أبا يعقوب يوم القيامة ، فقال : ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟) [1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ وهو شيء لطيف ـ :

(سئل بعض أئمة نفاة العلو عن النزول ، فقال :

ينزل أمره ، فقال له السائل : فمن أين ينزل ؟ ما عندك فوق العالم شيء فمن أين ينزل الأمر ؟ من العدم المحض !! فبهت) [2] .

وهكذا وقع في إثباته للعلو من حيث لا يدري ، وقد سألني أحدهم : أوهل ينزل الله إلى السماء الدنيا بذاته !؟ ، فقلت له : وهل يمكن أن يتركها فوق وينزل وحده ؟! وكان هذا استهزاءً به ، فسبحان الله ! وكأن الله تنفك ذاته عنه ! وكأنا إذا قلنا : (الله الخالق) كان القصد أنه خالق بغير ذاته ! وكأنه الأفعال تقوم بغير ذاته ! فلا أدري كيف يؤمنون بكلمة (الجلالة) ، وهي تدل على الذات الإلهية ! وقد بلغني أن أحدهم قيل له : هل ينزل الله بذاته ؟ فقال ضاحكاً : هل هناك الله بذات والله بدون ذات ؟!!

---

(١) ذكره ابن تيمية في « شرح حديث النزول » (ص ٤٠) والذهبي في « العلو » (١٩٣/مختصر) وقال الألباني (١٩٣/٢٠٦) : [هذا إسناد صحيح . . . وهذا الأثر أخرجه الصابوني في « عقيدة السلف » (١/١١٣ ـ المجموعة المنيرية)] .

(٢) « شرح حديث النزول » (ص ٣٥) .

والذي رأيناه بعد النظر في حال المنكرين هو انهم أنكروا النزول لقواعد فلسفية اخترعتها عقولهم القاصرة ، وهذه القواعد الأرسطية تقضي بأن إثبات النزول يوقع في التشبيه .

فنقول لهم : كيف يقال هذا عن الله تعالى ، إذا كان هو القائل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء﴾[1] وهو نفسه الذي أخبر عن صفاته ، وأثبتها لنفسه في كتابه وسنة رسوله ﷺ ؟!

فهذا المحذور منتفٍ عند وضع هذه القاعدة القرآنية نصب العينين ، ثم لا يمكننا أن لا نسألهم هذا السؤال وهو : أليس تقرون بأن الله سميع بصير؟ فإنهم سيجاوبون لا ريب بـ (بلى) فنقول : إن الله تعالى خلق الإنسان سميعاً بصيراً كما قال : ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيْعاً بَصِيراً﴾[2] .

فما هو الخالق سميع بصير والمخلوق سميع بصير ، ولا شك أن سمعه ليس كسمعنا ، وبصره ليس كبصرنا ، كذلك نزوله وصعوده ليس كنزولنا وصعودنا ، فلأي شيء يكون كل هذا التكلف ؟!

لا بد من النصيحة لهؤلاء ، بأن يكفوا عما هم فيه من الخلط والخبط ، وأن يراجعوا حساباتهم ، فإنهم على شفا جرف هار ، قال أبو العباس السراج رحمه الله :

(من لم يقر ويؤمن بأن الله تعالى يعجب ويضحك وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول : ﴿من يسألني فأعطيه﴾ فهو زنديق كافر

---

(١) سورة الشورى الآية (١١) .

(٢) سورة الإنسان الآية (٢) .

يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين) [1] .

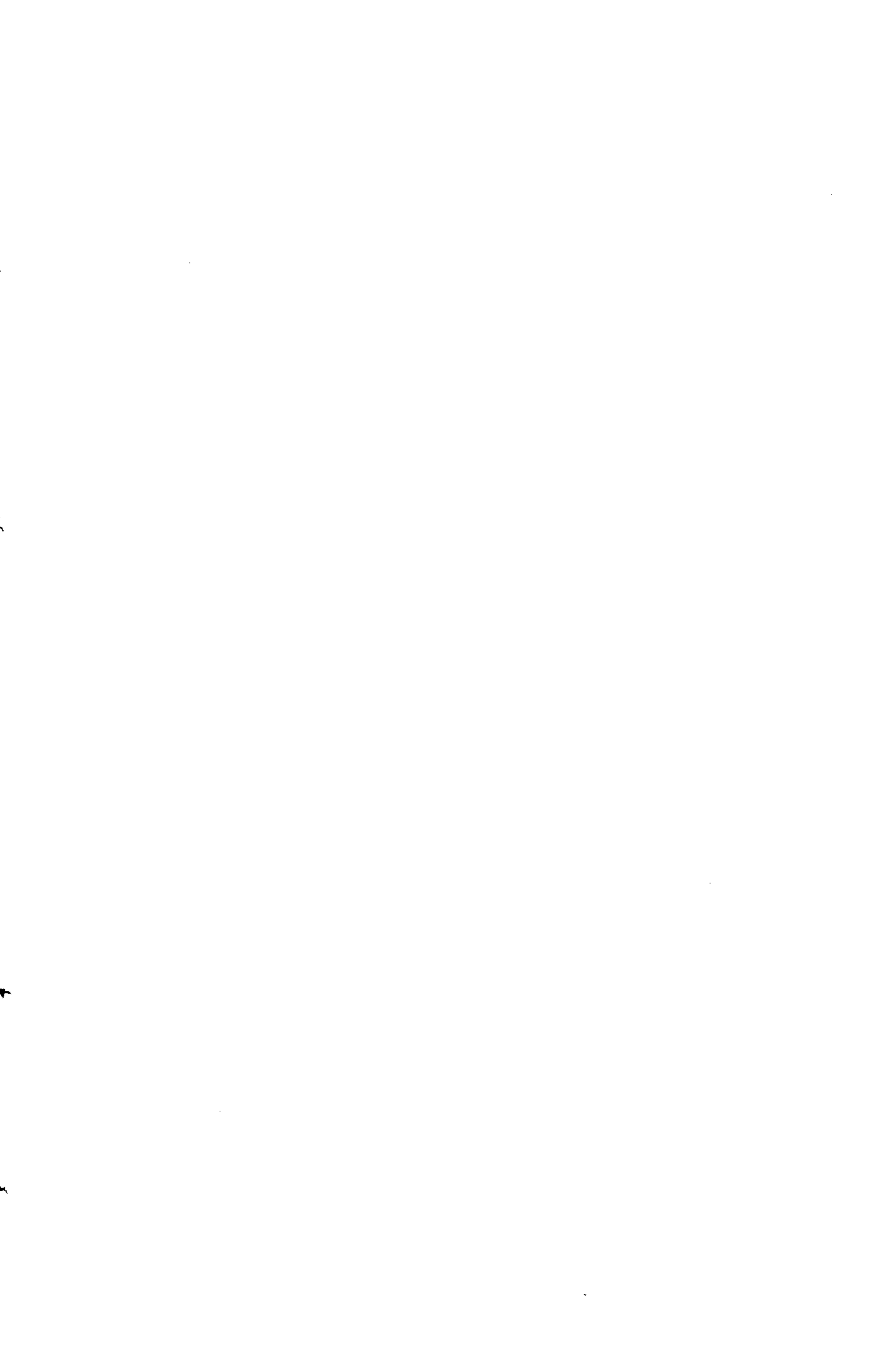
وكان إمام أهل البصرة حماد بن سلمة رحمه الله يحدث بحديث نزول الرب جل جلاله ويقول :

(من رأيتموه ينكر هذا فاتهموه) [2] .

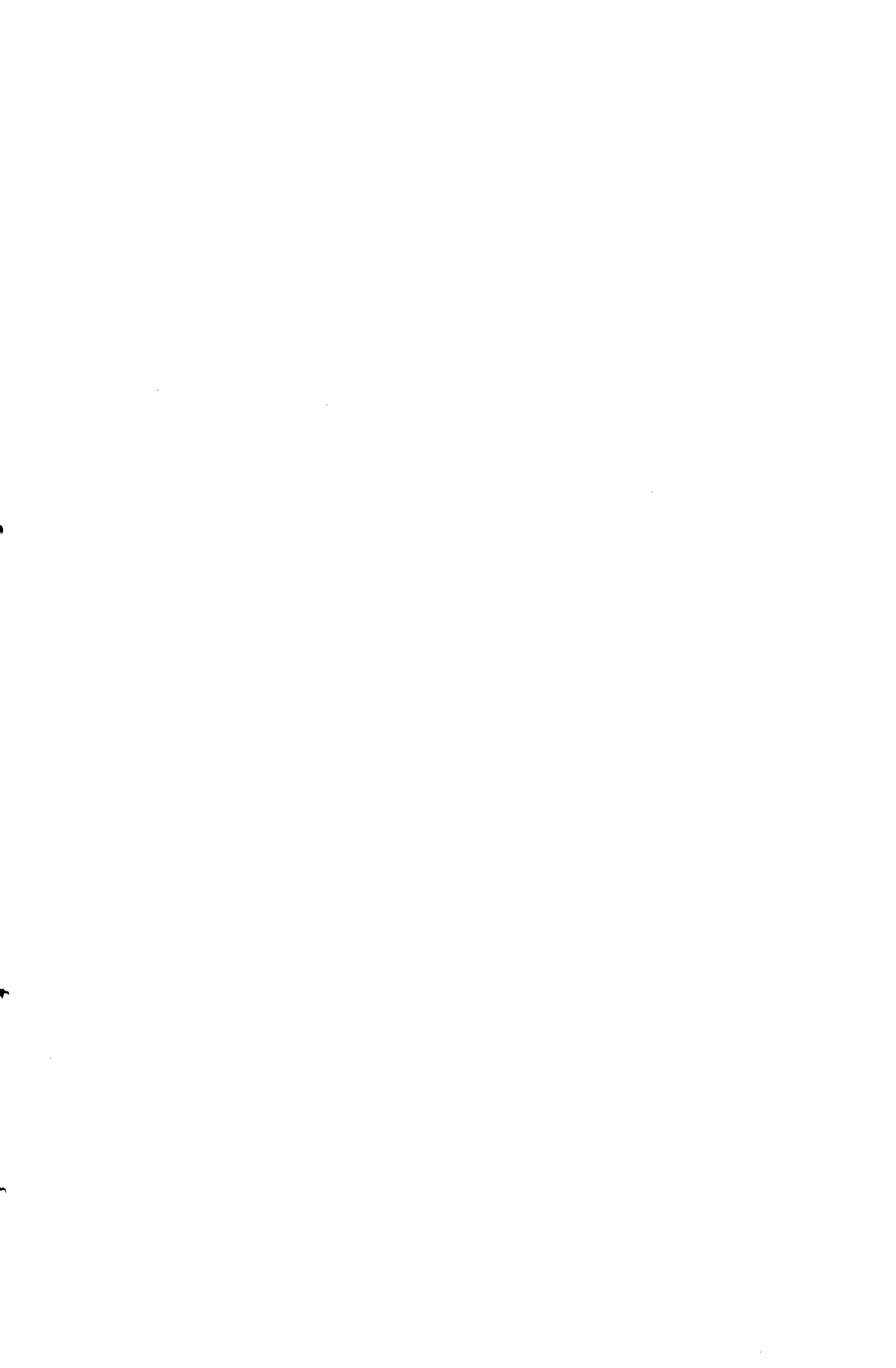
---

(١) رواه الذهبي في « العلو » (٢٣٢/مختصر) .

(٢) نفس المصدر السابق (١٤٤/مختصر) .



أقوال الصحابة في علو المولى جل في علاه



(اثر عن أم المؤمنين زينب بنت جحش)

قال أنس بن مالك :

(كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول : زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات) [1] . وفي رواية كانت تقول :

(إن الله أنكحني في السماء) [2] وفي رواية (من السماء) [3] .

وفي رواية أخرى قالت للنبي ﷺ :

(زوجنيك الرحمن من فوق عرشه) [4] .

(*) هي زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين تزوجها النبي ﷺ سنة ٣هـ . وكانت قبل ذلك عند مولاه زيد بن حارثة وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ بأنها بنت عمه وبأن الله زوجها له ، توفيت سنة ٢٠هـ وعمرها ٥٠ سنة .

انظر الأصابة (١٢/٢٧٥ - ٢٧٨) .

(١) رواه البخاري (٧٤٢٠ - فتح) والترمذي (٢/٢١٠) وقال : [حسن صحيح] وابن سعد في « الطبقات » (٨/١٠٣) .

(٢) رواه البخاري (٧٤٢١ - فتح) .

(٣) رواه أحمد (٣/٢٢٦) والنسائي (٢/٧٦) وابن سعد في « الطبقات » (٨/١٠٦) .

(٤) ذكره العسقلاني من مرسل الشعبي وقال : [أخرجه الطبري وأبو القاسم الطحاوي في « كتاب الحجة والتبيان » له] « فتح الباري » (١٣/٤١٢) وأما قول شيخنا الألباني في =

ها هي زوج النبي ﷺ وابنة عمته تفتخر على سائر أزواجه ، لأنها كانت ذات شأن خاص في زواجها من النبي عليه السلام . فزيدٌ مولى النبي ﷺ عندما طلقها وأراد النبي أن يتزوجها عملاً بوحي ربه ، كان يخفي في نفسه البشرية شيئاً ، خوفاً على دعوته من أن يقول الناس : تزوج بزوجة ابنه . وكان الله تعالى قد أنزل وحياً من السماء يأمره بزواجها ليبطل بفعله ما كان سائداً في المجتمع الجاهلي من التبني ونسبة الأبناء إلى غير آبائهم ، فكان لنزول هذا الوحي من الله أثر عظيم في نفس زينب رضي الله عنها ، لأن من عادة النساء أن يزوجهن أهاليهن ، أما هي بالذات فقد عقد قرانها في السماء ، ولهذا كانت تفخر عليهن وتقول : (زوجني الله من فوق سبع سموات)

(أنكحني الله في السماء) .

فانظروا يا أهل العمى أليس في هذا دليل أنه في السما .

لقد سمعت أحدكم يقول : (هذا الحديث يعني أن الله زوجها بالقدر الذي كتبه في كتابه وهو اللوح المحفوظ وذلك تعظيماً) .

قلت :

هل قال لكم أحد : على نفسها جنت براقش ؟ فأنا أقول . وأقول لكم : إقرأوا واهدأوا ولا تنتفضوا من غيظكم ، فقولكم مردود من وجهين أو ثلاثة :

= « مختصر العلو » (ص ٨٤) : [فهو في توحيد (البخاري » من حديث أنس أيضاً ذكره الحافظ] يوهم أنه من ألفاظ البخاري إلى جانب ذكر الحافظ له وليس كذلك.

١ ـ من قال أن اللوح المحفوظ فوق العرش ؟ هذا لا يعرف ولم يؤثر ، بل يروى خلافه كما في بعض المأثور أنه في جبين إسرافيل ، وهو تحت العرش لا فوقه ، وروي غيره ، وأما الكتاب الذي فوق العرش فهو غير اللوح المحفوظ ، بل هو الكتاب الذي كتب فيه المولى على نفسه (إن رحمتي تغلب غضبي) ولم يقل أحد من أهل الإتقان والمعرفة أنه هو اللوح المحفوظ على التأكيد[1] بل المحفوظ غير ذلك .

٢ ـ إن قلتم : لا تلزمونا برواية (من فوق عرشه) بل بما عند البخاري وهو لا يعارض قولنا .

قلنا : إنما هو ظنكم من عند أنفسكم ، ومن فعل ما زعمتم ؟

إسمعوا وعوا : أليس قولها (زوجني الله من فوق سبع سموات) فيه ذكر الفعل والفاعل والظرف أو المكان الذي قام فيه الفاعل بفعله ؟ ألا ينبغي ـ والأمر كهذا ـ أن يؤخذ الحق من الملفوظ ، ويترك جانباً اللوح المحفوظ ، لأنه لا ذكر له في الأثر ، فقولكم لا يعتبر .

٣ ـ يا مساكين هل خفي عليكم أن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ كل ما يكون إلى يوم القيامة من قبل خلق السموات والأرض ؟

قال النبي ﷺ :

«إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له : اكتب قال : يا رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتبْ مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»[2] .

---

(١) يراجع لهذا « التذكرة » للقرطبي و « البداية والنهاية » لابن كثير .

(٢) رواه أحمد (٣١٧/٥) وأبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢٣٢/٢) وقال : [حديث =

فأي شيء خصصتم به أمنا زينب حتى تفخر على سائر أمهاتنا ؟

إن كانت تقصد أن الله زوجها بالقدر المكتوب في السماء على اللوح المحفوظ ، فلا اختصاص لها لأن سائر النساء المؤمنات تزوجن بذلك فضلاً عن نساء الكافرين كفاكم تنطعاً ، فإن سلسلة احتجاجاتكم واهية ، لا يمكنكم تصييرها عقداً ، لأن حباته لا تنتظم ، وفي خيطه سقم .

أتسلكون طريق التأويل ؟! بعدما نقلنا من الدليل ، ونكلنا كل هذا التنكيل !

أتقولون : مكتوب في الكتاب تقديراً أن زينب زوج النبي ﷺ ؟

فهل تباحثنا في هذا ؟ أو أنكره منا أحد ؟

لا يمكنكم أن تقولوا : نعم ، لأننا نؤمن أصلاً ، أن الله قدَّر ، وخطَّ في اللوح المحفوظ ، قبل خلق السموات والأرض ، زواج أمنا زينب رضي الله تعالى عنها من رسول الله ﷺ ، بل خط كل شيء كائن إلى يوم القيامة ، وأي فخر لزينب في هذا ؟!!

ولو كان الذي ادعيتم واقعاً ، لقالت رضي الله عنها :

(إن الله أنكحني ، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ في السماء) .

= حسن غريب] وهو مروي عنده من طريق الطيالسي وقد راوه (٥٧٧) ورواه الآجري في « الشريعة » (ص ١٧٧) وكذلك الواحدي في « تفسيره » (٤/١٥٧/٢) بغير هذا اللفظ عن أبي هريرة ورواه البيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس بلفظ آخر والحاصل أن الحديث صحيح كما قال شيخنا الألباني انظر « شرح الطحاوية » (٢٧١) « صحيح الجامع » (٢٠١٨) .

ها قد بيَّنا الحق ، وأصبح شمساً مرسومة على الورق ، وليس بعد ما فصلنا من تفصيل ، ومن لم يفهم فجهله عليه ، والأمر منه لا منا .

ولله در البحتري حين قال :

علـيَّ نحتُ القـوافي من معـادنها ... ومـا عـليَّ إذا لم تـفهمِ البقـرُ

وسبحان الله تعالى إذ قال :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِيْ آللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وِيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَاْنٍ مَرِيْدٍ﴾ (١) .

وهم مهما تهربوا فإن الحق غالبهم ، لأن الذي يحتجون به ، إنما هو شيء اختلقوه من عند أنفسهم ، والله سبحانه قد ردَّ أباطيلهم ، وقال عز وجل في كتابه :

﴿وَلَا يَأْتُوْنَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاْكَ بِآلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيْراً﴾ (٢) .

---

(١) سورة الحج الآية (٣) .

(٢) سورة الفرقان الآية (٣٣) .

(اثر عن عبدالله بن مسعود)

قال رضي الله عنه :

«العرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم» [1] .

فقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هذا له حكم المرفوع ، فإنه لا يقال من قبل الرأي . وفي قوله (الله فوق العرش) دليل واضح على علو الله تعالى ، وهنا لا يستقيم الإدعاء بأن الفوقية للرتبة ، لأن المعنى يصير (الله أعظم من العرش) ، وهذا قدح في المعبود ، وذم ما بعده ذم ، إذ هبْ أن رجلاً محترماً ، يجلس في مجلس ، فجاء رجل يريد مدحه ، فقال له : (أنت لست ابن عاهرة ولا ابن زانية ولا تشبه الخنزير ولا القرد) . أفيكون بحال هذا الكلام مدحاً ، لا والله بل هو أقذر الذم وأقبحه ، وأي مدح غريب ! وأي تنزيه عجيب ! هذا الذي يقال لرجل كريم ، طاهر النسب ، معلوم عنه كل خير !

والأمر هنا بهذه المثابة ـ وهو أمر اللإدعاء بفوقية وعلو الرتبة ـ قال العلامة ابن أبي العز :

(ومن تأول «فوق» بأنه خير من عباده وأفضل منهم وأنه خير من العرش وأفضل منه كما يقال : الأمير فوق الوزير ، والدينار فوق

---

(١) سبق تخريجه ـ انظر (ص / ١٧١).

الدرهم . فذلك مما تنفر عنه العقول السليمة ، وتشمئز منه القلوب الصحيحة ، فإن قول القائل ابتداء : الله خير من عباده ، وخير من عرشه . من جنس قوله : الثلج بارد ، والنار حارة ، والشمس أضوء من السراج ، والسماء أعلى من سقف الدار ، والجبل أثقل من الحصى ، ورسول الله أفضل من فلان اليهودي ، والسماء فوق الأرض !! وليس في ذلك تمجيد ولا تعظيم ولا مدح ، بل هو من أرذل الكلام وأسمجه وأهجنه ، فكيف يليق بكلام الله الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لما أتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، بل في ذلك تنقص كما قيل في المثل السائر :

ألم تـرَ أن السيف ينقص قـدره إذا قيل : إن السيف أمضى من العصا

ولو قال قائل : الجوهر فوق قشر البصل وقشر السمك ، لضحك منه العقلاء للتفاوت الذي بينهما ، فإن التفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم)[1] .

ثم قول ابن مسعود (العرش فوق الماء) مقصوده الوجود الحسي ، لا التقييم بين العرش والماء ، فلماذا يكون قوله (الله فوق العرش) للتفاضل ـ عياذاً بالله ـ بين الله وعرشه ؟! مع أن السياق حسي ! فأي لغة تقركم على هذه المذاهب الوخيمة ؟!

ثم لو حصل وكانت (فوق) محتملة للتفاضل ، كما تأتي في بعض المواضع ، ولكن (على) لا تأتي للتفاضل البتة .

---

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٢٨٨) وهذا الكلام لابن القيم نقله ابن أبي العز من دون إشارة انظر « مختصر الصواعق المرسلة » (ص ٣١٦ ـ موصلي) .

ففي حديث عمران بن حصين يقول النبي ﷺ :

«كان الله على العرش ، وكان قبل كل شيء وكتب في اللوح كل شيء يكون»[1] . فقوله «كان الله على العرش» لا يحتمل المفاضلة حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط ، فلا تقول : (الذهب على الفضة) أو (أبو بكر على عمر) .

وفي السنة شواهد كثيرة على علوه تعالى فوق عرشه باستوائه عليه ، كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً :

«فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي»[2] .

فبربكم قولوا لنا : لماذا يأتي النبي ﷺ يوم القيامة تحت العرش ، إن لم يكن لأن ربه عليه ؟! ثم لماذا يقول : «فأقع ساجداً لربي» ؟! أليس لأن على العرش ربه ؟ بلى ، لأن العرش ليس هو ربه ليسجد له ، وما دعانا في حين من الأحيان إلى السجود للعرش ، وحاشاه أن يدعو أمته إلى الشرك وهو نبي التوحيد .

وفي حديث أنس مرفوعاً :

«فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً»[3] . وورد بلفظ :

---

(١) رواه الذهبي في « العلو » (٩٨/مختصر) وقال : [هذا حديث صحيح قد خرجه البخاري في مواضع] قلت : واللفظ هنا للذهبي .

(٢) رواه البخاري (٤٧١٢ ـ فتح) ومسلم (١٩٤) وأحمد (٢/٤٣٥) والترمذي (٢٤٣٦) والبغوي في « شرح السنة » (٤٣٣٢) .

(٣) رواه البخاري (٤٤٧٦ ـ فتح) ومسلم (٣٢٤) وكذلك أحمد والنسائي وابن ماجة =

«فآتي باب الجنة فيفتح لي فآتي ربي تبارك وتعالى وهو على كرسيه أو سريره ، فأخر له ساجداً»[1] .

وهذا واضح بيّن في علو الله تعالى ، واستوائه على عرشه حقيقة ، فالجنة فوق السموات السبع ، والرسول يدخل على ربه فيها ، فهذا يدل على فوقيته جل في علاه ولو كان معنى (فوق العرش) أي أعظم وأفضل ، فهل يستقيم المعنى بهذا هنا ؟ وهل يعقل أن النبي ﷺ يقصد بإخباره هنا ، أنه عندما يدخل على ربه ، تكون حال الله أنه أحسن من الكرسي أو العرش ؟! وهل يعقل أن لفظ (على كرسيه) يحتمل في وجه من الوجوه معنى التفاضل ؟ لا وألف لا .

فيتضح لنا أن قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في غاية البيان والوضوح وأن فيه دليل العلو ، وكذلك تجد في قوله :

«والله فوق العرش لا يخفي عليه شيء من أعمالكم» ما يفيد هذا المعنى ، فعند ذكر العلو الحسي ، كان من الجميل ، ومما يقتضيه المقام ، أن يذكر عدم خفاء شيء من أعمال العباد عن الله تعالى ، لما يوهم هذا العلو من البعد الذاتي ، فيظن المخلوق أنه إذا كان عالياً ،

= والبغوي في « شرح السنة » (٤٣٣٤) وابن خزيمة وأبو عوانة انظر « صحيح الجامع » (٨٠٢٦) .

(١) رواه الذهبي في « العلو » (٨٧/مختصر) وقال : [أخرجه أبو أحمد العسال في كتاب « المعرفة » بإسناد قوي] وقال الألباني (١٢/٨٨) : [وأخرجه الدارمي في « رده على المريسي » (ص ١٤) وأحمد في « مسنده » . . عن ابن عباس نحوه وأخرجه أبو جعفر في « العرش » (ق ١/١١٣) وله شاهد آخر عن أبي هريرة في حديث طويل له في الحشر أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (ق ١/٦٦ و ١/٧٢)] .

كان علوه مبعداً له عن خلقه ، فلا يستطيع بذلك أن يعلم أخبارهم ، وأن يدبر أمورهم .

ولهذا قال : «لا يخفى عليه شيء من أعمالكم» .

والدهشة لا تكاد تنقطع ، مما جاوب به بعض البلهاء ، عندما ذكرت له أثر ابن مسعود ، حيث قال ـ بكل وقاحة ـ :

(هذا كلام ابن مسعود ولست مجبوراً على أخذه) .

فأسائلكم : أليس هذا من العجب العجاب ؟! إنك تراهم يردون قول من رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وهم صحابة رسول الله ﷺ ، بل يردون قول الله وقول رسوله ـ كما سبق وظهر ـ ومقابل ذلك يأخذون بقول شيخهم دون طلب دليل ، حتى ولا إيماء !

(اثر عن عبدالله بن عباس)

قال رضي الله عنه :

«إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً»[1](*) .

هذا يدل على علوه تعالى ، حتى قبل خلق السموات والأرض ، إذ هو على عرشه لا عرشه عليه ، وعندما خلق السموات والأرض وما بينهما ، خلقهما تحت العرش ، فما تغير شيء أبداً !

---

(١) رواه الذهبي في « العلو » (٩٥/مختصر) وقال الشيخ الألباني (٢١/٩٥) : [وهو صحيح ، وقد أخرجه الآجري في « الشريعة » (ص ٢٩٣) واللالكائي في « السنة » (٢/٩١/١) وابن قدامة في « العلو » (١/١٦٩)] .

(*) انظر الملحق رقم (١٠) .

(اثر عن عبدالله بن عباس)

قال رضي الله عنه :

«جاء رجل فقال : يا ابن عباس إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي فقد وقع ذلك في صدري . فقال ابن عباس : أتكذيب ؟ قال : ما هو بتكذيب ولكن اختلاف . قال : فهلم ما وقع في صدرك . فقال له الرجل : اسمع الله يقول ـ فذكر أشياء ثم قال ـ :

وفي قوله **﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾** (١) .

فذكر في هذه الآية خلق السماء قبل الأرض ، وقال في الآية الأخرى :

﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ، ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (٢) الآية ، فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء . فقال ابن عباس : أما قوله **﴿أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها﴾** الآيات ، فإنه خلق الأرض في يومين قبل السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم نزل إلى الأرض

---

(١) سورة عبس الآية (٢٧ ـ ٣١) .

(٢) سورة فصلت الآية (١٠ ـ ١١) .

فدحاها ، قال : ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى»[1] .

وفي هذا القول دلالة على علوه تبارك وتعالى وعلى نزوله وصعوده ومن يمكنه أن يماري في معنى هذا الكلام الرائع ؟

لا شك أن بعضهم تعامى عن مثل هذه الأقوال التي أطلقها كثير من الصحابة ، وكذلك لا يخفى علينا أن الكثير لا يتعامى بل هو أعمى .

(١) رواه البخاري والبيهقي في « الأسماء » (ص ٣٧٩) وأبو الشيخ في « العظمة » (١٠٠/١) وذكره الذهبي في « العلو » (٩٤/مختصر) .

(اثر عن عبدالله بن عباس)

قال رضي الله عنه :

«الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يقدر أحد قدره» [1]» .

فهذا ابن عباس ، ترجمان القرآن ، وحبر الأمة ، الذي دعا له النبي ﷺ أن يعلمه الله الفقه والتأويل - أي التفسير - فقوله هذا دليل ناصع على علو الله سبحانه ، إذ إنه من المعلوم بأن الكرسي تحت العرش ، وفوق السموات السبع ، كما ثبت في النصوص ، وها هنا يبين ابن عباس رضي الله عنه بأن هذا الكرسي الذي وسع السموات والأرض ، هو (موضع القدمين) أي أن الله يضع قدميه عليه ، ويستوي على عرشه ، فإن السلف يقولون عن هذا الكرسي ، بأنه بين يدي العرش كالمرقاة إليه .

---

(١) قال الشيخ الألباني في « مختصر العلو » (٣٦/١٠٢) : [صحيح موقوف أخرجه ابن خزيمة في « التوحيد » (ص ٧١ - ٧٢) والدارمي في « الرد على المريسي » (ص ٧١ و ٧٣ - ٧٤) وأبو جعفر ابن أبي شيبة في « العرش » (٢/١١٤) وعبد الله بن أحمد في « السنة » (ص ٧١) . .] .

قلت : وبلفظ قريب رواه الحاكم (٢٨٢/٢) والبيهقي في « الأسماء » والدارقطني في « الصفات » (٣٦) والطبري في « جامع البيان » (١٠/٣) وابن منده في « الرد على الجهمية » (٤٥) .

(اثر عن عبدالله بن عباس)

قال رضي الله عنه لعـائشة رضي الله عنهـا عندمـا دخل عليهـا وهي تموت :

«كنت أحب نسـاء رسـول الله ﷺ إلى الـرسـول ﷺ ، ولم يكن رسول الله يحب إلا طيباً ، وأنـزل الله براءتـك من فوق سبـع سموات جاء بها جبريل فأصبح ليس مسجد من مساجـد الله يذكـر فيه الله إلا وهي تتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار» (١)(*) .

هذه عائشــة أم المؤمنين المبـرأة من فوق السمـوات السبع ، ممـا ألصقـه بها أهـل الرفض والضـلال ، عليهم من الله مـا يستحقـون ، فإنهم لازالوا حتى الآن عـلى هذا الـزور، وهو اتهـام الطاهـرة بـالإفـك والفاحشة، فوالله من كره أمنا فأمه الهاوية ، النار الحامية .

(*) وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٦٣٩) والحاكم (٤/٨) وصححه ووافقه الذهبي، وأبـو نعيم في الحليـة (٢/٤٥) وابن قـدامـة في «العلو» (٨٠) كلهم عن أبي خُثيم عن ابن أبي مليكة عن ذكوان مولى عائشة به .

(١) رواه أحمد (١/٢٧٦) والدارمي في « النقض » (ص ١٠٥) ـ طبع أنصار السنـة ـ مصر ورواه في « الـرد » (ص ٢٧ ـ ٢٨) ورواه الـذهبي في « العلو » (ص ١٣٠/مختصر) وقـال الألباني (٩٢/١٣٠) : [وسنده صحيـح على شرط مسلم] وذكـره ابن القيم في « جيوشـه » (ص ١٥٨) وقال : [وأصل القصة في صحيح البخاري] .

(اثر عن عبدالله بن مسعود)

قال رضي الله عنه :

«إن العبد ليهمُّ بالأمر من التجارة والإمارة حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات ، فيقول للملائكة : إصرفوه عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار» (١) .

إن الإنسان يقبل على الأعمال من دون النظر إلى عواقبها ، فقد يظن الأمر خيراً وهو على العكس ، ومن تدبير الله تعالى وإحاطته لخلقه بالرحمة أنه في بعض الأحيان يصرف عن العبد عملاً حتى لا يفتتن به ، وذلك من أجل فائدته ومصلحته ، ولذا فعلى العبد أن يرضى دائماً بقضاء الله ، وأن يحمده على كل شيء ، فالله سبحانه ينظر بعينيه من فوق سبع سموات إلى هذا العبد ليدبر له ويساعده ، إما بالتيسير أو بالتعسير ، وعسى أن يكره الإنسان شيئاً وهو خير له .

فآمنوا بعلوه وجربوا ، وانظروا كيف يتجلى إيمانكم بصفاته العلى ، فإن الإيمان بها دافع لخشية الله والخوف منه .

---

(١) أخرجه الدارمي في « الرد على الجهمية » (ص ٢٦) بنحوه ورواه اللالكائي في « السنة » (ص ٦٥) وقال الذهبي في «العلو » (١٠٤/مختصر) : [بإسناد قوي] وقال ابن القيم في « الجيوش » (ص ١٦٠) : [بإسناد صحيح] .

(اثر عن عبدالله بن عباس)

قال في تفسير قوله تعالى : ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُوْنَ﴾ [1] :

«أما إنا قد سألنا عن ذلك فقالوا : أرواحهم في أجواف طير خضر ، تسرح في الجنة في أيها شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك إطلاعه ، فقال : سلوني ما شئتم» [2] .

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله :

(فكل من له فهم بلغه العرب يعلم أن إطلاعه إلى الشيء لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل . . .) [3] .

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٦٩) .

(٢) رواه مسلم (١٨٨٧) وأحمد (١٨٦/٦) والترمذي (١٦٤١) قريباً منه وقال : [حسن صحيح] وقال الذهبي في « العلو » (١٠٦/مختصر) : [والقزويني] .

(٣) « التوحيد » (ص ٣٨١) .

(اثر عن أبي بكر الصدّيق)

قال رضي الله عنه :

«من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت» [(1)](*) .

ها هو قول الصديق ، حبيب رسـول الله ﷺ ، وخليفته ، وأب زوجة عائشة ، والصاحب الأول ، وقامع أهل الردة ، هـذا قولـه بأن الله في السماء ، يتبع في ذلك نبي الله تعالى .

(*) وأخـرجـه الـدارمي في «النقض» (ص / ١٠٥) والمقـدسي في «العلو» (٧٠) والـذهبي في «العلو» (ص / ٦٢) وذكـره في الأربعـين (ق ١٧٨ / ب). وقـال : رواه الـدارمي بـإسنـاد صحيح . والحديث علقه البخاري في «تاريخه» ووصله الـدارمي في «الرد» و«النقض» فـرواه عن ابن أبي شيبة عن أبي الفضل عن أبيه ـ بن غزوان ـ عن نافع عن ابن عمر به .

(١) رواه البخاري في « تاريخه » وأصله في « صحيحه » (١٢٤١) وقريباً من هـذا اللفظ رواه ابن شيبة (١٤/٥٥٣) وعنه الدارمي في « الرد على الجهمية » (ص ٢٦) وذكره ابن القيم في « الجيوش » (ص ٦٢) والحديث حسن إن شاء الله .

(اثر عن عمر بن الخطاب)

قال عبد الرحمن بن غنم : سمعت عمر بن الخطاب يقول :

«ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه . . » [1] .

ها هو الفاروق ، خليفة خليفة رسول الله ﷺ ، المحدَّث الذي تتكلم الملائكة على لسانه ، والذي أخبر النبي بأنه لو كان بعده نبي لكان هو رضي الله عنه .

يحذر بقوله هذا ديان الأرض ، أي كل ملِك من ديان السماء ، وهو ملِك الملوك سبحانه ، الذي هو فوق عرشه المجيد .

---

(١) رواه الذهبي في « العلو » (١٠٣/مختصر) وقال : [رواه سمويه في « فوائده »] ورواه الدارمي (ص ١٠٤) وقال الألباني (٣٨/١٠٣) عن إسناد الذهبي والدارمي : [وإسنادهما صحيح] .

(اثر عن أم المؤمنين عائشة)

قالت رضي الله عنها مبرِّئة نفسها من إرادة قتلها لعثمان :

«علم الله فوق عرشه أني لم أحبَّ قتله» [1] .

كما اتهمت من قبل الزنادقة بالإفك ، فقد اتهموها بدم عثمان الزكي ، وهي بريئة من كل تهمة ، وها هي تدافع عن نفسها بلسانها ، الذي نطق بعلو ربها .

(*) وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣ / ٤٠) وأبو نعيم في «الحلية» (١ / ٤٧) وذكره ابن القيم في «جيوشه» وعزاه للبخاري في «تاريخه» .

(١) رواه الذهبي في « العلو » (١٠٤/مختصر) وقال شيخنا الألباني (٤١/١٠٤) : [أخرجه الدارمي في « الرد على الجهمية » (ص ٢٧ ، وإسناده صحيح] وذكره ابن القيم في « الجيوش » (ص ٦٥) .

(اثر عن عبدالله بن عمر)

قال زيد بن أسلم :

«مرَّ ابن عمر براعٍ فقال : هل من جزرة ؟ فقال : ليس هاهنا ربها ، قال ابن عمر : تقولُ له : أكلها الذئب . قال : فرفع رأسه إلى السماء وقال : فأين الله ؟ فقال ابن عمر : أنا والله أحق أن أقول : أين الله ؟ واشترى الراعي والغنم فأعتقه وأعطاه الغنم» (١) .

وروى ابن الجوزي نفس القصة بلفظ آخر عن نافع مولى ابن عمر قال :

«خرجت مع عبدالله بن عمر في بعض نواحي المدينة ، ومعنا أصحاب له فوضعوا سُفرة لهم ، فمرَّ بهم راعٍ ، فقال له عبدالله بن عمر : هلمَّ يا راعي من هذه السُّفرة فقال : إني صائم ، فقال له عبدالله : في مثل هذا اليوم الشديد حرُّه ، تلبث في هذه الشعاب ، في آثار هذه الغنم ، وبين الجبال ترعى وأنت صائم ؟ فقال له الراعي : أبادر في أيامي الخالية ، فعجب ابن عمر وقال له : هل لك أن تبيعنا شاة ، تجتزرها ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ؟ فقال الراعي : إنها

---

(١) رواه الذهبي في « العلو » (١٢٧/مختصر) وقال الألباني (١٢٧/٨٦) : [وهذا إسناد جيد رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن الحارث الجمحي وهو الحاطبي صدوق كما في « التقريب »] .

ليست لي ، إنها لمولاي ، قال : فما عسى أن يقول لك مولاك إن قلت : أكلها الذئب ؟ فمضى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء ، وهو يقول : فأين الله ؟ قال : فلم يزل ابن عمر يقول : قال الراعي : فأين الله ، فما عدا أن قدم المدينة ، فبعث إلى سيده واشترى منه الراعي والغنم ، فأعتق الراعي ووهب له الغنم» .

أنظروا هداكم الله ، إلى هذه الواقعة الرائعة ، التي تبين أثر الإيمان بعلو الله جل وعلا ، وذلك ظاهر في فعل الراعي عندما رفع رأسه أو إصبعه إلى السماء قائلاً (فأين الله ؟) وهو سؤال على سبيل الإثبات والرد ، ويقصد أنه إن غاب رب الغنم فلن يغيب الله الرقيب من السماء ، مما حدا بابن عمر - تأثراً بموقف الراعي العظيم - إلى شراء الراعي المملوك من سيده ، وشراء الغنم ، فأعتق الراعي ثم وهبه الغنم ، فأصبح حراً سيداً ومالكاً ، وهذا فيه ما فيه من أثر الإيمان بعلوه تعالى ، الذي يزيد من خشية العبد لربه ، لأنه يصبح شاعراً بمراقبته له من فوقه .

(اثر عن أبي ذرّ)

قال ابن عباس رضي الله عنه :

«بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ ، فقال لأخيه : اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء»[1] .

هذا الأثر يدل على أن أهل الجاهلية كانوا يؤمنون بعلوه سبحانه ، فإن قوله (إعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء) أي الوحي الذي ينزل من السماء ويرسله الله من عنده بواسطة جبريل عليه السلام .

فلا حول ولا قوة إلا بالله ! أأهل الجاهلية أعلم بالله من هؤلاء !؟

(١) رواه البخاري (١٣/ ٤١٥ ـ فتح) معلقاً .

(اثر عن عمر بن الخطاب)

عن قيس قال :

«لما قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله الناس وهو على بعيره ، فقالوا : يا أمير المؤمنين لو ركبت برذوناً يلقاك عظماء الناس ووجوههم ، فقال عمر رضي الله عنه : ألا أريكم ههنا ، إنما الأمر من ههنا ، فأشار بيده إلى السماء» (١) .

وها هو أمير المؤمنين الفاروق رضي الله تعالى عنه ، يدعوه الناس ليركب برذوناً يقابل به وجهاء الناس وعظماءهم ، ويترك هذا البعير ، ليظهر بمظهر لائق ، ولكنه رضي الله عنه يخبرهم بأنه لا اهتمام عنده بالمكان الذي سيقع به في قلوب الناس ، بل المهم هو أن يعظم في عين الله سبحانه وتعالى ، ولهذا هو يشير إلى السماء ، وأثر عنه أيضاً أنه كان يقول للصحابة رضوان الله عليهم :

«لستم تنصرون بكثرة وإنما تنصرون من السماء» (٢) . والحق معه لقوله تعالى :

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ والله تعالى في السماء .

---

(١) رواه الذهبي في « العلو » (١٠٣/مختصر) وقال : [إسناده كالشمس] وقال الألباني (٣٧/١٠٣) : [أخرجه الدارمي (ص ١٠٥) وفي « الرد على الجهمية » (ص ٢٦) ومن طريقه المصنف بإسناده إليه ، وهو إسناد صحيح على شرط الشيخين] وذكره ابن القيم في « الجيوش » (ص ٦٣) .

(٢) ذكره ابن القيم في « الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي » (ص ٣٨) ـ دار الكتاب العربي .

أقوال التابعين في علو المولى
جل في علاه
وذكر أقوال طائفة من العلماء



(اثر عن كعب الأحبار)

قال رحمه الله تعالى :

«قال الله عز وجل في التوراة :

أنا الله فوق عبادي ، وعرشي فوق جميع خلقي ، وأنا على عرشي أدبّر أمور عبادي ، لا يخفى علي شيء في السماء ولا في الأرض» (1) .

فانظر معي إلى هذا الكلام الذي يشهد بنفسه لنفسه بالقدسية ، وكيف لا ، والتوراة كتاب الله الذي خطه لموسى بيده .

فالله تعالى يعلن علوه فوق عباده ، وأن عرشه فوق جميع خلقه ، وأنه على عرشه يدبر أمور العباد ، ولا يمكنهم أن يخفوا عنه شيئاً في الأرض ولا في السماء .

(*) هو أبو إسحاق كعب بن ماتع الحميري السيماني العلامة الحبر ، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ ، وقدم المدينة من اليمن في زمن عمر رضي الله عنه ـ توفي في حمص سنة ٣٢هـ وقبل سنة ٣٤هـ وقد بلغ مائة وأربع وستين .

انظر الإصابة (٢٩٧/٣ ـ ٢٩٩) والسير (٣٨٩/٣ ـ ٣٩٤) والجرح (١٦١/٧) .

(1) سبق تخريجه (ص / ٣٦).

فقوله (أنا الله فوق عبادي) فيه إعلام بفوقية عامة على كل المخلوقات وقوله (وعرشي فوق جميع خلقي) فيه إخبار بعلو العرش وأنه فوق الخلق وكل هذا علو حسي لا علاقة للرتبة هنا .

ثم يؤكد هذا العلو لنفسه بقوله (وأنا على عرشي) إذ فيه إخبار بعلو خاص على العرش ، حصل هذا العلو بالإستواء عليه .

وقد علم أن لفظ (على) هنا يعقد ألسنة السفهاء الجاهلين . فإنك لا تقول : (الذهب على الفضة) ولا (أبي على أبيك) وهذا الكلام التوراتي رائع ، لا زال اليهود حتى اليوم بالرغم من كفرهم يؤمنون بعلو الله ، واستوائه على العرش ، ولكن عليهم لعائن الله نسبوا إليه الإستراحة ، وهذا من نقص المخلوقات .

(اثر عن قتادة بن دعامة السدوسي)(*)

قال رحمه الله :

«قالت بنو إسرائيل : يا ربّ أنت في السماء ، ونحن في الأرض ، فكيف لنا أن نعرف رضاك من غضبك ؟ قال : إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم ، وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم» (١)(**) .

أليس في هذا القول الإسرائيلي اعتراف بعلوه تبارك وتعالى ؟! مالكم ، أين أنتم ؟ ومن أين جئتم ؟ والله إنكم تخالفون جميع أهل الكتب ، فكيف تثبتون عقائدكم من غير كتاب ؟! لقد خالفتم المسلمين أصحاب القرآن فضلاً عن مخالفتكم لأهل التوراة بل وأهل الإنجيل ، وهؤلاء الأخيرون ، أو بالأحرى اليهود والنصارى فإنهم

(*) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، ولد سنة (٦١هـ) روى عن عدد من الصحابة ، كان شديد الحفظ ، توفي بواسط في الطاعون وهو ابن ست أو سبع وخمسين سنة .

انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٨٥ ـ ٨٦) السير (٥/ ٢٦٩ ـ ٢٨٣) ، التهذيب (٨/ ٣٥١ ـ ٣٥٦) .

(١) ذكره الذهبي في « العلو » (١٣٠/ مختصر) وقال : [هذا ثابت عن قتادة أحد الحفاظ الكبار] وأخرجه الدارمي في « النقض » (ص ١٠٦) وفي « الرد » (ص ٢٨) وقال الألباني في « مختصر العلو » (١٣١/ ٩٣) : [وسنده حسن] ونقله ابن القيم عن الدرامي في « الجيوش » (ص ٦٧) .

(**) وأخرجه عبدالله بن أحمد في « زوائد الزهد » (ص / ٢٧٧) وصححه الذهبي في « الأربعين » (ق ١٧٨ / ب) .

على الرغم من تحريفهم لما بين أيديهم من وحي الله ، لا يزالون مؤمنين بعلوه سبحانه لأن ذلك مركوز في الفطر ، لا يتغير ولا يتبدل ، ما لم تعبث به أصابع الشياطين .

ها هم النصارى ـ لا تخفى علينا ألفاظ صلاتهم ـ يجتمعون في الآحاد ، في كنائسهم ، وكلما نزلت بهم نازلة ، ويستغيثون بقولهم :

(أبانا الذي في السماء ، ليتقدس اسمك ، وليأت ملكوتك ، ولتكن إرادتك في السماء مثلها في الأرض ، أعطنا خبزنا كفاف يومنا ولا تدخلنا في التجارب واغفر لنا خطايانا . . .) إلى آخر ما يقولون .

ويروى حديث واهٍ عن النبي ﷺ أنه قال ـ وهو قريب من لفظ صلاة النصارى هذه ـ :

«إذا اشتكى أحدكم شيئاً ، أو اشتكى أخ له ، فليقل : ربنا الله الذي في السماء ، تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض ، كما رحتك في السماء ، فاجعل رحمتك في الأرض ، واغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل شفاء من شفائك ، ورحمة من رحمتك على هذا الوجع ، فيبرأ»(١)(*) . قولوا بربكم ، كيف يرجى الخير ممن كانت اليهود والنصارى أعلم بالله منه ؟

---

(١) رواه أحمد (٦/١٢) وأبو داود (٣٨٩٢) والنسائي والبيهقي في « الأسماء » (ص ٣٠٠) والدارمي في « الرد على الجهمية » (ص ٢٣) وقال الألباني في تخريجه للرد (ص ٢٣) : [إسناده واه] .

(*) انظر الملحق رقم (١١) .

قال الإمام سعيد بن عامر الضبعي رحمه الله :

(هم شر من اليهود والنصارى ، قد اجتمع اليهـود والنصارى ، وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله عز وجل على العـرش ، وقالـوا هم : ليس على العرش شيء) [1](*) .

---

(١) علقه البخاري في « خلق أفعال العباد » (ص ٩ دار الكتب العلميـة) وقال إبن تيميـة في « الحموية » (ص ٣١ دار الكتب العلمية) : [رواه ابن أبي حاتم في « الـرد على الجهميـة »]

(*) قلت إسناده ضعيف لجهالة الواسطة بين ابن أبي حاتم وسعيد بن عامر.

(اثر عن ثابت البناني)(*)

قال رحمه الله :

«كان داود عليه السلام يطيل الصلاة ثم يركع ، ثم يرفع رأسه إلى السماء ، ثم يقول : إليك رفعت رأسي (يا عامر السماء) ، نظر العبيد إلى أربابها ، يا ساكن السماء» (١) .

ها هو نبي من أنبياء الله تعالى ، يعلن إيمانه بالعلو في صلاته ، ويقول : (يا ساكن السماء) ، وليس في هذا اللفظ شيء من المحظور ،

(*) هو ثابت بن اسلم البناني أبو محمد المعري ، روى عن عدد من الصحابة ، من أقران عطاء وعبدالله بن عبيد وقتادة وسلمان . وثقه النسائي والعجلي وغيرهما ، كان شديد الحفظ مات سنة (١٢٧هـ).

انظر التهذيب (٢/٢ ـ ٤).

(١) رواه الذهبي في« العلو » (٩٩ / مختصر) وقال : [إسناده صالح] .

وقال ابن القيم في «جيوشه» (ص ١٦٩): [قال محمد بن عثمان في رسالته : صح عنه أنه قال : « كان داود . . . » ساقه ثم قال ابن القيم : ورواه اللالكائي بإسناد صحيح عنه ، ورواه الإمام أحمد أيضاً في كتاب « الزهد »] .

وقال الشيخ الألباني في « مختصر العلو » (٣٠/١٠٠) : [أخرجه الإمام اللالكائي في « السنة » (٢/٩٢/١) وعنه ابن قدامة المقدسي في جزئه « إثبات صفة العلو لله تعالى » (ق ٢/١٦٢) ومن طريقه ساقه المصنف . . . وصححه المؤلف ـ أي الذهبي ـ عن ثابت البناني في « الأربعين » له (١/١٧٨)] .

وورد أن عباس العمي رحمه الله قال : « بلغني أن داود كان يقول في دعائه : اللهم أنت ربي تعاليت فوق عرشك وجعلت خشيتك على من في السموات والأرض » قال ابن القيم في « الجيوش » (ص ١٦٥) : [رواه إبن أبي شيبة في كتاب « العرش » بإسناد صحيح عنه] .

كما يدعي أهل الجهالة ، حيث يكفِّرون من يقول هذا الكلام ، وهم لا يفقهون الألفاظ إلا بالمعنى الذي يتداولونه بينهم .

فقوله (يا ساكن السماء) معناه (يا موجوداً في السماء) أو (يا متخذاً السماء حيثية وجودك) أي المكان اللائق باستقرارك وهذا اللفظ قبله العلماء وتلفظوا به ، على المعنى اللائق بالله ، فهؤلاء لقصر فهمهم ، لا يعرفون من السكن إلا ما اصطلحت عليه الناس ، أنها إذا دخلت في بيت أو منزل ، وقضت حياتها فيه ، سميت بذلك ساكنة ، فالجهال لم يفهموا سبب هذه التسمية ، ولم يفهموا أن قاطن البيت يسمى ساكناً لأنه موجود ومستقر فيه ، وغاب عن أذهانهم أن هذا اللفظ غير مختص ببيت أو منزل ، بل كل ساكن يكون سكنه بصفة تخصه ، كما قال الله تعالى :

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [1] .

فهل يقول الجاهلون : إن الله أنزل الماء وهيَّأ له بيتاً يأكل فيه ويشرب ، ويستظل وينام ويستريح ؟ فهذا ما لا يقوله عاقل .

قال الحسن البصري رحمه الله [*] .

---

(١) سورة المؤمنون الآية (١٨) .

(*) هو الحسن بن أبي الحسن ، يسار البصري ، تابعي كان إمام أهل البصرة ، قال ابن سعد : وكان الحسن جامعاً عالماً عالياً رفيعاً فقيهاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً .

ولد رحمه الله سنة (٢١هـ) وتوفي سنة (١١٠هـ) .

انظر الطبقات (١٥٦/٧ ـ ١٧٨) التذكرة (٧١/١) الوفيات (١٩/٢ ـ ٧٢) .

«سمع يونس عليه السلام تسبيح الحصا والحيتان ، فجعل يسبح ، وكان يقول في دعائه : يا سيدي في السماء مسكنك ، وفي الأرض قدرتك وعجائبك ، إلهي في الظلمات الثلاث حبستني ، فلما كان تمام الأربعين وأصابه الغم فنادى في الظلمات : ﴿**أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾» (١)(*) .

وقد قرأت في «الكتاب المقدس» من مزامير داود ، ما يؤكد رواية ثابت البناني ، وفي ذلك أنه كان عليه السلام يقول :

[إليك رفعت عيني يا ساكناً في السموات . .] (ترنيمة المصاعد : مزمور ١٢٣) وهذا لفظ قريب جداً من رواية ثابت رحمه الله ، وهو التابعي الجليل الذي أخذ عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وإيمانه بعلو ربه لم يكن إلا امتداداً لما كان معلوماً بالضرورة في وقته .

أما اليوم فإن أفراخ الجهمية ومخانيثهم ، غادوا ليجددوا عهد آبائهم الملحدين في أسماء الله وصفاته .

---

(١) قال ابن قيم الجوزية في « جيوشه » (ص ١٦٢) : [ذكره الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي في كتابه « إثبات صفة العلو » عنه بإسناد صحيح] ولفظ السكن قال به علماء منهم أبو الحسن الأشعري فقد قال رحمه الله : [ومن دعاء أهل الإسلام إذا هم رغبوا إلى الله يقولون : يا ساكن العرش] « الإبانة » (ص ٣٥ ـ ٣٦) .

(*) أخرجه ابن قدامة في «العلو» (٥٩) من طريق إسماعيل أنبأ إسحاق أنبأ سعيد عن قتادة عن الحسن به . وعلقه الذهبي في «العلو» (ص / ٥٥ ـ ٥٦) عن أبي حذيفة البخاري ـ وهو إسحاق المذكور في الإسناد ـ ثم قال : «أبو حذيفة كذاب». وقال في الأربعين .(ق ١٧٨/ب) إسناده صحيح .

(اثر عن مالك بن دينار)(*)

كان يقول رحمه الله :

«خذوا ، فيقرأ ويقول : اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه»[1](**) .

سبحان العلي الأعلى ! يقول مالك بن دينار : (اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه) وأنتم تقولون : (اسمعوا إلى من لا نعرف أين هو) .

(*) هو أبو يحيى مالك بن دينار البصري من موالي بني سامة بن لؤي القرشي ، كان عالماً زاهداً كثير الورع قنوعاً لا يأكل إلا من كسبه . معدود في ـ التابعين ومن أعيان كتبة المصاحف ، كان من ذلك بلغته . ولد في أيام إبن عباس ، توفي سنة ١٢٧هـ .

انظر وفيات الأعيان (٤/ ١٣٩ ـ ١٤٠) السير (٥/٣٦٣ ـ ٣٦٤) .

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/٣٥٨) وصححه الذهبي في « العلو » (١٣١/مختصر) وكذلك ابن القيم في « الجيوش » (ص ١٦٩) وحسنه شيخنا الألباني في « مختصر العلو » (١٣١/٩٥) .

(**) قلت : ومن طريق أبي نعيم أخرجه المقدسي في «العلو» (٨٦) وعلقه الذهبي في «العلو» (ص/ ١٣١) وذكره في «السير» (٥/٣٦٣).

والإسناد فيه سيار بن حاتم العنزي، قال فيه الحافظ في «التقريب» (١/٣٤٣) «صدوق له أوهام». قال شيخنا شامة الشام في «مختصر العلو» : «فمثله لا يصح إسناده، بل لعل القول بتحسينه لا يخلو من تسامح ، ولا بأس منه ـ إن شاء الله ـ في غير الأحاديث المرفوعة والله أعلم. أ.هـ.

قال ابن القيم :

(وكان مالك بن دينار وغيره من السلف يذكرون هذا الأثر :

«ابن آدم خيري إليك نازل وشرك إليَّ صاعد ، وأتحبب إليك بالنعم ، وتتبغض إلي بالمعاصي ، ولا يزال الملك الكريم يعرج إلي منك بعمل قبيح») (١)(*) .

---

(١) « الجيوش » (ص ٦٩ ـ ٧٠) وقال (ص ١٦٩) : [روى ابن أبي الدنيا عنه ـ أبي مالك ـ قال : قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول : ﴿ **يا ابن آدم ـ وساقه** ﴾] وقال في « شفاء العليل » (ص ٣٩٦) ط ١ ـ دار الكتب العلمية : [أثر حسن] .

(*) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤٣) وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٢/٣٧٧) وعنه كل من البيهقي في «الشعب» (٢/١/١٤٠) ـ التعليق على كتاب «الشكر») ، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» والمقدسي في «العلو» (٨٧) من طريق أبي علي المدائني ثنا إبراهيم بن الحسن عن شيخٍ من قريش يكنى أبا جعفر عن مالك بن دينار قال : قرأت في بعض . .

قلت : وإسناده ضعيف لجهالة شيخ إبراهيم بن الحسن وأورده الذهبي في «العلو» من طريق ابن أبي الدنيا وقال : «إسناده مظلم» وذكره في الأربعين (ق ١٧٥/ب) بصيغة التمريض بقوله : «ومن ذلك ما يُروى عن مالك بن دينار» .

(اثر عن مسروق بن الأجدع)(*)

كان رحمه الله إذا حدث عن عائشة قال :

«حدثتني الصدّيقة بنت الصدّيق ، حبيبة حبيب الله ، المبرّأة من فوق سبع سموات» (١)(**) .

(*) هو مسروق بن الأجدع - أبو عائشة - الوادعي الهمداني الكوفي الإمام القدوى العلم ، قال أبو بكر الخطيب : يقال أنه سُرق وهو صغير ثم وجد فسمي مسروقاً ، وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ . قال ابن سعد : كان ثقة له أحاديث صالحة . وقال ابن معين : مسروق ثقة لا يُسئل عنه . توفي سنة ٦٢هـ وقيل ٦٣هـ .

انظر السير (٤/٦٣ - ٦٩) الحلية (٢/٩٥ - ٩٨) تاريخ بغداد (١٣/٢٣٢) .

(١) قال الذهبي في « العلو » (١٢٨/مختصر) : [إسناده صحيح] وصححه ابن القيم في « الجيوش » (ص/١٦٣) .

(**) أخرجه المقدسي في «العلو» (٨٣) وعنه الذهبي في «السير» (٢/١٨١) وفي «العلو» (ص / ٩٢) من طريق أبي الفضل ابن خزيمة ثنا محمد بن أبي العوام ثنا موسى بن داود ثنا أبو مسعود الجرار عن علي بن الأقمر به . وصحح إسناده الذهبي وابن القيم .

قلت : بل إسناده ضعيف لأجل أبي مسعود الجرار وهو - عبد الأعلى بن أبي المساور - ضعفه ابن معين وابن المديني والبخاري والنسائي والدارقطني . انظر «سؤالات ابن أبي شيبة» (٣٣) و «التاريخ الكبير» (٣/٢/٧٤) و «الصغير» (٢/١٧١) و «الجرح» (٣/١/٢٦) و «المجروحين» (٣/١٥٦) و «ضعفاء الدارقطني» (٣٤٧) . قال الشيخ بدر البدر : ولكن الأثر صحيح ، فقد رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/٤٤) من طريقين آخرين أحدهما صحيح ، والآخر فيه حبيب بن أبي ثابت وهو مدلس وقد عنعن فيه . أ . هـ . التعليق على العلو للمقدسي (ص / ١١٠) .

(اثر عن شريح بن عبيد)(*)

كان يقول رحمه الله مناجياً ربه :

«ارتفع إليك ثغاء(**) التسبيح ، وصعد إليك وقار التقديس ، سبحانك ذا الجبروت بيدك الملك والملكوت والمفاتيح والمقادير» (1) .

(*) هو شريح بن عبيد المقرائي الحضرمي ، من أهل حمص ، قال الذهبي : صدوق ، قد أرسل عن خلق، توفي بعد سنة ١٠٨هـ.

(**) الثغاء ـ بالضم ـ هو صوت الغنم والظباء وغيرها عند الولادة ، والزقاء للصدى وصياح الديكة .

انظر الكاشف (٢/٨) .

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١/١٩) وقال ابن القيم في « الجيوش » (ص/١٧٠) : [بإسناد صحيح] . وقال الذهبي في « العلو » (١٢٩/مختصر) : [إسناده صحيح] .

(اثر عن مجاهد بن جبير)(*)

قال رحمه الله في قوله تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهوات﴾ (١) .

«هم في هذه الأمة يتراكبون كما تتراكب الحمر والأنعام في الطرق ،ولا يستحيون الناس في الأرض،ولا يخافون الله في السماء»(٢)(**) .

وهو القائل رحمه الله في تفسير ﴿استوى﴾: «علا على العرش»(٣)(***) .

(*) هو مجاهد بن جبير المكي، أبو الحجاج مولى بني مخزوم ، تابعي مفسر من أهل مكة أخذ التفسير عن ابن عباس ولد سنة ٢١هـ وتوفي سنة ١٠٤هـ .

انظر السير (٤/٤٤٩ ـ ٤٥٧) التهذيب (١٠/٤٢ ـ ٤٤) الشذرات (١/١٢٥) .

(١) سورة مريم الآية (٥٩).

(٢) ذكره ابن القيم في «الجيوش» (ص ١٦١) وقال : [رواه الهيثم بن خلف الدوري في كتابة «تحريم اللواط».

(**) قلت : لكن الصحيح أن هذا الأثر من قول أبي تميم بن مهاجر كما في تفسير الطبري (١٥/٧٥)، قال الطبري : حدثني الحارث، قال ثنا الأشيب، قال ثنا شريك، عن أبي تميم بن مهاجر في قول الله ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة﴾. قال: هم في هذه الأمة يتراكبون تراكب الأنعام والحمر في الطرق لا يخافون الله في السماء ولا يستحون في الأرض. أ. هـ.
أما الأثر الذي رواه الطبري عن مجاهد فهو قوله ـ أي مجاهد ـ عند قيام الساعة وذهاب صالحي أمة محمد ﷺ ينزو بعضهم على بعض في الأزقة. أ. هـ. تفسير الطبري (١٥/٧٥) والتفسير المنسوب لمجاهد (١/٣٨٧). ثم استدركت فقلت أخرجه الطبري في «تفسيره» والدوري في «تحريم اللواط» (ص / ١٢٥) رقم (١) من طريق شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد وفي إسناده شريك قال فيه الحافظ : صدوق يخطىء كثيراً تغيرحفظه منذ ولي القضاء بالكوفة وابراهيم صدوق لين الحفظ. والأثر أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/٢٠٦) وزاد السيوطي في الدر (٤/١٧٧) نسبته لعبد بن حميد.

(٣) ذكره البخاري في « صحيحه » (١٣/٤٠٣ ـ فتح) .

(***) علقه البخاري في «صحيحه» (١٣/٤٠٣) وقال الحافظ : وصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه . وذكره ابن القيم في «جيوشه» (ص / ٢٥٦) والذهبي في «الأربعين» (ق ١٧٥ / أ) .

(اثر عن أيوب السختياني)[*]

قال حماد بن زيد : سمعت أيوب السختياني ـ وذكر المعتزلة ـ وقال :

«إنما مدار القوم على أن يقولوا : ليس في السماء شيء» [1] .

(*) وهو أيوب بن أبي تميمة السختياني ، أبو بكر البصري مولى عنزة ، ويقال مولى جهينة . ولد سنة (٦٦هـ) قال النسائي ثقة ثبت مات سنة (١/٣٩٧ ـ ٣٩٩).

انظر السير (٦/١٥ ـ ٢٦) التهذيب (١/٣٩٧ ـ ٣٩٩) .

(١) رواه الذهبي في « العلو » (١٣٢/م) وقال : [هذا إسناد كالشمس وضوحاً ، وكالأسطوانة ثبوتاً عن سيد أهل البصرة وعالمهم].

(اثر عن سليمان التيمي)(*)

عن صدقة : قال : سمعت سليمان التيمي ، يقول :

«لو سئلت : أين الله ؟ لقلت : في السماء» (١)(**) .

(*) هو سليمان بن طرخان التيمي ، أبو المعتمر البصري ، نزل في بني تيم فقيل التيمي ، قال علي بن المديني : له نحو مائتي حديث . وقال شعبة : ما رأيت أصدق من سليمان التيمي رحمه الله كان إذا حدث عن النبي ﷺ تغير لونه . توفي بالبصرة سنة ١٤٣هـ ، وله من العمر ١٧ سنة .

انظر السير ((٦/١٩٥ ـ ٢٠٢) الجرح (٤/١٢٤ ـ ١٢٥) .

(١) ذكره البخاري في « خلق أفعال العباد » (ص ١٥) ـ ط ١ ـ مؤسسة الرسالة ـ وأخرجه اللالكائي في « السنة » (٢/٩٢) وذكره الذهبي في « العلو » (١٣٣/م) .

(**) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٦٤) وابن أبي خيثمة في «تاريخه» كما في («اجتماع الجيوش» ص/١٢٩) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٦٧١) والمقدسي في «العلو» (٩١) من طريق ضمرة بن ربيعة عن صدقه به .

وذكره ابن القيم في «الصواعق المرسلة» (٤/١٣٠٢) و «جيوشه» (ص/١٢٩ و٢٦٨ ـ ٢٦٩) وعزاه في الموقع الأول لابن أبي خيثمة وفي الثاني للبخاري .

وقال الشيخ بدر البدر في تعليقه على «العلو للمقدسي» إسناده حسن . أ . هـ .

(اثر عن الإمام الأوزاعي)(*)

قال رحمه الله تعالى :

«كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول : إن الله عز وجل فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته» (١) .

(*) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي إمام أهل الشام قيل أنه أجاب في سبعين ألف مسألة وكان ممن لا يخاف من الله لومة لائم ولد ببعلبك سنة ٨٨هـ وقيل ٩٣هـ ونشأ بالبقاع ثم نقلته أمه إلى بيروت، وبها توفي سنة ١٥٧هـ.

انظر وفيات الأعيان (١٢٧/٣ ـ ١٢٨) الحلية (١٣٥/٦ ـ ١٤٩) .

(١) أخرجه البيهقي في « الأسماء » (ص ٤٠٨) وقال الذهبي في « العلو » (١٣٧/م) : [روى أبو عبد الله الحاكم عن الأوزاعي : . . . وساقه] وقال في « مختصره » : [ورواته أئمة ثقات وصححه في « تذكرة الحفاظ » (١٨١) وقال شيخ الإسلام في « العقيدة الحموية » (ص ٤٣١ ج ١ ـ مجموعة الرسائل الكبرى) : [إسناده صحيح] ومثله قال ابن القيم في « الجيوش » (ص ٦٩) وقال أيضاً « في صواعقه » (ص ٣٥٩/م) : [ورواته كلهم أئمة ثقات] وذكره ابن حجر في « الفتح » (٤٠٦/١٣) وقال : [أخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي . . .] .

(اثر عن جرير الضبي)[*]

قال رحمه الله وهو شيخ إسحق بن راهويه :

«كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم ، وإنما يحاولون أن يقولوا : ليس في السماء إله»[1] .

(*) هو جرير بن عبد الحميد بن قرط الرازي الضبي ، محدث الري في عصره رحل إليه المحدثون لسعة علمه ، كان ثقة ، ولد بالري سنة ١١٠هـ وتوفي بها سنة ١٨٨هـ وهو كوفي الأصل .

انظر التذكرة (١/٢٥٠) تاريخ بغداد (٢٥٣/٧) الميزان (١/١٨٢) .

(١) رواه الذهبي في « العلو » (١٥١/م) وقال الألباني (١٥١/١٣٠) : [وهذا إسناد جيد] قال ابن القيم في « الجيوش » (ص ١٣٧) [رواه ابن أبي حاتم غي كتاب « الرد على الجهمية »] .

(اثر عن عبدالله بن المبارك)(*)

قال رحمه الله وهو شيخ الإسلام وإمام أهل الدنيا في زمنه :

«لا نقول كما قالت الجهمية : إنه في الأرض ههنا ، بل على العرش استوى . . . وإنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية» .

وسئل رضي الله عنه :

«كيف نعرف ربَّنا عز وجل ؟ قال : في السماء السابعة على عرشه ـ وفي لفظ ـ فوق سمواته على عرشه ـ وفي لفظ ـ فوق سبع سموات على العرش» (1) .

(*) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي مولى بني حنظلة كان قد جمع بين العلم والزهد ، تفقه على يد الثوري ومالك وروى عنه الموطأ وكان شديد الورع محباً للخلوة . ولد بمرو سنة ١١٨هـ وتوفي بهِيْت مدينة على الفرات وهو منصرفاً من الغزو سنة ١٨٢هـ .

انظر وفيات الأعيان (٣/٣٢ ـ ٣٤) الحلية (٨/١٦٢ ـ ١٩٠) .

(1) رواه البخاري في « خلق أفعال العباد » (ص ٨ ـ ٩ مؤسسة الرسالة) معلقاً وأخرجه عبد الله بن أحمد في « السنة » (رقم ٢٥٦ دار الكتاب العربي) والدارمي في « النقض » (ص ٢٤ و ١٠٣) وفي « الرد » (ص ٥٠) وصححه شيخ الإسلام في « الحموية » (ص ٣٠ دار الكتب العلمية) وقال إبن القيم في « جيوشه » (ص ٧١ دار الكتب العلمية) : [رواه الدارمي والحاكم والبيهقي وغيرهم بأصح إسناد] وقال (ص ١٣٣) : [وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر] وصححه الذهبي في « العلو » (١٥١/م) وقال الألباني (١٥٢/١٣١) : [فهو صحيح كما قال المؤلف رحمه الله هنا . وقال في « مختصره » : هذا صحيح ثابت عن إبن المبارك وأحمد رضي الله عنه] .

(اثر عن عبد الرحمن بن مهدي)(*)

قال رحمه الله تعالى :

«ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم ، يدورون على أن يقولوا : ليس في السماء شيء ، أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا» (١)(**) .

(*) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم ، أبو سعيد البصري ، ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث ، قال الشافعي : لا أعرف له نظير في الدنيا ولد سنة ١٣٥هـ وتوفي سنة ١٩٨هـ .

انظر الحلية (٩/٣) تاريخ بغداد (١٠/٢٤٠) .

(١) رواه ابن أبي حاتم في « الرد على الجهمية » كما قال شيخ الإسلام في « الحموية » (ص/٣١) ورواه عبد الله بن أحمد في « السنة » (رقم/١٤٤) بهذا اللفظ ، وصححه ابن القيم في « الجيوش » (ص/١٣٤) والذهبي في « العلو » (١٦٩/م) .

(**) ذكره ابن تيمية في «الحموية» (ص/٣٥) وابن القيم في «الصواعق المرسلة» (٤/١٢٩٥ - ١٢٩٦) وعزاه لعبد الله بن أحمد في «السنة» ولابن أبي حتم في «الرد على الجهمية» وفي «جيوشه» (ص / ٢١٤ ـ ٢١٥) وقال : روى عنه غير واحد بإسناد صحيح . وذكره الذهبي في العلو (ص / ١٦٩) وقال : نقل غير واحد بإسناد صحيح . وفي «الأربعين» (ق ١٧٥ / أ) وأخرج بعضه كل من البخاري في «خلق أفعال العباد» (٧٥) وأبو داود في «المسائل» (ص / ٢٦٢) وعبدالله بن أحمد في السنة (٤٤) و (٤٨) والبيهقي في «الأسماء» (ص / ٢٤٩) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٥٠٥).

(اثر عن وهب بن جرير)[*]

قال عليه رحمة الله :

«إياكم ورأي جهم ، فإنهم يحاولون أنه ليس شيء في السماء ، وما هو إلا من وحي إبليس ، وما هو إلا الكفر» [1] .

(*) هو وهب بن جرير بن حازم المحدث، أبو العباس الأزدي مولاهم البصري، أحد الأثبات ، روى عنه أحمد وإسحاق وخلق كثير توفي منصرفاً من الحج سنة ٢٠٦هـ.

(١) رواه الذهبي في « العلو » (١٧٠/م) وصححه ابن القيم في « الجيوش » (ص ١٣٥) وعلقه البخاري في « خلق أفعال العباد » (ص ٨) بلفظ : [الجهمية الزنادقة إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى] .

(اثر عن أبي معمر القطيعي)(*)

قال رحمه الله ـ وهو من شيوخ البخاري ومسلم ـ :

«آخر كلام الجهمية : أنه ليس في السماء إله» (١) .

وأثر عنه قوله : «لو نطقت بغلتي لقالت إنها سنية» (٢) .

(*) هو أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي نسبة إلى قطيعة الدقيق ، من أهل بغداد عالم بالحديث ، وكان مسند العراق في عصره . ولد سنة ٢٦٤هـ وتوفي سنة ٣٦٨هـ . من مصنفاته : القطيعات في الحديث ـ ٥ أجزاء .

انظر طبقات الحنابلة (٢/ ٦ ـ ٧) .

(١) رواه الذهبي في « العلو » (١٨٨/م) وذكره ابن القيم في « الجيوش » (ص/١٣٨) .

(٢) ذكره الذهبي في « العلو » (١٨٨/م) .

(اثر عن أبي النون المصري)

سئل رحمه الله :

«ما أراد الله سبحانه بخلق العرش ؟ قال : أراد أن لا يتوه قلوب العارفين»[1] . ويقصد أنه سبحانه فوق العرش ، يعرفه بذلك العباد ، فلا يتوهون كما تاهت هذه العصابة الحمقاء ، لا تدري شيئاً عن وجهة معبودها .

---

(١) رواه أبو القاسم التيمي في كتاب « الحجة » كما ذكر ابن القيم في « جيوشه » (ص/١٠٧) .

(اثر عن بشر الحافي ـ الزاهد)[*]

كان يقول عليه رحمة الله :

«إني لأرفع يدي إلى الله ثم أردهما وأقول : إنما يفعل هذا من له جاه عند الله» [1][**] .

(*) هـو بشر بن الحارث بن عبـد الرحمٰن بن عـطاء بن هـلال المـروزي ، أبـو نصر المعـروف بالحافي ، كان من كبار الصالحين وأعيان الأتقياء الـورعين ، أصله من مـرو ، وسكن بغداد ، كان مولده سنة ١٥٠هـ وتوفي سنة ٢٢٦هـ وقيل ٢٢٧هـ .

انظر الوفيات (١/٢٧٤) الحلية (٨/٣٣٦) تاريخ بغداد (٧/٦٧) .

(١) قال ابن القيم في « جيوشه » (ص/١٧١) [صح عنه] .

(**) قـال الذهبي في «العلو» (ص / ١٨٥) : لـه عقيدة رواهـا ابن بطة في كتـاب «الإبانـة» وغيره، فمما فيها «والإيمان بأن الله على عرشه استوى كما شاء وأنه عالم بكل مكـان ، وأنه يقـول ويخلق فقوله (كن) ليس بمخلوق. أ. هـ.

(اثر عن الإمام الرباني محمد بن أسلم)(*)

قال رحمه الله :

«قال لي عبدالله بن طاهر : بلغني أنك ترفع رأسك إلى السماء . فقلت : ولِمَ وهل أرجو الخير إلا ممن هو في السماء؟» (١) .

رحمه الله ما أروع جوابه ، وما أشبه فعله بسنة رسول الله ﷺ الذي كان يرفع رأسه إلى ربه عند اهتمامه بالأمر .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ :

«كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء ، وإذا اجتهد في الدعاء قال : يا حي يا قيوم» (٢) .

(*) هو محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد أبو الحسن الكندي مولاهم الطوسي اشتهر بالصلاح من حفاظ الحديث من كتبه « المسند » و « الرد على الجهمية » و « الإيمان والأعمال » في الرد على الكرامية ، قال أبو حاتم : محمد بن أسلم ثقة توفي سنة ٢٤٢هـ .

انظر الشذرات (٢/١٠٠) الجرح (٧/٢٠١) .

(١) رواه الذهبي في « العلو » (٢٠٨/م) وقال الألباني (٢١٠/٢٣٤) [إسناده جيد] .

(٢) رواه البخاري (٣٥٢٤) والترمذي (٣٧٧٣) .

(اثر عن عاصم بن علي)(*)

قال رحمه الله ـ وهو شيخ أحمد والبخاري ـ :

«ناظرت جهماً فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن في السماء ربا» (١)(**) .

(*) هو عاصم بن علي بن عاصم بن صهيب التيمي بالولاء ، أبو الحسين ، من حفاظ الحديث الثقات ، من أهل واسط مولداً ووفاة . نزل بغداد وحدث بها بمسجد الرصافة ، وهو من شيوخ البخاري قال الذهبي : كان من أئمة السنة ، قولاً بالحق احتج به البخاري . توفي سنة ٢٢١هـ.

انظر تذكرة الحفاظ (٣٥٩/١) الميزان (٤/٢) تاريخ بغداد (٢٤٧/١٢) .

(١) ذكره الذهبي في «العلو» (ص / ١٧٩م) بهذا اللفظ ورأيته عند ابن تيمية في «الحموية» (ص ٣١) وابن القيم في «جيوشه» (ص ١٣٦) بلفظ «ناظرات جهمياً» والله أعلم هو الأصح . فمناظرة جهم قام بها علي بن عاصم كما عند عبدالله بن أحمد في «السنة» (رقم ١٧٩) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (ص٩) وابن القيم في «الجيوش» (ص١٣٥) وصححه وذكر أن ابن أبي حاتم في «الرد على الجهمية» ذكره مع أثر آخر .

(**) ذكر ابن القيم عقب كلام عاصم كلام ابن تيمية في الجهمية فقال : «وقال شيخ الإسلام : كان الجهميون يدرون على هذا ولم يكونوا يصرحون به لوفور السلف والأئمة وكثرة أهل السنة فلما بعد العهد وانقرض الأئمة صرح أتباعهم بما كان أولئك يشيرون إليه ويدرون حوله ، قال : وهكذا ظهرت البدع كلما طال الأمر وبعد العهد إشتد أمرها وتغلظت» . أ . هـ .

(اثر عن محمد بن مصعب العابد)

قال رحمه الله ـ وهو شيخ بغداد في زمنه ـ :

«من زعم أنك لا تتكلم ولا تُرى في الآخرة ، فهو كافر بوجهك ، أشهد أنك فوق العرش ، فوق سبع سموات ، ليس كما يقول أعداء الله الزنادقة »[1] .

(١) أخرجه الدارقطني وعنه الخطيب في « التاريخ » (٣/ ٢٨٠) وأخرجه عبد الله بن أحمد في « السنة » (رقم ١٩٧) وذكره الذهبي في « العلو » (١٨٣/م) وقال الألباني (١٨٦/١٨٣) : [الإسناد صحيح وقد صححه المؤلف في « مختصره »] .

(أثر عن الإمام الترمذي)[*]

قال رحمه الله : :

«قال أهل العلم : وهو على العرش ، كما وصف نفسه في كتابه» [1] .

(*) هو محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، أحد العلماء الحفاظ الأعلام أخذ الحديث عن جماعة من أئمة الحديث ولقي الصدر الأول من المشايخ ، مثل : قتيبة بن سعيد ، وسفيان بن وكيع ، والبخاري ، وغيرهم وأخذ عنه خلق كثير ، له مصنفات منها : كتاب الصحيح والعلل . توفي رحمه الله بترمذ سنة ٢٧٩هـ .

انظر الفهرست لإبن النديم (ص ٣٢٥) .

(١) جامع الترمذي (٢٢٦/٢) .

(اثر عن الإمام علي بن عيسى الشبلي)

دخل أبو بكر الشبلي رحمه الله دار المرضى ليعالج ، فدخل عليه الوزير علي بن عيسى عائداً ، فقال الشبلي :

«ما فعل ربك ؟ قال : الرب عز وجل في السماء يقضي ويمضي ، فقال :

سألت عن الرب الذي تعبده - يريد الخليفة المقتدر - لا عن الرب الذي لا تعبده» (1) .

---

(1) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٦٧/١٠) ومن طريقه الذهبي في « العلو » (٢٤٣/م) وقال الألباني (٢٨٠/٢٤٤) : [إسناده صحيح] .

(اثر عن ـ راهبة ـ أم عثمان الطفاوي)

«لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت : يا ذخري وذخيرتي ومن عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي ، لا تخذلني عند الموت ولا توحشني في قبري» [1] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب « القبور » (باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء) وذكره ابن القيم في « الروح (ص ١٢ ط ١ دار الكتب العلمية) .

(اثر عن أبي نصر السجزي)

قال رحمه الله - وهو الحافظ الحجة - :

«أئمتنا كسفيان الثوري ، ومالك ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وسفيان بن عينية ، والفضيل وابن المبارك ، وأحمد ، وإسحق متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش ، وعلمه بكل مكان ، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا ، وأنه يغضب ، ويرضى ، ويتكلم بما شاء» [1] .

(١) « الإبانة » لأبي نصر ، أنظر « العلو » للذهبي (٢٦٦/م) .

مذهب الأئمة الأربعة

(مذهب الإمام أبي حنيفة) (*)

قال الحافظ الذهبي : وبلغنا عن أبي مطيع الحكم بن عبدالله البلخي صاحب «الفقه الأكبر» قال :

«سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض . فقال : قد كفر ، لأن الله تعالى يقول : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ وعرشه فوق سمواته . فقلت : إنه يقول : أقول على العرش استوى ، ولكن قال لا يدري العرش في السماء أو في الأرض . قال : إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر»[1] .

(*) هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي فقيه العراق وأحد أئمة الإسلام ، والسادة الأعلام ، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة ، أدرك عصر الصحابة ورأى أنس وغيره ، وروى عن جماعة من التابعين قال الثوري وابن المبارك كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه ولد سنة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٥٠هـ على القول الصحيح .

انظر الوفيات (٥/٤٠٥ ـ ٤١٥) البداية والنهاية (١٠/١٠٧) .

(١) « العلو للعلي الغفار » (١٣٦/م) وقال : [رواها صاحب الفاروق] وقال أيضاً ابن أبي العز في « شرح الطحاوية » (ص ٢٨٨) : [رواه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه الفاروق بسنده إلى البلخي] وكذا قال ابن القيم في « الجيوش » (ص ٧٤) .

وقال ابن أبي العز الحنفي :

«وزاد غيره - أي غير صاحب الفاروق - : لأن الله في أعلى عليين ، وهو يدعى من أعلى لا من أسفل»[1] .

وإني أذكر حادثة حصلت لي مع بعض أدعياء العلم من هؤلاء المتجهمين ، إذ جاء مع طائفة عظيمة من أصحابه ليناظرني في مسجد السلطان عبد الحميد البلدي ، وكان مما احتج به سؤال أبي مطيع لأبي حنيفة (سألت أبا حنيفة عمن قال : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ؟ فقال : قد كفر) ثم توقف عند هذا الحد ، وراح يشرح ذلك بأن قصد أبي حنيفة من تكفيره كونه ظن أن لله مكاناً ، فقاطعته أمام الجميع قائلاً : أكمل لماذا قطعت كلام الإمام ؟ فردَّ قائلاً متلعثماً ، وعلى وجهه علامات الحيرة : إن هذا ما أريده من كلام أبي حنيفة .

فقلت له : يقول الله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ فما رأيك لو سكت عند هذا الحد ، فسكت وبهت وقامت عليه حجة أمام جميع السامعين ثم انتقل الكلام والدور إلى غيره ، بعد أن أعلن عدم تمكنه من الإستمرار .

قلت : وهذا الذي قام به ، لم يكن منه اجتهاداً بل تقليداً ، لأن كتاب «الفقه الأكبر» كثرت عليه الشروح ، ومنها شرح «أبي منصور الماتريدي الذي ينتمي إليه أكثر الحنفية في العقيدة.

---

(1) « شرح الطحاوية » (ص ٢٨٨) وقصد بقوله (وزاد غيره) ما ورد في كتاب « الفقه الأكبر » وهو الذي ينسب إلى أبي حنيفة ولا علاقة له به ، كما ينسبون إليه « كتاب الوصية » وليس هو له أيضاً بل لشخص آخر يدعى (أبو حنيفة) .

قال شيخنا ، حافظ العصر ، الإمام محمد ناصر الدين :

(وجمهورهم ـ أي الأحناف ـ فيها من المؤولة ، فترى أبا منصور هـذا قد تأول قول أبي حنيفة المذكور في الكتاب وفي «الفقه الأكبر» تأويلاً يعود إلى إفساد كلام أبي حنيفة وإخراجه عن جماعة السلف في عدم التأويل ، فقال في تأويل قوله رحمه الله :

«فقد كفر» قال (ص ١٩ طبع مصر) :

«لأنه بهذا القول يوهم أن يكون له مكان فكان مشركاً» ! ولم يلتفت إلى تمام كلامه المبطل لتأويله وهو قوله رحمه الله :

«لأن الله تعالى يقول : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾» .

قلت : فهذا صريح في أن علة كفره إنما هو إنكاره لما دلت هذه الآية صراحة من استعلائه سبحانه على عرشه ، لا لأنه يوهم أن له تعالى مكاناً) (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية .

(ففي هـذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه ، أنه كفَّر الواقف الذي يقول : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ، فكيف يكون النافي الجاحد الذي يقول : ليس في السماء ولا في الأرض ؟ واحتج على كفره بقوله **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** قال : وعرشه فوق سبع سماوات . وبيَّن بهذا أن قوله تعالى : **﴿الرحمن**

---

(١) «مختصر العلو» (١٣٦/١٠٣) .

على العرش استوى﴾ بيَّن أن الله فوق السماوات ، فوق العرش ، وأن الإستواء على العرش دل على أن الله نفسه فوق العرش ، ثم إنه أردف ذلك بتكفير من قال : إنه على العرش استوى، ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض ، قال : لأنه أنكر أنه في السماء ، لأن الله في أعلى عليين ، وإنه يدعى من أعلى لا من أسفل . وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء ، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل . وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية، فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله في العلو ، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل)[1].

فانظر ـ هداني وإياك الله ـ كيف آل الغلو بهذا المؤول إلى تحريف حتى أقوال العلماء ، ولذا فلا تأبه بكل من ينتسب إلى الفقهاء ، فإن من بينهم كثيراً من أهل الأهواء ، كما نرى في عصرنا هذا الكوثري المريسي ، الذي سار على خطوات أسياده الأوائل ، فرمى أصحاب الصدق والعفة بمقذوفات القدح والذم ، حتى أخرج بتجهمه بعض كبار العلماء من دائرة الإسلام ، وظن أنه وحده المتربع على عرش التوحيد ، وهذا ليس بمستغرب على مثل من وصف ربه بقول أفلاطون وأرسطاطاليس .

قال ابن أبي العز رحمه الله بعد ذكر قول أبي حنيفة في العلو :

(ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة ، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم ، مخالفون له في كثير

---

(١) « الفتوى الحموية الكبرى » (ص ٢٨ ـ ٢٩) .

من اعتقاداته»[1] . فقد عرفت عقيدة أبي حنيفة ، فلا تحد عن الحق ، ولا تكفر بربك العلي .

قال الحافظ الذهبي :

(سمعت القاضي الإمام تاج الدين عبد الخالق بن علوان قال : سمعت الإمام أبا محمد عبدالله بن أحمد المقدسي مؤلف «المقنع» رحم الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه ، يقول : بلغني عن أبي حنيفة رحمه الله قال : «من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر»)[2] .

ويروى عن أبي حنيفة رحمه الله ـ من طريق واهٍ ـ أنه :

«جاءته امرأة من ترمِذ ، كانت تجالس جهماً ، فدخلت الكوفة . . . فقيل لها : إن ههنا رجلاً قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة ، فأتته فقالت : أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك ؟ أين إلهك الذي تعبده ؟ فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ، ثم خرج إليها وقد وضع كتاباً : الله تبارك وتعالى في السماء دون الأرض .

فقال له رجل : أرأيت قول الله عز وجل : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ قال : هو كما تكتب إلى الرجل : (إني معك) وأنت غائب عنه»[3] .

---

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٢٨٨ ط ٨ ـ المكتب الإسلامي) .

(٢) « العلو للعلي الغفار » (ص ١٣٧/م) .

(٣) رواه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٥٤٠ دار الكتب العلمية) وأشار إلى ضعف القصة . والحق معه ففي سندها أبو عصمة وهو نوح بن أبي مريم ، وقد اتهم بالوضع . وهذه القصة ذكرها ابن القيم في « جيوشه » (ص ٧٣) والذهبي في « العلو » (١٣٥/م) دون ذكر تضعيف البيهقي بقوله : « إن صحت الحكاية عنه » .

فعلق الإمام البيهقي على هذه القصة فقال :

«لقد أصاب أبو حنيفة رضي الله عنه فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الأرض ، وفيما ذكر من تأويل الآية ، وتبع مطلق السمع في قوله : إن الله عز وجل في السماء»[1].

* * *

(١) « الأسماء والصفات » (ص ٥٤٠) .

(مذهب الإمام مالك بن أنس)(*)

قال عبدالله بن نافع : قال مالك بن أنس رضي الله عنه :

«الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء» (١) .

(*) هو شيخ الإسلام إمام دار الهجرة أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني. أحد الأئمة الأربعة الأعلام أصحاب المذاهب المتبوعة ولد سنة ٩٣هـ على القول الصحيح وتوفي سنة ١٧٩هـ، سمع الزهري ونافعا مولى ابن عمر رضي الله عنهما وروى عنه الأوزاعي ويحيى بن سعيد وجماعة انظر الوفيات (٤/ ١٣٥ ـ ١٣٩) والسير (٨/ ٤٨ ـ ١٣٥).

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في « السنة » /(رقم ٢٠٣) وأبو داود في « المسائل » (ص ٢٦٣) والآجري في « الشريعة » (ص ٢٨٩) واللالكائي في « شرح أصول السنن » (ق ١/ ٢/٩٢) وقال ابن القيم في « الجيوش » (ص ٧٥) : [ذكره أبو عمرو بن عبد البر في كتاب « التمهيد »] وقال شيخنا الألباني في « مختصر العلو » (١٤٠/ ١١٠) : [وسنده صحيح] .

(مذهب الإمام الشافعي (*))

قال رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مثواه :

«القول في السنة التي أنا عليها ، ورأيت عليها الذين رأيتهم ، مثل سفيان ومالك وغيرهما ، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الله على عرشه في سمائه ، يقرب من خلقه كيف شاء ، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء . . وذكر سائر الإعتقاد» (١) (**) .

ها هي عقيدة الإمام الشافعي الذي ينتسب إليه هؤلاء السفهاء ، تخالف ضلالاتهم ، وتوافق مذهب أهل السنة والجماعة .

(*) هو عبد الله محمد بن أدريس الشافعي المطلبي القرشي يجتمع مع الرسول ﷺ في عبد مناف ، إمام الأئمة ، إعتبره الإمام أحمد مجدد المائة الثانية . وقد اتفق العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورعه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه . ولد رحمه الله سنة ١٥٠هـ بمدينة غزة وتوفي سنة ٢٠٤هـ بالقرافة الصغرى بمصر .

انظر تاريخ بغداد (٢/٥٦) والوفيات (٤/١٦٣ - ١٦٩) الحلية (٩/١٩٣ - ١٦٤) .

(١) ذكره الذهبي في « العلو » (١٧٦/م)وقال : [رواه شيخ الإسلام أبو الحسن الهكاري ، والحافظ أبو محمد المقدسي بإسنادهما إلى أبي ثور وأبي شعيب ، كلاهما عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي] وذكره ابن القيم في « الجيوش » (ص ٩٣) وانظر « عون المعبود » (١٣/٤١) و « طبقات الحنابلة » (١/٢٨٣) .

(**) وأخرجه ابن قدامة في «العلو» رقم (١٠٨) قال الشيخ بدر البدر في تعليقه على «العلو» للمقدسي (ص / ١٢٤) إسناده ضعيف.

وإنك لتعجب منهم ، بل من ندائك إياهم : (يا شافعية) لأنهم خالفوا الشافعي والشافعية ، ومن عقيدة الأئمة والعلماء الشافعيين أنهم على مذهب السلف ، يؤمنون بعلو الله تعالى . ومنهم :

* الإمام الكبير إمام الشافعية في وقته إسماعيل بن يحيى المزني (*) ، فمن ضمن رسالته في السنة التي رواها أبو طاهر السلفي عنه بإسناده قال :

(السميع البصير ، العليم الخبير ، المنيع الرفيع ، عالٍ على عرشه) (١) .

* الإمام الحجة ، حجة الإسلام ابن الحداد الشافعي (**) ، قال رحمه الله :

(*) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني صاحب الشافعي وهو من أهل مصر ، وكان زاهداً عالماً مجتهداً له مصنفات كثيرة في مذهب الإمام الشافعي ، منها « الجامع الكبير » و « الصغير » و « المنثور » و « الوثائق » .

قال فيه الشافعي : المزني ناصر مذهبي .

توفي رحمه الله سنة (٢٦٤)هـ بمصر بالقرافة الصغرى وله من العمر ٨٩ سنة .

انظر الوفيات (١/٢١٧ - ٢١٩) طبقات السبكي (١/٢٣٨) .

(١) « اجتماع الجيوش الإسلامية » (ص/٩٥) .

(**) هو عبد الله بن الحسن بن أحمد الأصبهاني ، الحداد ، أبو نعيم ، محدث حافظ ، سمع ونسخ الكثير ولد سنة (٤٦٣هـ) وتوفي سنة (٥١٧هـ) من آثاره أطراف الصحيحين .

انظر السير (١٩/٤٨٦ - ٤٨٨) التذكرة (٤/٥٩) الشذرات (٤/٥٦) .

(إنه سبحانه مستو على عرشه وفوق جميع خلقه كما أخبر في كتابه وعلى ألسنة رسله) (٢) .

* إمام الأئمة ابن خزيمة ، وهـو من الشافعيـة الحديثيـين ، أي أجلهم ، قال :

(عـلا ربنا فكـان فوق سبـع سمواتـه عاليـاً ، ثم عـلى عـرشـه استوى ، يعلم السر وأخفى) (٢) .

وكان رحمه الله من المتشددين في حمل السنة ، حتى قال :

(من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته ، بـائن من خلقه ، فهو كافر يستتـاب ، فإن تـاب وإلا ضربت عنقه ، وألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة) (٣) .

* الإمام أبو القاسم التيمي ، وهو إمام الشافعية في زمنه قال في كتابه «الحجة في بيان المحجة» :

(فصل في بيان أن العرش فوق سبع سموات ، وأن الله سبحانه وتعالى فوق العرش) (٤) .

---

(١) نفس المصدر السابق (ص/١٠٣) .

(٢) التوحيد (ص/٣) دار الكتب العلمية .

(٣) رواه الحـاكم كما قـال الـذهبي في « العلو » (٢٢٥/م) وقـال الألبـاني (٢٢٦/ ٢٦٠) : [أخـرجه الهـروي أيضاً في « ذم الكـلام » (٦/١٢٤/ ٢) من طريق أخـرى عن ابن هانيء ، والظاهر أنه ثقة] وقال شيخ الإسلام في « الحموية » (ص ٣١ دار الكتب العلمية) : [ذكـره عنه الحاكم بإسناد صحيح] ويقصد ابن تيمية بقوله (عنه) أي عن ابن خزيمة.

(٤) « اجتماع الجيوش » (ص/١٠٦) .

* الفقيـه المحدث من أئمـة أصحـاب الشـافعي ، الإمـام أبـو عمـرو عثمان السهـروردي رحمه الله(*) ، وهـو من أقـران البيهقي وأبي عثمان الصابوني ، قال :

(ومن صفـاتـه تبـارك وتعـالى فـوقيتـه واستـواؤه عـلى عـرشـه بذاته) [1] .

* فقيـه نيسابـور ، إمـام الشـافعيـة في وقتـه ، أبـو بكـر محمـد التميمي رحمه الله تعالى ، قال :

(لا أصـلي خلف من ينكر الصفـات . . ولا يقر بـأن الله تعـالى فوق عرشه بائن من خلقه) [2] .

وقال لأبي المظفر السمعاني بنيسابور :

(إن أردت أن يكون لك درجة الأئمة في الدنيا والآخـرة فعليك بمذهب السلف الصالح ، وإياك أن تداهن في ثلاث مسائل :

مسـألة القـرآن ، ومسألـة النبوة ، ومسـألة استـواء الرحمن عـلى العرش) [3] .

* إمام الشافعية في وقته ، سعـد بن علي الـزنجاني ، قـال رحمه الله :

(*) هو الإمام أبو عمـرو عثمان بن أبي الحسن بن الحسـين السهروردي ـ وقيـل الشهرزودي ـ فقيه محدث من أئمة أصحاب الشافعي ، له كتاب في أصول الـدين . وكلام ابن القيم آخـذه من هذا الكتاب .

(١) نفس المصدر (ص/١٠٩) .

(٢) (٣) نفس المصدر (ص/١١٠ ـ ١١١) .

(وهو فوق عرشه بوجود ذاته) [1] .

فهؤلاء هم الشافعية ، أصحاب الشافعي الـذي كان رضي الله عنه يقول : «خلافة أبي بكر الصديق حق قضاه الله في السماء ، وجمـع عليه قلوب عباده» [2] .

* * *

(١) نفس المصدر (ص/١١٨) .

(٢) « الفتوى الحموية » (ص/٣١) .

(مذهب الإمام أحمد بن حنبل)(*)

هو الإمام الأعظم ، إمام أهل السنة ، الذي شهدوا له بالجنة ، هو قامع البدعة وبطل المحنة ، رضي الله عنه وأسكنه فردوسه الأعلى . ومن غير المستحسن أن يسطر عنه الكلام لإثبات اعتقاده لعلو ربه ، لأنه عنده كالمعلوم بالضرورة ، ولا يخفى على ذي عينين أو أذنين ما كان منه رضي الله تعالى عنه ، من جهاده ضد الجهمية ، حتى لاقى في سبيل القرآن وإثبات صفات ربه ، أشد التنكيل ، وليس ههنا المقام لذكر هذا المقال .

قيل له رحمه الله :

«الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال : نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه» (1) .

(*) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الإمام المشهور في الفقه والحديث ونصره الإسلام إمام أهل السنة والجماعة ، أعز الله به السنة وقمع به البدعة وفضائله لا تحصر .

قال فيه ابن المديني : إن الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث أبي بكر يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة . ولد سنة (١٦٤هـ) وتوفي سنة (٢٤١هـ) .

انظر تاريخ بغداد (٤/٤١٢ ـ ٤٢٣) طبقات الحنابلة (١/٤ ـ ٢٠) طبقات الحفاظ (ص/١٨٦) الجرح والتعديل (١/٢٩٢ ـ ٣١٣) .

(1) رواه الخلال في « السنة » كما قال ابن القيم في « الجيوش » (١٢٣) والذهبي في « مختصره » وقال الشيخ الألباني في « مختصر العلو » (١٩٠/١٩٨) : [فالإسناد صحيح] .

وقال في رده على الجهمية :

«وقد أخبرنا أنه في السماء ، فقال : ﴿أأمنتم من في السماء﴾ وقال تعالى : ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ فهذا خبر من الله أنه في السماء» [1] .

* * *

فهذه هي الأمة من أولها إلى آخرها ، تؤمن بربها العالي العلي ، خاصة وعامة ، حتى انبنت الشريعة على هذا الأصل .

قال ابن رشد :

«وشريعة الإسلام مبنية على أن الله في السماء ، ومنه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين ، ومن السماء أنزلت الكتب» [2] .

ويكفي تسفيهاً لأحلامهم ، ما وقع من بعض أئمة العلم ، وأنه راح يحتج عليهم بإيمان الدواب بعلو الله تعالى ، كما فعل شيخ الإسلام العلامة ابن قيم الجوزية في كتابه القيم «اجتماع الجيوش» ، إذ ذكر ما رواه الدارقطني في «سننه» من حديث أبي هريرة مرفوعاً :

«خرج نبي من الأنبياء يستسقي ، فمرَّ بنملة مستلقية على ظهرها ، رافعة يديها إلى السماء تَسْتَسقي ، فقال لأصحابه : ارجعوا

---

(١) « كتاب الرد على الزنادقة والجهمية » لابن حنبل (ص ٤١) .

(٢) « مناهج الأدلة » لابن رشد (ص ١٧٦ ط الإنجلو المصرية) .

فقد سقيتم» ونقل رحمه الله ما رواه الطبراني عن الزهري ، وهو والطحاوي والإمام أحمد عن أبي الصديق الناجي ، قال :

«خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي بالناس ، فمر على نملة مستلقية على قفاها ، رافعة أحد قوائمها إلى السماء وهي تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ، ليس بنا غنى عن رزقك ، فإما أن تسقينا أو تهلكنا . قال سليمان عليه السلام للناس : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم» هذا اللفظ لأحمد .

وقال رحمه الله :

(وأحرى بهذه النملة وأخواتها من النمل أن يكونوا أعرف بالله من الجهمية) [1](*) .

وذكر في موضع آخر شيئاً عن الأنعام ، فقال :

(وفي هذاب قصة حمر الوحش المشهورة التي ذكرها غير واحد : «أنها انتهت إلى الماء لترده ، فوجدت الناس حوله ، فتأخرت عنه ، فلما جهدها العطش رفعت رأسها إلى السماء ، وجأرت إلى الله سبحانه بصوت واحد ، فأرسل الله سبحانه عليها السماء بالمطر حتى شربت وانصرفت .

وذكر شيخ الإسلام الهروي بإسناده عن عبدالله بن وهب قال :

---

(١) « اجتماع الجيوش » (ص ٢١٠) .

(*) وعزاه ابن القيم في «جيوشه» (ص / ٣٢٩) للطحاوي والطبراني . وانظر الغيلانيات (ص / ٧٧ جـ /٦ ـ خ ـ ف ٢/٤٩٧ جامعة الملك سعود ـ التعليق على اجتماع الجيوش).
واخرجه الدارقطني في سننه (٢/٦٦) عن أبي هريرة .

«أكرموا البقر فإنها لم ترفع رأسها إلى السماء منذ عبد العجل حياءً من الله عز وجل» . . [*] .

والمقصود أن هذه فطرة الله التي فطر عليها الحيوان حتى أبلد الحيوان الذي نضرب ببلادته المثل وهو البقر) [1] .

فعليه رحمة الله ، ما أجمل كلماته ، وما أوقعها في نفوس الخصوم . وقد ذكرني هذا الكلام في هذا المقام بحادثة طريفة ، حصلت معي بالمعاينة ، مما يثبت هذه الفطرة عند الحيوان :

كنت أنا وابن عم لي في طريقنا إلى المسجد في إحدى الجمع ، فإذا به يصرخ وينادي ويقول : أنظر . فشدني صراخه ونداؤه ، فعندما نظرت رأيته يدلني على فرخ دجاج ، يشرب الماء ويرفع رأسه إلى السماء ، والمضحك في ذلك أنه قال لي بطريقة لطيفة : يا أبا مسلم ، أين هم حتى يكفروه ؟ ويقصد هذه الحثالة التي نتكلم عنها ، وقد أثرت في هذه الحادثة ذلك اليوم ، حتى كدت من كثرة تذكري لها أن أفقد جمعتي .

* * *

(*) العظمة لأبي الشيه (ص / ٢٤٣ ـ التعلق على اجتماع الجيوش) .

(١) نفس المصدر (ص ٢١٢) .

(الشعر)

ومن الشعر الذي نطق به قائلوه مخبرين عن علو بارئهم تعالى :

* ما يروى عن الصحابي الجليل **عبدالله بن رواحة**(*) أنه قال :

شهدتُ بأنَّ وعدَ الله حقٌّ ... وأن النارَ مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش ربُّ العالمينا

وتحمله ملائكة شدادٌ ... ملائكة الإله مسوّمينا[1] (**)

* قول حسان بن ثابت (***)، شاعر النبي ﷺ ، قال :

(*) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن إمرىء القيس بن ثعلبة الأمير السعيد الشهيد أبو عمرو الأنصاري الخزرجي البدري النقيب الشاعر ، وكان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدراً وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة سنة (٨هـ) بأرض الشام .

انظر الأصابة (٢/٢٩٨) الإستيعاب (٢/٢٨٤ ـ ٢٨٨) .

(١) رواه ابن عبد البر في « الإستيعاب » (٣/٩٠١) وقال : [رويناه من وجوه صحاح] وانظر « الجيوش » (ص ٦٤) وقال ابن القيم (ص ١٩٧) : [صح عنه] وصححه غيرهما ، ولكن لم نجد حتى الآن تلك الوجوه التي تثبته . وقد رواه الدارمي في « الرد على الجهمية » (ص ٢٧) وابن عساكر في « تاريخه » (ص ٣٤٠ ـ ٣٤١) والذهبي في « السير » (١/٢٣٨) .

(***) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري ، أبو الوليد الصحابي شاعر رسول الله ﷺ ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام عاش ٦٠ سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام ، توفي في المدينة سنة ٥٤هـ .

انظر الأصابة (١/٣٢٦) .

(**) انظر الملحق رقم (١٢) .

شهــدتُ بــإذن الله أن محمــداً رسولُ الذي فوق السموات من عُلُ[1]

* ما يروى عن الكافر أمية بن أبي الصلت(*) ، الذي شهد النبي له بإيمان الشعر وكفر القلب ، قال :

مجِّـدوا الله فهـو للمجـد أهـلٌ ربنـــا في الســماء أمسى كـبيــرا
بـالبناء الأعـلى الـذي سبق الخلـ ـق وسوَّى فوق السماء سريرا(**)

ومن قوله في دالية :

عليه حجاب النـور والنور حـوله وأنهار نــورٍ حــولــه تــتــوقَّــدُ
فــلا بشرٌ يسمـو إليــه بـطرفــه ودون حجـاب النور خلق مؤيّـدُ

---

(١) رواه ابن سعـد في « طبقـاتـه » وانـظر الجيـوش (ص/٦٠ و ١٩٧) وشرح الطحـاويــة (ص/٢٨٢) .

(*) هـو أمية بن عبـد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عـوف الثقفي ، شـاعـر جـاهـلي ، حكيم من أهـل الطائف ، كـان كثير العجـائب ، يذكـر في شعره خلق السـماوات والأرض ، ويذكر الملائكة ، ويذكر في ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء ، وكان قد شامَّ أهل الكتاب .

قـال ابن قتيبة : وكـان يحكي في شعره قصص الأنبيـاء ، ويأتي بـألفاظ كثـيرة لا تعرفهـا العرب ، يأخذها من الكتب المتقدمة ، وبأحاديث من أحـاديث أهل الكتـاب ، ثم سرد شيئاً منها ، ثم قال : وهذه أشياء منكرة ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة في اللغة . ولما بلغه خروج رسول الله ﷺ وقصتُه ، كفـر حسداً لـه ، ولما أنشـد رسول الله شعـره ، قال : آمن لســانه ، وكفر قلبه .

انـظر الشعـر والشعـراء (ص/٤٥٩) طبقـات فحــول الشعـراء (١/٢٦٢ ـ ٢٦٧) ، تهــذيب ابن عســاكــر (٣/١١٨ ـ ١٣١) ديـوان أميــة (ص/٣٣٩ ـ ٤٠٠) الـطحــاويــة (٢/٣٦٧) .

(**) انظر الملحق رقم (١٣) .

وفيها وصف الملائكة :

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه   يعظِّمُ رباً فوقه ويمجِّدُ (١)

* قول العباس بن مرداس السلمي(*) للنبي ﷺ :

شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا   عن الحق لما أصبح الحق مظلما
تعالى علواً فوق سبعٍ إلهنا   وكان مكان الله أعلى وأعظما (٢)

* قول إسماعيل بن فلان الترمذي ينشد أحمد بن حنبل وهو في السجن (**) :

تبارك من لا يعلم الغيب غيره   ومن لم يزل يثنى عليه ويذكرُ
علا في السموات العلى فوق عرشه   إلى خلقه في البرّ والبحر ينظرُ

قال ابن القيم في «جيوشه» (ص ١٩٩) :

(وهي من أحسن القصائد ، لم ينكرها أحد من أهل الحديث ، بل أثنوا على ناظمها ومدحوه) .

---

(١) « اجتماع الجيوش » (ص/١٩٩) .

(*) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي ، أبو الهيثم ، من مصر ، شاعر وفارس من سادات قومه ، أمه الخنساء . أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم قبل فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم توفي سنة (١٨هـ) في خلافة عمر رضي الله عنه .

انظر الأصابة ( ) التهذيب (٥/ ١٣٠) تهذيب إبن عساكر (٧/ ٢٥٥) .

(٢) نفس المصدر (ص/١٩٨) .

(**) هذه هي القصيدة أنشدها إسماعيل بن فلان للإمام أحمد بن جنبل في محبسه . قال إبراهيم بن إسحاق البعلي أخذت هذه القصيدة من أبي بكر المروذي وذكر أن إسماعيل بن فلان الترمذي قالها وأنشدها أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وهو في سجن المحنة . اجتماع الجيوش (ص / ٣١١) وانظر «مناقب أحمد» لابن الجوزي (ص / ٤٢٥ ـ ٤٢٨).

* قول يحيى بن يوسف الصرصري الأنصاري رحمه الله (*) :

من عينيته :

تواضع لربِّ العرش علَّك ترفعُ ... فقد فاز عبد للمهيمن يخضعُ
وداوِ بذكر الله قلبك إنهُ ... لأعلى دواء للقلوب وأنفعُ

إلى أن قال :

سميعٌ بصيرٌ ماله في صفاته ... شبيه ، يرى من فوق سبعٍ ويسمعُ
قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه ... ومن علمه لم يخلُ في الأرض موضعُ (١)

ومن رائيته :

ونؤمن أن العرش من فوق سبعة ... تطوف به أملاكه وتدورُ
قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه ... تقدَّس كرسيٌّ له وسريرُ
هو الله ربي في السماء محجَّب ... وليس كمخلوق حوته قصورُ
إليه تعالى طيب القول صاعدٌ ... وينزل منه بالقضاء أمورُ
لقد صح إسلام الجويرية التي ... بأصبعها نحو السماء تشيرُ (٢)

(*) هو يحيى بن يوسف الأنصاري ، أبو زكريا جمال الدين الصرصري ، شاعر من أهل صرصر ، وهي بلدة على مقربة من بغداد ، سكن بغداد ، وكان ضريراً ، ولد رحمه الله سنة (٥٨٨هـ) وتوفي سنة (٦٥٦هـ) حتى قتله التتار يوم دخلوا بغداد ، وحمل إلى صرصر ودفن فيها ، له ديوان شعر ومنظومات في الفقه وغيره ، منها « الدرة اليتيمة والحجة المستقيمة » .

انظر ذيل طبقات الحنابلة (٢/٢٦٢) البداية (٣/٢١١) النجوم الزاهرة (٧/٦٦) ذيل مرآة الزمان (١/٢٥٧ ـ ٣٣٢) .

(١) « اجتماع الجيوش » (ص ٢٠٠) .

(٢) نفس المصدر (ص ٢٠١) .

قلت :

رحمه الله ما أروع شعره ، فوالله إنه لينضح بالحق ، ويدل على سيرة صاحبه العطرة ، أسكنه الله فسيح جنانه .

وقد قال في لاميته التي نظمها في اعتقاد الشافعي :

ومذهبه في الإستواء كمالك وكالسلف الأبرار أهل التفضلِ
وقل مستوٍ بالذات من فوق عرشه ولا تقل استولى ، فمن قال يبطلِ
فذاك الذي ضد يقابل قسوةً لذي خطْلٍ راو لغث وأخطل
وقد بانَ منه خلقه وهو بائن من الخلق ، يحصي للخفي وللجلي
وأقرب من حبل الوريد مفسراً وما كان في معناه بالعلم فاعقلِ
علا في السماء الله فوق عباده دليلكَ في القرآن غير مقلَّلِ
وإثبات إيمان الجويرية اتخذ دليلاً عليه مسندٌ غير مُرسَلِ (١)

ويقول رحمه الله في لاميته التي يهجو بها ابن خنفر الجهمي الخبيث :

وزعمت أن الحنبليَّ مجسِّم حاشا لمثل الحنبليِّ يمثِّلُ
بل يورد الأخبارَ إذ كانت تصحـ ـحها الرواة عن الثقات وتنقلُ
إن المهيمن ليس تمضي ليلة إلا وفي الأسحار فيها ينزلُ
قد قالها خير الورى في صحبه لم ينكروا هذا ولم يتأولوا
وتقبلوها مع غزارة علمهم أفأنت أم تلك العصابة أعقلُ (٢)

---

(١) نفس المصدر (ص ٢٠٢) .

(٢) « اجتماع الجيوش » (ص ٢٠٣) .

وقال في داليته التي يهجو بها الرافضة والجهمية :

والجاحد الجهمي أسوء منهما	حالاً وأخبث في القياس وأفسدُ
أمسى لرب العرش قال منزهاً	من أن يكون عليه ربٌّ يعبدُ
وإذا ذكرت له على العرش استوى	قال هو استولى يحيد ويخلدُ
فإلى من الأيدي تمدّ تضرعاً؟!	وبأي شيء في الدجى يتهجدُ؟!
ومن الذي هو للقضاء منزلٌ؟!	وإليه أعمال البرية تصعدُ؟!
فمن الذي أولى بأخذ كلامه؟	جهمٌ أم الله العليُّ الأمجدُ؟! [1]

وهي قصيدة طويلة رائعة ، لا مثيل لها .

قال ابن القيم رحمه الله عن الصرصري :

(حسَّان السنة في وقته ، المتفق على قبوله ، الذي سار شعره مسيرة الشمس في الآفاق ، واتفق على قبوله الخاص والعام أي اتفاق ، ولم يزل ينشد في المجامع العظام ، ولا ينكره أحد من أهل الإسلام . . الإمام في اللغة والفقه والسنة والزهد والتصوف)[2] .

قلت : فعلاً إن شعره يدل على تبحره في الدين ، ونظره في الكتاب والسنة ، وكذا أقوال السلف ، حتى ما نطق بيتاً إلا كان دالاً على آية أو حديث أو إمام ، فعليه رحمة الله الواسعة .

---

(١) نفس المصدر (ص ٢٠٦) .

(٢) نفس المصدر (ص ٢٠٠) .

* قول الجنّ (*) :

دخل الحافظ أبو مسلم الكجي(**) إلى حمام :

«فقال للحمامي : أَدَخل أحد ؟ قال : لا ـ قال ـ : فدخلت ، فساعة فتحت الباب ، قال لي قائل : أبو مسلم أسلم تسلم .

ثم أنشأ يقول :

لك الحمد إما على نعمة وإما على نقمة تدفعُ
نشاء فتفعل ما شئته وتسمعُ من حيث لا تُسمعُ

قال : فبادرت وخرجت ، وأنا جزع ، فقلت للحمامي : أليس زعمت أنه ليس في الحمام أحد ؟ قال : ذاك جني يترايا لنا في كل حين ، وينشدنا فقلت : هل عندك من شعره شيء ؟ قال : نعم ، وأنشدني :

أيها المذنبُ المفرطُ مهلا كم تمادى وتكسب الذنب جهلا

(*) والمقصود به هنا الجن المؤمنون المثبتون : قال تعالى **﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾** [الجن / ١ ـ ٢]. فأخبروا أنه يهدي إلى الرشد وأعظم الرشد الذي يهدي إليه معرفة الله سبحانه وإثبات صفاته وعلوه على خلقه ومباينته لهم إذا بذلك يتم الاعتراف به وإثباته ، ونفي ذلك نفي له ولصفاته .

(**) هو أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله بن مسلم الكجي البصري ، ولد حوالي سنة ٢٠٠هـ ، ويوصف بأنه صاحب السنة ، وقد مدحه البحتري بقصيدة توفي ببغداد سنة ٢٩٢هـ .

انظر تاريخ بغداد (٦/١٢٠ ـ ١٢٤) الشذرات (٢/٢١٠) .

كم وكم تسخط الجليــل بفعــلٍ سمـجٍ وهو يحسن الصنـعَ فضلا
كيف تهدأ جفونُ من ليس يدري أرضي عنه من على العرش أم لا »[1]

* قول العلامة أبي الحسن الكرجي الشافعي ، في عقيدته :

عقيدة أصحاب الحديث فقد سمت بـأربـاب دين الله أسنى المـراتبِ
عقــائــدهم أن الإلــه بــذاتــه على عرشــه مع علمـه بالغـوائبِ
وأن استـواء الربِّ يعقـل كـونـه ويجهل فيه الكيفُ جهل الشهاربِ

قال الإمام الذهبي في «العلو» (٢٥٥ / م) :
(وعـلى هـذه القصيـدة مكتـوب بخط العـلامـة تقي الـدين بن الصلاح :
[هــذه عقيــدة أهــل السنــة وأصحــاب الحــديث]) وقــال (٢٨١ / م) :
(وكان ناظمها الكرجي من كبار الفقهاء الشافعية) .

* قول محدث بغداد أبي بكر بن أبي داود[*] ، قال رحمه الله :

وقـل ينـزل الجبــار في كـل ليلةٍ بلا كيف، جلَّ الـواحدُ المتمـدّحُ

---

(١) رواه الخطيب في « التاريخ » (١٢٢/٦) وعنه الـذهبي في « العلو » (٢٢١ ـ ٢٢٢/م) وقال الألباني في « مختصر العلو » (٢٥٨/٢٢٢) : [إسناد هذه القصـة إلى الكجي صحيح ، رجاله ثقات] .

(*) هو أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني ، ولـد سنة (٢٣٠هـ) كـان من بحور العلم والحفاظ المتقنين ، وثقه الدارقطني وغيره ، من تصانيفه « السنن » و « المصاحف » و « البعث والنشور » . توفي سنة (٣١٦هـ) .
انـظر « السير » (٢٢١/١٣ ـ ٢٣٧) العـبر (١٧٠/٢) « تاريـخ أصبهـان » (٦٦/٢) « المنتظم » (٢١٨/٦ ـ ٢١٩) .

إلى طبق الدنيا يمنُّ بفضله فتفرج أبواب السماء وتفتحُ
يقول : ألا مستغفر يلقَ غافراً ومستمنح خيراً ورزقاً فيمنحُ
روى ذاك قومٌ لا يردُّ حديثهم ألا خاب قومٌ كذبوهم وقبّحوا[1]

* قول إمام القرّاء أبي عمرو الداني[*] في أرجوزته :

كلامه وقوله قديمْ وهو فوق عرشه العظيمْ[2]

* قول الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله .

إن من يرحم أهل الأرض قد آن أن يرحمه من في السما
فارحم الخلق جميعاً إنَّما يرحم الرحمنُ منا الرُّحما[3]

* قول الإمام ابن القيم في نونيته :

والله أكبرُ، ظاهرٌ ما فوقه شيء وشأن الله أعظم شانِ

---

(1) رواه الذهبي في « العلو » / ٢٢٩/م) وقال : [هذه القصيدة متواترة عن ناظمها ، رواها الآجري وصنف لها شرحاً ، وأبو عبد الله بن بطة في « الإبانة »] .

(*) هو أبو عمر عثمان بن سعيد بن عمر ، الأموي مولاهم ، القرطبي ثم الداني . المعروف في زمانه بابن الصيرفي ، وانفرد بروكلمان فذكر في نسبته (المنيري) . ولد سنة (٣٧٢هـ) وابتدأ في طلب العلم سنة (٣٨٦هـ) صاحب رحلات كثيرة برع في الحديث والفقه واللغة وخاصة في القراءات ، من مؤلفاته : « اختلاف القراء في الثلاث » مجلد و « الأصول » « السنن الواردة في الفنن » . توفي سنة (٤٤هـ) .

انظر معرفة القراء الكبار للذهبي (٤٠٦/١) العبر (٢٠٧/٣) طبقات المفسرين للداودي (٣٧٣/١) السير (٧٧/١٨) .

(2) ذكره الذهبي في « العلو » (٢٦٧/م) .

(3) انظر « أربعون حديثاً من رياض الجنة ـ لعبد الباقي البعلي الحنبلي ـ ومعه منح المنة لعبد العزيز الغماري » (ص ١٠) ط ١ ـ دار البشائر الإسلامية .

والله أكبرُ عرشه وسع السـما   والأرض والكرسيَّ ذا الأركانِ
وكذلك الكرسيُّ قد وسع الطبا   قَ السبع والأرضين بالبرهانِ
والله فوق العرش والكرسيِّ لا   تخفى عليه خواطر الإنسانِ [1]

هكذا كما رأيت ، فإن الشعراء لم يُحرموا من الثواب العظيم ، عندما أرسلوا ألسنتهم فيهم وفي تحقير اعتقاداتهم الباطلة ، وإنك لتعجب من أن شعراء الجاهلية أثبتوا علو ربهم ، وهؤلاء عطلوا ونفوا !

فعنترة بن شداد كان أعلم بالله منهم حيث قال :

يا عبلُ أين من المنيَّة مهربي؟   إذ كان ربي في السماء قضاها [*]

وقد نظمت بعون الله تعالى قصيدة ، رددت فيها على زعيم هؤلاء اليوم ، عبدالله الحبشي ، ذكرت فيها مثالبه الظاهرة من قبح مذهبه ، وهي تبلغ نيِّفا وثمانين بيتاً ، سأذكر منها بعض المقتطفات لضيق المقام :

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جاءنا الحبشيُّ العبدريْ الهرري   بدين جهمٍ فصار الدينُ في خَطَرِ
يا ليته كان ينوي خيرَ أمتنا   لكنه فرَّقَ الإخوانَ في الأُسَرِ
وهمُّه لعنُ شيخِ الأمةِ السلفي   مجاهدِ الشركِ، لا بل هازمِ التترِ
وهو ابن تيميَّةَ المكتوبُ من دمِهِ   تاريخه ضدَّ عبدِ البدعةِ القذرِ

(١) « القصيدة النونية » (ص/١٠) مع شرحها ـ توضيح المقاصد (٢/٤٤٦ ـ ٤٤٧) المكتب الإسلامي .
(*) ديوان عنترة (ص / ٧٤) واجتماع الجيوش (ص / ٣٢٢) .

بـل كفَّـر العلماءَ الصـالحـينَ بمـا … قـد أثبتـوا من كـلام الله والنُّـذُرِ

سمَّى الضلالات علماً ثم قال عن … الكلام: علم ضروري، قلت: بل ضرري

أتبـاعُهُ عـوِّدوا التسليمَ واعجبـاً! … كأنهم معـه مـوسى مـعَ الخضرِ

ظنـوه نـوحـاً دعـاهم في سفينته … قلنـا لهم: تلك ألـواحٌ بـلا دُسُرِ

قـد ردَّ فـوقيَّـة الـرحمنِ مجتـرئـاً … على الكتاب وما قد صحَّ من خَبَرِ

بل أنكر الحقَّ عَدْواً غير مكتـرثٍ … مع أنَّ ذاك من المركـوز في الفطرِ

فكيف تهـربُ من هذا وقـد ذكرَ … استواءُ ربِّك في سبعٍ من السُوَرِ

كـرسيُّه وسـع الأرضين والـطبقا … تِ، إنهُ موضعُ الرجلينِ وهْو حَري

للعرش فضلٌ على الكرسيِّ وهْوَ كذا … فضلَ الفلاة على بعضٍ من الظُّفُرِ

وربُّنـا القـادرُ الأعـلى عليـه قـد … استوى، وليس سريرُ الله كالسُرُرِ

عـلى العلوِّ دليـلٌ، قـولـه أأَمنْـ … ـتُمُ الذي في السما من وطأة النُّذُرِ(١)

قالوا: ملائكة، والحق يُعجزهم … فإنه الله، هـذا قـالـه الـطبـري

* * *

فوقية الربِّ، يا من يعتدي صفةٌ … فـأمَّةُ الله إبـراهيم حـين أُري(٢)

بين السمواتِ والأرضين راحَ يرى … ومـا تكلم عن نبتٍ ولا شجـرِ

لأنـه طـلبَ المـعبـودَ قطُّ مـن … الأعلى، فقارن بين الشمسِ والقمرِ

* * *

---

(١) أي من شدة الإنذارات.

(٢) في هذه الأبيات إشارة إلى الآيات (٧٥ إلى ٧٨) من سورة الأنعام، ففي قول بعضهم أن إبراهيم كان في حالة البحث والتقصي، ولكننا لسنا مع هذا الرأي، بل نرى أنه كان يقصد اتباع منهج في الدعوة يلزم به قومه، وهذا لا يمنع من إيرادنا ذلك الرأي.

وحـالُ فرعـونَ معْ هـامانَ يـأمره   أن يبنيَ الصرحَ نفياً منـه من كبَرِ
ومـا البنـاءُ لغـير الإرتقـاء إلى   ربِّ السموات قَصْدَ القتلِ والقَهَرِ
فصوَّب السهم نحو العرش مدّعياً   أن الإلـهَ بهـذا غـيرُ مـنـتصرِ

* * *

العبـدُ إن همَّ فـالـرحمنُ ينـظره   من فوق سبع وكم يرجو من اليُسُرِ
يقول: عنه اصرفوا هذا ملائكتي   لئن أيُسِّرْ لـه أدخلتـه سُعُـري [1]

* * *

يا سعدُ أبشرْ فقد أيَّدتَ ذا شرفٌ   فالله يشهدُ أن ما جئتَ بالنُّكُرِ [2]
لقد حكمت بحكم الله فوق سريـ   رِهِ الـذي في السما في هـذه الزُّمَـرِ

* * *

وحينـما صفعت للشـاة جـاريـةٌ   قـال الرسـول: إليَّ البنتُ أختبـرِ
فعندما جاوبَتْ عن «أين» أعتقها   لقـولهـا: في السـما والله لم يَـثُرِ
بل قال: مؤمنة هذي التي نطقت   هل عندكم مانعٌ من قوله العطرِ؟

* * *

(١) إشارة إلى أثر ابن مسعود الذي مرَّ معنا (ص / ٣٠٦).

(٢) إشارة إلى قوله ﷺ : « لقد حكمت عليهم بحكم الملك من فوق سبع سموات » إسناده حسن رواه النسائي والبيهقي في « الأسماء والصفات » وأصله في « الصحيحين » وقوله « من فوق سبع سموات » انفرد بها راويها وشذَّ.

هذي عروسُ السما زوج الرسول بها لَمَّا قضي يا أخي زيدٌ من الوَطَرِ
تقــولُ: أنتنَّ أهلوكــنَّ زوجكــنَّ أما أنا قـال ربي: زينبُ افتخري
سبحانه في السما لا الأرض أنكحني من فوق سبع سموات حكى خبري

* * *

قول الخليفة صـديق الرسـول به عـلى العلو دليـلٌ وهْـوَ في السِّيَرِ
محمــد مـات إن شئتم عبـادته وربنــا في السـما حيٌّ بــلا عُمُـرِ

* * *

وهـا حـديثٌ روى إسنــاده عَلَمٌ أن ينزل اللهُ ربُّ العرش في السَّحَرِ

* * *

والأمرُ من ههنا هذي الإشارة نحْـ ـوَ العرشِ وِجْهَتُها من إصبعٍ عُمَري

* * *

وعنـدما رُمِيَتْ بـالإفك عـائشـةٌ بـراءةٌ أنزلت من فـوقٍ بـالـطُّهُـرِ
وكـان هـذا ابنُ عبــاسٍ يـردِّدُهُ أمـامها يـوم كانت وضـعَ مُحتَضَرِ

* * *

(يا ساكنـاً في السما) داودُ قـال به (إليـكَ أرفعُ رأسي حـالَ مُفْتَقِرِ)
عن ثــابتٍ ثـابتٌ هــذا وتقـرؤه إن شئتَ يا منكراً للفوق في الزُبُرِ

* * *

والعجل مذ شعب إسرائيل أن عبدوا بـدا الحيـاءُ من الأبقـارِ فـاعتَبِـرِ

ومنـذ ذلـك لم يـرفـعْ لهـا نـظرٌ إلى السماءِ فكنْ في العلمِ كالبَقـرِ

* * *

وأذكُرُ الوحشَ يا هذا وأعجبُ أنَّ الفـوقَ يثبتـه جمـعٌ من الحُمُـرِ
إذ عندما منعت من شربها جأرت بـرفعهـا فـاستجـاب الله بـالمـطرِ

* * *

وتلك نملةٌ استسقت بـرفـعهـا إلى السـماء فهـلاَّ كنتَ كـالحَشَرِ

* * *

ربي إليـه أكفُّ الناس قـد رُفِعَتْ تـدريـه أين وأمـا أنتَ في حَـيَرِ
وبـالبَنَـانِ أشـارت نحـو بـارئهـا وأنت قلت لمن أغـويت: لا تُشِرِ
قـام الدليـل على مـا كنت تنكره والآن لم يبقَ من عـذرٍ لمعتـذرِ
الـدينُ فلسفـة اليـونـان عنـدهُمُ ودينُنـا نحن نصُّ الآيِ والأثـرِ
فالشرعُ وحيٌّ من الرحمن خالقنـا بالنقلِ يؤخـذ لا بالعقـل والفِكِرِ

* * *

ونحن قد ذكرنا كل هـذه النصوص ، وأقـوال العلماء ، حتى ولم نعرض عن أقوال الشعراء ، بل ولا فـطرة الدواب ، كـل ذلك لنشـير إلى أن الأمة من أولها إلى آخـرها مؤمنـة بكتاب ربهـا وسنة نبيِّهـا إيمانـاً راسخـاً ، وأنها تأخـذ بمقتضى الظاهـر ، الـذي هي مـأمـورة بـه دون سواه ، وهذه الصفة (صفة العلو) لا تحتاج إلى دليل نصي أصلاً ، لأن الإيمان بها هو فطرة مـركوزة في نفـوس الخلائق ، إنسهـا وجنها ، حتى أن الدواب والطيور كلها مفطورة على علوه سبحانه ، وإن الإنسان إذا

لم يعرف أين وجهة معبوده ، بردت عزيمته في العبادة ، واحتار ولم يدر كيف يتوجه إليه ، وفي ذلك يقول الإمام الجويني (*) رحمه الله بعد أن هداه الله إلى الصواب :

(ومن لا يعرف ربه بأنه فوق السماء على عرشه ، فإنه يبقى ضائعاً ، لا يعرف وجهة معبوده ، لكن ربما عرفه بسمعه وبصره وقدمه ، وتلك بلا هذا معرفة ناقصة بخلاف من عرف أن إلهه الذي يعبده فوق الأشياء ، فإذا دخل في الصلاة وكبَّر توجَّه قلبه إلى جهة العرش منزهاً له تعالى . . . ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه ، وهو معهم بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته وقدرته ومشيئته ، وذاته فوق الأشياء ، فوق العرش ، ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أشرق قلبه واستنار ، وأضاء بأنوار المعرفة والإيمان ، وعكفت أشعة العظمة على قلبه وروحه ونفسه ، فانشرح صدره ، وقوي إيمانه ، ونزه ربه عن صفات خلقه ، من الحصر والحلول ، وذاق حينئذ شيئاً من أذواق السابقين المقربين) [1] .

وهكذا قال رحمه الله ، فإنه فعلاً أصاب الحق ، وحرك

(*) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، نسبة إلى جوين ، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور ، من أعمال خراسان . ولد سنة (٤١٩هـ) كان إمام الحرمين من دم عربي أصيل ، أخذ عن والده الكثير من مسائل الفقه ، وكان صاحب فصاحة عالية ، له مصنفات كثيرة بلغت ما يقرب من ثمانية وعشرين كتاباً في فنون متنوعة من الدين . توفي سنة (٤٧٨هـ) .

انظر طبقات الشافعية للسبكي (٣/٢٥٢) والكامل لإبن الأثير (٩/٢٢٧) .

(١) « إثبات الإستواء والفوقية » (١/١٨٥ ـ المجموعة المنيرية) وانظر « النصيحة » (ص ٥٠ ـ ٥١ ط ٣ ـ مكتب إسلامي) .

القلوب ، كيف لا وهو الذي رجع عن الكلام رجوع الهارب من النار ، وأدرك أن الضلال في كلام الفلاسفة والمناطقة ، فأعرض عنه بعد الجنوح إليه ، والله يهدي من يشاء .

وكذلك ابنه **أبو المعالي** رحمه الله ، كان في باديء أمره ، لا يقول بالعلو تأثراً بأهل الكلام والجدل ، إلا أن القصة المشهورة التي حصلت معه ، جعلته يرجع إلى الفطرة والأصل .

وهي قصة لها وقع في قلب كل من يسمعها ، فقد ذكر محمد بن طاهر المقدسي محدث الصوفية في كتابه عن الشيخ أبي جعفر الهمداني : «انه حضر مجلس أبي المعالي الجويني ، وهو يقول : كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان عليه ، وكلاماً من هذا المعنى فقال : يا شيخ ! دعنا من ذكر العرش . أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ، فإنه ما قال عارف قط : يا الله ، إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو ، ولا يلتفت يمنة ولا يسرة ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا ؟ قال : فصرخ أبو المعالي ، ولطم على رأسه ، وقال : حيرني الهمداني ، حيرني الهمداني»(١) .

وهذا الذي حدث معه ، حرَّك في نفسه الفطرة ، وكان السبب في رجوعه ، وعندما دخلوا عليه وهو في مرض موته ، قال لمن هم عنده :

(إشهدوا عليَّ أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها ، وأخالف فيها

---

(١) « اجتماع الجيوش » (ص ١٧٤) و « العلو » للذهبي (٢٧٦ ـ ٢٧٧/م) وقال الشيخ الألباني : [وإسناد هذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ] « مختصر العلو ٢٧٧/٣٠٨ » .

مـا قال السلف الصـالح ، وإني أمـوت عـلى مـا تمـوت عليـه عجـائـز نيسابور) [1] ويقصد رحمه الله أن العجائز تؤمن في الغالب بفطرتها .

ويقـول شيخ الإسـلام موفق الـدين أبو محمـد عبدالله بن أحمـد المقدسي [*] في كتابه «إثبات صفة العلو» :

(أما بعد فإن الله تعالى وصف نفسـه بالعلو في السـماء ، ووصفه بذلك رسوله محمد خاتم الأنبياء [عليه الصلاة والسلام] ، وأجمـع على ذلـك جميـع العلماء من الصحـابـة الأتقيـاء ، والأئمـة من الفقهـاء ، وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين ، وجمع الله عز وجل عليه قلوب المسلمين ، وجعله مغروزاً في طباع الخلق أجمعين ، فتراهم عنـد نزول الكـرب بهم يلحظون السـماء بأعينهم ، ويـرفعون نحـوهـا للدعـاء أيـديهم ، وينتـظرون مجيء الفـرج من ربهم ـ سبحـانـه ـ ، وينطقون بذلك بألسنتهم لا ينكر ذلك إلا مبتدع ، غـالٍ في بدعتـه أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته) [2] .

---

(١) « العلو » للذهبي (٢٧٥/م) وانـظر هـذا المـوضـوع « شـذرات الـذهب » (٣/٣٦١ - ٣٦٢) .

(*) هو موفق الدين أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، ثم الدمشقي . الصالحي ، ولد سنة (٥٤١هـ) بقرية جماعيل من جبل نابلس . تفقه حتى فـاق أقرانـه وحاز قصب السبق ، وانتهى إليه معرفة المذهب الحنبلي وأصولـه ، كان ورعـاً زاهداً ، وكـان يفحم الخصـوم بالحجـج والبراهـين ، ولا يتحرج ولا ينـزعج ، وخصمـه يصيح ويحـترق . قال ابن تيميـة : ما دخـل الشام ـ بعـد الأوزاعي ـ أفقه من الشيـخ الموفق . من تصـانيفه « المغني » و « إثبات صفة العلو » و « ذم التأويل » و « لمعة الإعتقاد » .

انظر السير (٢٢/١٦٥ ـ ١٧٣) العبر (٥/٧٩ ـ ٨٠) .

(٢) « اجتماع الجيوش » (ص ١١٥) .

ويقول أديب أهل السنة والجماعة وإمامهم في عصره ابن قتيبة الدينوري : (ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرتهم وما ركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله عز وجل هو العلي وهو الأعلى وأن الأيدي ترفع بالدعاء إليه ، والأمم كلها عجمها وعربها تقول : إن الله في السماء ما تركت على فطرها) [1] . ويقصد رحمه الله بقوله (ما تركت على فطرها) أي أن إيمانها بالعلو باقٍ في قلبها ، مركوز ومغروز ، ما دامت الفطرة على أصلها ، لم يفسدها مفسد ضال ، أو صاحب بدعة ، كما يحدث مع هؤلاء الذين خربوا فطرهم باتباعهم لهذه العقائد الفاسدة ، واعتمادهم على أقوال البشر ، حتى أصبحوا غير مستشعرين بهذه الصفة العظيمة ، شيئاً من الكمال ، كما يستشعره غيرهم .

وإننا ننصح كل من حرم هذه اللذة ، أن يقبل على طفل صغير ، لم يتلوث سمعه بعد بهذه القذارات الكلامية ، وليرَ ما هو الجواب . . .

وإننا ندعو كل من فسدت فطرته ، إلى أن يفتش عنها بين ركام الكلام ، وبين صفحات التاريخ ، وأخبار الأوائل .

يقول شيخ الصوفية في وقته ، **أبو العباس أحمد المظفري** (*)

---

(١) « تأويل مختلف الحديث » (ص ٣٤٤ دار الكتاب العربي) .

(*) هو أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي الحنفي عالم أديب كان إمام الصوفية في وقته ، صاحب كتاب «فرع الصفات في تقريع نفاة الصفات» قال ابن القيم في وصفه : وهو على صغر حجمه كتاب جليل غزير العلم . توفي سنة (٦٣١هـ).

انظر « معجم المؤلفين » (١/ ٨٥) و « كشف الظنون » (١٧٨٥) .

رحمه الله : (ومن نظر في قصص الأنبياء ، وأخبار الأوائل القدماء ، وأنباء الأمم الماضية ، والقرون الخالية ، اتضحت له هذه المعاني ، واستحكمت له هذه المباني، ثم قرر العلو ، وساق شبه النفاة ونقضها نقض من يقلع غروسها كل القلع) [1] .

ويشير رحمه الله إلى قصص الأوائل من الأنبياء وغيرهم ، وهو نظير ما جرى بين موسى وفرعون ، وبين إبراهيم ونمروذ ، وما قاله داود ، وبنو إسرائيل وما ذكر في التوراة والإنجيل ، فكل ذلك فيه ما يدل دلالة عظيمة على أن الأمم مجتمعة ، مؤمنها وكافرها ، يعلمون يقيناً أن الله فوق المخلوقات تعالى .

وكل هذا يدلنا على قذارة وحقارة من أنكر علو الله ، وأنه جاء بقول يتنزه عنه حتى من كفر ، ونرى العلماء كفروا المنكرين لهذه الصفة ، واشتد نكيرهم على من تخرص بمثل هذا الإنكار ، فنرى الإمام أبا سعيد الدارمي يجعل في «رده على الجهمية» باباً خاصاً سماه (باب الإحتجاج في إكفار الجهمية) فمما قاله في هذا الباب :

(ونكفرهم أيضاً أنهم لا يدرون أين الله ، ولا يصفونه بـ «أين» . . والقرآن كله ينطق بالرد عليهم ، وهم يعلمون ذلك أو بعضهم ، ولكن يكابرون ويغالطون الضعفاء . . فأي كفر أوضح مما حكيناه عنهم من سوء مذاهبهم . . لو ظهر هؤلاء في زمن أصحاب رسول الله ﷺ وكبار التابعين ما كان سبيلهم عند القوم إلا القتل كسبيل أهل الزندقة) [2] .

---

(١) « اجتماع الجيوش » (ص ١٩٦) .

(٢) « الرد على الجهمية » (ص ١٠٩ ـ ١١٠) .

فـالله تعالى متصف بصفـات الكمال، ومنهـا علوه عـز وجـل ، فمن عبـد الله ولا يدري أين هـو ؟ فما عبـده ، ومن عبده عـلى أنه في الأرض ، فما عبده ، لأن نفي الصفات هو نفي للذات المقدسة .

يقول ابن شيخ الحـزاميين رحمـه الله تعالى بعـد أن ذكر صفـات ربـه : (فبهذا الـرب نؤمن ، وإياه نعبـد ، وله نصـلي ونسجد ، فمن قصد بعبادته إلى إله ليست لـه هذه الصفـات ، فإنمـا يعبد غـير الله ، وليس معبوده ذلك بإله ، فكفرانه لا غفرانه) [1] .

ويقول أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي :

(فمن لم يقصـد بـإيمـانـه وعبـادتـه إلى الله الـذي استـوى عـلى العرش ، فوق سمـواته ، وبـان من خلقه ، فـإنما يعبـد غير الله ، ولا يدري أين الله ؟ فهذه الأشياء التي اقتصصنا في هذا الباب قـد خلص علم كثـير منها إلى النسـاء والصبيـان ، ونـطق بكثـير منهـا كتـاب الله تعالى ، وصدقته الآثار عن رسـول الله ﷺ وعن أصحابـه والتابعـين ، وليس هذا من العلم الذي يشكل على أحد من العامة والخاصـة ، إلا على هذه العصـابة الملحـدة في آيات الله ، لم يـزل العلماء يروون هـذه الآثار ، ويتناسخـونها ، ويصدقـون بها عـلى ما جـاءت ، حتى ظهرت هذه العصابة ، فكذبـوا بها أجمـع ، وجهلوهم ، وخالفـوهم أمرهم ، خالف الله بهم . . فمن آمن بهذا القـرآن ، الذي احتججنـا منه بهـذه الآيات ، وصدق هـذا الرسـول ، الذي روينـا عنه هـذه الروايـات ، لـزمه الإقـرار بأن الله بكمـاله فـوق عـرشـه ، فـوق سمـواتـه ، وإلا

(١) « النصيحة في صفات الرب جل وعلا » (ص ١٧) .

فليحتمل قرآناً غير هذا ، فإنه غير مؤمن بهذا)[1] .

والمستغرب العجيب أنهم أصبحوا يتحاملون ، حتى على مصابيح الأمة وأعلامها ، سيراً على خطوات زعمائهم من المعتزلة والجهمية ، ولا يبعد أن يصل بعضهم إلى تكفير حتى الأئمة الأربعة ، فقد كنت في مناظرة معهم ، فاستشهدت بما نقله العلامة ابن القيم ، فقال لي متبجّح من بينهم ، جاهل لا يعرف الألف من الباء : ومن هو ابن القيم ؟ نحن لا نعرفه . .

فقلت له : هذا علم من الأعلام ، وصاحب كذا وكذا .

فبادرني بقوله : ومن هم مشائخه ؟

فسبحان الله ! وكأن هذا السفيه هو الذي سيحكم عليهم ، أتراه يكون إماماً في الجرح والتعديل ؟!!

وبعضهم قال لي في مجلس آخر : كل من قال : (الله في السماء) فهو مجسم مشبه كافر .

فقلت له : هذا يقوله شيخ المفسرين الإمام الطبري . فقال : ومن هو الطبري ، إنه كافر . قلت : والإمام مالك وأحمد بن حنبل ؟ فقال : ثبت ذلك عنهما ؟ فقلت : نعم . قال : هما كافران خسيسان ، أخس من النصارى ، إن كانا قالا ذلك .

فسبحان الله ! انظر كيف آل الغلو والجرأة بهؤلاء إلى ما نطقوا .

---

(١) « الرد على الجهمية » (ص ٣٣ - ٣٦) .

رحم الله الإمام ابن أبي العز الحنفي حيث قال :

(كُتُب نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة (*) والرافضة (**) ونحوهم كلها مشحونة بتسمية مثبتة الصفات مشبهة ومجسمة ، ويقولون في كتبهم : إن من جملة المجسمة قوماً يقال لهم : المالكية . ينسبون إلى رجل يقال له : مالك بن أنس ، وقوماً يقال لهم : الشافعية . ينسبون إلى رجل يقال له : محمد بن إدريس الشافعي !!) [1] .

(*) سموا بذلك لاعتزالهم أقوال المسلمين في مرتكب الكبيرة حيث قالوا : إنه في منزلة بين المنزلتين. فلا هو مؤمن ولا هو كافر . وقيل : لاعتزال زعيمهم واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري ، ومذهبهم يقوم على ١ ــ نفي الصفات عن الله تعالى، ٢ ــ ونفي القدر في معاصي العباد ، ٣ ــ وإضافة خلقها إلى فاعلها، ٤ ــ وأن القرآن مخلوق، ٥ ــ ونفوا شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر البرهان . وهم فرق كثيرة منها الجبائية، والنظامية، والجاحظية. . وغيرها .

انظر في مذهبهم : البرهان في عقائد أهل الأديان (ص ٢٦ ، ٢٧) مقالات الإسلاميين (١ / ٣٣٥) الملل للشهرستاني (١ / ٥٤).

(* *) سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي حينما توجه لقتال هشام بن عبد الملك فقال أصحابه : تبرأ من الشيخين حتى نكون معك . فقال : لا بل أتولاهما وأتبرأ ممن تبرأ منهما . فقالوا : إذاً نرفضك . فسميت الرافضة .

١ ــ وهم يثبتون الإمامة عقلاً، ٢ ــ وأن إمامة علي وتقديمه ثابت نصاً ، ٣ ــ وأن الأئمة معصومون ، ٤ ــ وقالوا بتفضيل علي على سائر الصحابة، ٥ ــ وتبرأوا من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة، ٦ ــ ويقولون برجعة الأموات ، ٧ ــ وأن الأمة ارتدت بتركها أمامة علي رضي الله عنه .

انظر تفصيل مذهبهم في : البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص/٣٦) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص/٧٧ ـ ٧٨) رسالة في الرد على الرافضة (ص/٦٠ ـ ٦٧) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص/١١٨) .

حتى وقال لي بعضهم في المجلس الذي انكروا فيه معرفة ابن القيم : كيف تأخذ العلم من الكتب ؟ قلت : ومن أين آخذه ؟ ثم إن الأمة اعتنت بحفظ هذه الكتب عن أصحابها ، وهي مخطوطة منذ أمد بعيد بأكثر من نسخة ، فكيف لا آخذ منها ، وقال الله تعالى :

﴿وإنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (١) .

فقال لي المتخرص : العلم يؤخذ من الصدور لا من السطور ، ويؤخذ عن رجل صاحب سند إلى رسول الله ﷺ ، فعندما طالبته باسم هذا الرجل الموجود اليوم ـ وأنا أعلم من يقصد ـ غص بقوله أمام الملأ ، ولم يطق أن يلفظ اسم شيخه لكراهة الناس له ، والجميل أنني في هذا المجلس أتيته بقول لغوي ، فقال : من أين جئت به ؟ فقلت مستهزئاً به : من السطور ، فقال لي : يا سبحان الله ، انظر وخذ من ألفية ابن مالك ، ولسان العرب ، فضحكت بملء فمي ولم يدرك الناس أولُ لماذا ثم جاوبته فقلت : وهل ألفية ابن مالك ليست بالسطور ؟ أم أن ابن مالك جاء إليك خاصة ، وعلمك ؟ فضحك الناس من حولنا واستصغروه . . .

قلت : والله بعد سرد ما ثبت به الدليل على علو العظيم الجليل ، من كتابه وسنة نبيه وقول الأئمة وسائر الأمة ، أصبح مثلهم مثل الذين يقول لهم ربهم : أنا في السماء .

فيقولون : لا يا ربنا ، أنت لست في السماء ، لأن هذا لا يجوز عليك ولم تقبله عقولنا .

---

(١) سورة الحجر (الآية / ٩).

وما أجمل قول الشاعر أحمد الصافي النجفي :

يعترض العقل على خالقٍ   من بعض مخلوقاته العقلُ

وعلى كل فنحن أخذنا ديننا عن الصحابة والتابعين ، وأثبتنا الأحاديث بالتلقي عنهم ، وأما هؤلاء فقد جاؤوا بأقوال حديثه مرقعة ، لا شأن لها برجالات الإسلام .

وما أجمل قول شريك رحمه الله ، حيث قال عباد بن العوام رحمه الله : (قدم علينا **شريك** بن عبدالله مذ نحو من خمسين سنة . . . فقلت له : يا أبا عبدالله ، إن عندنا قوماً من المعتزلة ، ينكرون هذه الأحاديث قال : فحدثني بنحو من عشرة أحاديث في هذا . وقال : أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ فهم عمن أخذوا ؟) [1] .

* * *

علمنا بفضل الله تعالى أن كتاب الله ، هو المرجع عند الإختلاف ، حيث جعله الله نوراً وهدىً ، وفصل فيه الأمور ، وبيَّن كل شيء ، وأما هؤلاء فقد جعلوه بتأويلاتهم مصدر الإختلاف والنزاع ، وسبب التمزق والتفرق ، تحار عنده العقول ، ويشك فيه

---

(١) رواه الدراقطني في « الصفات » (رقم ٦٥ سلسلة عقائد السلف ـ طبعة أولى) وعبد الله بن أحمد في « السنة » (رقم ٣٢٦) والذهبي في « العلو » (١٤٩/م) وقال الألباني (١٤٩/١٢٧) : [إسناده صحيح] .

وأخرجه من طريق أخرى الحافظ ابن منده في « التوحيد » (ق ١/٩٧) وفيه بعض الخلاف في اللفظ وإسناده صحيح أيضاً .

الفحول ، لكل شيء فيه معنى خلاف ما هو معهود ومعروف من اللغة التي نزل بها .

فكيف يكون مبيناً ومفصلاً وهدى ورحمة ، إن كانت هذه نتائج النظر فيه ؟ مع أننا نرى الله تعالى يقول في بيانه :

﴿حم * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [1] .

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكتاب الْمبين ﴾[2] .

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُوْرٌ وَكَتَابٌ مُبِيْنٌ﴾ [3] .

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [4] .

﴿مَا كَاْنَ حَدِيْثاً يُفْتَرَىْ وَلَكِنْ تَصْدِيْقَ الَّذِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيْلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [5] .

﴿ألـر ، كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ﴾ [6] .

---

(١) سورة الدخان الآية (١ ـ ٢) .

(٢) سورة يوسف الآية (٢) .

(٣) سورة المائدة الآية (١٥) .

(٤) سورة النحل الآية (٨٩) .

(٥) سورة يوسف الآية (١١١) .

(٦) سورة هود الآية (١) .

﴿الٓمٓر ، تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ وَٱلَّذِيْ أُنْـزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّـكَ ٱلْحَقُّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُوْنَ﴾ (١) .

﴿الٓـر ، كِتَـابٌ أَنْـزَلْنَـاهُ إِلَيْـكَ لِتُخـرِجَ آلنَّاسَ من آلظُّلُمَاْتِ إِلَىْ آلنُّوْرِ﴾ (٢) .

ونحن لا نفهم هـذا القرآن إلا بلغتـه التي أنزل بهـا ، وكذلـك سنة النبي ﷺ ، ولا يكونان حجة إلا بهذه اللغة العربية ، وبهـا يحسم النزاع . فسبحان الله تعالى حيث قال :

﴿وَمَاْ أَرْسَلَنَا مِنْ رَسُوْلٍ إِلَّا بِلِسَاْنِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ، فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاْءُ وَيَهْدِيْ مَنْ يَشَاْءُ﴾ (٣) .

فهـذا هو كتـاب ربنـا ، وهـذه هي صفـاتـه ، فـإن لم يعجبكم فاحتملوا قرآناً غير هذا ، وإننا نخاف أن نبدله أو أن نحرفه ، بل نتبع ما فيه كما اتبعه نبينا ﷺ ، وعلى كلٍّ فقد قال الله لرسوله ﷺ :

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاْتُنَاْ بَيِّنَاْتٍ قَاْلَ ٱلَّذِيْنَ لَا يَرْجُوْنَ لِقَاْءَنَاْ آئْتِ بِقُـرْآنٍ غَيْرِ هَذَاْ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَاْ يَكُوْنُ لِيْ أَنْ أُبَدِّلَـهُ مِنْ تِلْقَاْءِ نَفْسِيْ إِنْ أَتَّبِـعُ إِلَّا مَاْ يُوْحَىْ إِلَيَّ إِنِّيْ أَخَاْفُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّيْ عَذَاْبَ يَوْمٍ عَظِيْمٍ﴾ (٤)

فالحق في كتاب الله ، لا الكتاب الذي تبغون ، والله يحكم بيننا

(١) سورة الرعد الآية (١) .

(٢) سورة إبراهيم الآية (١) .

(٣) سورة إبراهيم الآية (٤) .

(٤) سورة يونس الآية (١٥) .

يـوم القيامـة ، نحن الـذين اتبعنـا الـوحي الـذي فيـه ، وأنتم اتبعتم تأويلات شيطانية غيرت وبدلت مقاصده ، وقد قال سبحانه لنبيه عليه السلام :

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١) .

نعم ، أقـولهـا ، وإن آذت الآذان : **لقـد هـددوني بـالقتـل ، وأوعـزوا إلى أحدهم بـالفعـل ، وهم يجهلون أنني أرضى بـأن يـطاح برأسي مقابل رأسهم ، وهم يظنون أن الله غافـل عما يعملون ، أو أن المسلمين عنهم لاهون ، ألا أن الصبح قريب، وسبحان ربنا القائل :**

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ (٢) .

والفرق بيننا وبينكم أننـا نطلب الهـداية من الله دائـماً ، من غير شـك في أننـا عـلى هـدى من الله ، وأمـا أنتم فتشكـون في دينكم ولا تطلبون هدايته !

---

(١) سورة يونس الآية (١٠٨ ـ ١٠٩) .

(٢) سورة التوبة الآية (٥١ ـ ٥٢) .

فأقول داعياً ربي بدعاء النبي ﷺ :

«اللهمَّ ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، علم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(١) .

هكذا أخذوا دينهم من أرسطو(*) وأفلاطون(**) ، وبنوا

---

(١) رواه مسلم وأبو عوانة .

(*) هو أرسطو طاليس ، ولد سنة (٣٨٤ ق . م) ، فيلسوف يوناني تتلمذ على يد « أفلاطون » وعلم الإسكندر الأكبر (ملك مقدونية) ، وكان يحاضر ماشياً ، فسمى هو وأتباعه بـ « المشائين » ألف « الأورغانون » في المنطق وينقسم إلى ثلاثة أقسام : كتاب المقولات ومبحثه التصورات وكتاب العبارة ومبحثه الأقوال المؤلفة من التصورات ، وكتاب التحليلات ومبحثه الاستدلال . كما ألف كتاب « الطبيعة » وكتاب في « أجرام السماء » وله رسالة في الأخلاق اسمها « الأخلاق إلى نيقوماخوس » كما ألف في السياسة والإلهيات . توفي سنة (٣٢٢ ق . م) .

انظر « الفلسفة الغربية » لبيرترا ندرسل (ص/٢٥٨ ، ٢٧٨ ، ٣٢٤ ، ٣٣١) « أخبار الحكماء » لابن القفطي (ص/٢٢ ـ ٢٦) الموسوعة العربية الميسرة (ص/١١٧) الصواعق المرسلة (٢/٧٨٣) .

(* *) ولد سنة (٤٢٧ ق . م) فيلسوف يوناني تتلمذ على يد « سقراط » رسم في الجمهورية صورة للمدينة الفاضلة كما تخيلها وتمناها ، وفلسفة « أفلاطون » يمكن أن تقسم إلى ثلاثة أقسام هي : الجدل ، والطبيعة والأخلاق . من كتبه : « اليسيز » في الصداقة و « الملحمة » في الشعر و « بولينيا » في الدستور ، وقد اشتهر أفلاطون في محاورته . وقد قسمها الباحثون إلى ثلاثة أقسام : محاورات الشبان ، محاورات الكهولة ، محاورات الشيخوخة . توفي سنة (٣٤٧ ق . م) .

انظر تاريخ الفلسفة العربية (ص/١٧٦ ـ ٢٥٧) أخبار الحكماء (ص/١٣ ، ٢١) الملل (٢/١٩٠) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص/٦٢ ، ٦٥) الصواعق المرسلة (٢/٧٨٤) .

عقيدتهم على المنطق اليوناني ، وتركوا الكتاب والسنة ، فأعمى علم الكلام أبصارهم ، فقست قلوبهم ، وأشربوا فيها الجدل ، حتى تحولت دعوتهم إلى المراء البيزنطي ، والله سبحانه يقول :

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (١) .

وتراهم يناقشونك بعلم الكلام ، ويتركون الكتاب والسنة وفيهما الحق ، وقد قال تعالى عنهم وعن أمثالهم :

﴿يُجَادِلُوْنَكَ فِيْ ٱلْحَقِّ بَعْدَمَاْ تَبَيَّنَ﴾ (٢) .

وقال سبحانه :

﴿مَاْ ضَرَبُوْهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً﴾ (٣) .

فالحق تبين وظهر من النصوص ، وعلم الكلام منهم لم يكن إلا للجدال ، وهم يبغون بذلك الفتنة ، ويكرهون الأدلة النصية ، الواردة عن الله ورسوله . قال عز من قائل :

﴿لَقَدْ ٱبْتَغَوْا ٱلْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوْا لَكَ ٱلأُمُوْرَ حَتَّىْ جَاْءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَاْرِهُوْنَ﴾ (٤) .

وأخيراً لا بد لي من نصحك ، وإن كرهت قولي ، فلا بُد من

---

(١) سورة الإسراء الآية (٣٦) .

(٢) سورة الأنفال الآية (٦) .

(٣) سورة الزخرف الآية (٥٨) .

(٤) سورة التوبة الآية (٤٨) .

القيام بما أوجب الله على عباده ، أقول لك : دع الكلام وعليك بالقرآن والسنة .

قال الإمام الشافعي رحمه الله :

(لئن يُبتلى العبدُ بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خيرٌ له من أن ينظر في علم الكلام) [1] .

وقال أيضاً :

(وحكمي في علماء الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام) [2] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه :

(لا يفلح صاحب كلام أبداً ، علماء الكلام زنادقة) [3] .

وأنصحك يا أخي بأن تدع قول الرجال لقول النبي ﷺ ، وأن تضع عقلك عبداً أسيراً لما ورد عن الله تعالى وعن رسوله عليه السلام فإن الذي تجهله يوماً تعلمه يوماً آخر ، ولكن ويلك من ربك إن حكمت بما عندك ، أو بما في نفسك ، على ما تجهله أو على ما عند الله تعالى .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/١١١) وابن عبد البر في « الإنتقاء » (ص ٧٨) وابن أبي حاتم في « مناقب الشافعي » (ص ١٨٢) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/١١٦) وابن عبد البر في « الإنتقاء » (ص ٨٠) .

(٣) « مناقب الإمام أحمد » لابن الجوزي (ص ٢٠٤ ـ تحقيق د . التركي) .

وكفى بك جهلاً أن تظن بنفسك يوماً ظن العصمة ، أو أن تترك حقيقة المعاني والألفاظ ، التي هي في كتاب الله وفي سنة رسول الله ، لاصطلاح تعلمته من فلان أو علان .

أما رأيت مثلاً أمامك ، كيف أن هؤلاء حملوا لواء التنزيه ، وهي كلمة شريفة المقاصد ، بل لا يتم إيمان من دونها ، ولكن تحولت بمفهومهم لها إلى تعطيل الله بتعطيل أسمائه وصفاته .

وهم لا يزالون يدَّعون التعظيم ، ورحم الله الإمام عبد الرحمن بن مهدي ، وقد ذكر عنده الجهمية الذين ينفون أحاديث الصفات ، ويقولون : (الله أعظم من أن يوصف بشيء من هذا) فقال رحمه الله :

(هل هلكت المجوس إلا من جهة التعظيم ، فقالوا : الله أعظم من أن نعبده ، ولكن نعبد من هو أقرب إليه منا ، فعبدوا الشمس ، وسجدوا لها) (١) .

وقال أبو الوفاء ابن عقيل (*) لبعض أصحابه :

(أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض ، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن ، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى

---

(١) « الحجة في بيان المحجة » (ق ٧٢) .

(*) هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي عالم العراق وشيخ الحنابلة في عصره إنتهت إليه الرئاسة في الأصول والفروع . ولد سنة (٤٣١هـ) وقيل (٥٣١هـ) . له مصنفات : « كتاب الفنون » و « الواضح في الأصول » .

انظر « ذيل طبقات الحنابلة » (١/١٧١) ، جلاء العينين (ص/٩٩) .

من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت ، وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك وكثير منهم إلى الإلحاد ، تشم روائح الإلحاد من فلتات المتكلمين ، وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع) [١] .

وأنصحك يا أخي بالتزام الحديث ، ولا ترض إلا بما صح منه ، وإن أهله هم أهل السنة والجماعة .

قال الوليد بن أبان الكرابيسي لما حضرته الوفاة ، يوصي بنيه :

(تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني ؟ قالوا : لا ، قال : أفتتهموني ؟ قالوا : لا ، قال : فإني أوصيكم أتقبلون ؟ قالوا : نعم ، قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم) [٢] .

وقال الإمام علي بن المديني [*] :

(إن الطائفة الناجية هم أهل الحديث) [٣] .

وقال يزيد بن هارون [**] رضي الله عنه في بيان الطائفة

(١) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص ٩٣ ـ ٩٤) .

(٢) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي (ص/٩٢ ـ ٩٣) .

(*) هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن جعفر المعروف بابن المديني ولد سنة (١٦١هـ) بالبصرة، ثم إنتقل إلى بغداد ، كان أحد أئمة الحديث في عصره . والمقدم على حفاظ وقته ، حدّث عنه البخاري وغيره ، وتوفي بسامرا سنة (٢٣٤هـ).

انظر « تاريخ بغداد » (١١/٤٥٨) « الميزان » (٢/٢٢٩) التذكرة (ص/٤٢٨) .

(٣) « تحفة الأحوذي » (٦/٤٣٣) .

(* *) هو يزيد بن هارون الواسطي ، مولى بني سليم ، قدم بغداد وكان عابداً ثقة متقناً ، =

المنصورة : (إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم) (١) .

وورد مثل ذلك عن الإمام أحمد وغيره .

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني(*) عليه رحمة الله :

(أما الفرقة الناجية فهي أهل السنة والجماعة ، وأهل السنة لا اسم لهم إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث) (٢) .

قولوا بربكم أيترك كتاب الله تعالى وتترك سنته ثم يهرع إلى تأويلات رجل حبشي لم يتذوق معاني العربية فإن ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (٣) .

ولا يمكننا أن نزعم كمال النصيحة ، لأن تفاصيل الأمور لا تزال بعيدة بعض الشيء ، ولكن غالب الظن أن هذه العجالة تكفي

= ولد سنة (١٢٨هـ) وتوفي سنة (٢٠٦هـ) وقد أخرج له الجماعة وكان من شيوخه إبن سعد .

انظر : تاريخ بغداد (١٤/٣٣٧) التهذيب (١١/٣٦٦) طبقات الحفاظ (ص/١٣٢) .

(١) تحفة الأحوذي (٦/٤٣٤) .

(* *) هو عبد القادر بن أبي صالح الحبلي ، كما يسميه بعضهم ، أو الجيلاني ، تفقه على أبي سعيد المخرمي ، وسمع الحديث ثم لازم الإنقطاع عن الناس في مدرسته متشاغلاً بالتدريس والتذكير وبلغ من العمر ٩٠ سنة . توفي (٥٦١هـ) ودفن في مقبرته . وكانت ولادته سنة (٤٧١هـ) .

انظر الشذرات (٤/١٩٨) مناقب أحمد لإبن الجوزي (ص/٥٣١) .

(٢) الغنية (ص/٨٠) .

(٣) سورة النحل الآية (١٠٣) .

انتهى

لأن يرتدع بها المخالف المجازف ، ويطمئن إليها قلب المؤمن الخائف ، والله نسأل أن يجعل ثواب ما كتبناه في ميزاننـا ، وأن يغفر لنـا زلاتنا ، فالخطأ إن وقع فهو منا ، ويعفو الله عن كثير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على الهادي الأمين
وآله وصحبه أجمعين

تم في اليـــوم الأول من شعبـان (السبت) عـــام ١٤٠٨ لهجــرة محمد ﷺ .

ـ الفيحاء طرابلس الشام ـ

وكتب
أسامة بن توفيق بن عبد الرحمن
القصَّاص

الملاحق

(١) قلت بل الحديث صحيح فقد أخرجه أحمد (٢٨٢٢ ، ٢٨٢٣ ، ٢٨٢٤ ، ٢٨٢٥) والدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٣) وأبو يعلى في «مسنده» (٢٥١٧) وابن حبان (٣٦ ، ٣٧ ـ موارد) والبزار (٥٤ ـ كشف الأستار) والطبراني في «الكبير» (١٢٢٧٩) والحاكم (٢/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧) والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٨٩).

كلهم عن حماد بن سلمة ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

ـ قال البزار : لا نعلمه يروي عن النبي ﷺ بهذا اللفظ من وجه متصل إلا بهذا الإسناد. أ. هـ.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وأحمد شاكر في تعليقه على «المسند» وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٥) إسناده لا بأس به. وعزاه الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٥) للبزار والطبراني في «الكبير» و «الأوسط». وزاد السيوطي في «الدر» (٤/ ١٥٠) نسبته لابن مردويه ، ووهم في عزوه للنسائي حيث أن الحافظ ابن كثير أورده في «تفسيره» (٣/ ١٥) من رواية البيهقي وقال : إسناده لا بأس به ولم يخرجوه أ. هـ. قال الشيخ بدر البدر : يعني أصحاب الكتب الستة أ. هـ.

وقال الهيثمي : فيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط. أ. هـ. ولعل المؤلف ـ رحمه الله ـ اطلع على كلام الهيثمي فضعف الحديث. ولكن

اختلاط عطاء لا يضره، فقد روى عنه حماد قبل اختلاطه. قال الطحاوي: وإنما حديث عطاء الذي كان منه قبل تغيره يؤخذ من أربعة لا من سواهم. وهم شعبة وسفيان الثوري وحماد بن سلمة وحماد بن زيد. وبالقول باستثناء رواية حماد قال به كل من ابن معين وأبو داود والبخاري والكتاني والدوري وابن خيثمة وابن حجر والأشبيلي.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (   ) من حديث أبي موسى الأشعري وقال الهيثمي في المجمع (٣/١٠٣) إسناده حسن على ضعف في بعضه مع توثيق. وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ووافقه شيخنا في صحيح الجامع (٥/٢١٢). وأخرجه الطبراني كما في المجمع (٣/١٠٣) من حديث أبي عبيد مولى رفاعة بن رافع. وقال الهيثمي: «وفيه من لم أعرفه» أ. هـ. وصححه شيخنا في صحيح الترغيب (٨٤٦).

(٣) وقد بيّن شيخنا في صحيحته (٤/١٨٣ - ١٩٣) صحة الحديث حيث قال بعد ذكره شواهد الحديث:

« وخلاصة القول: إن أكثر هذه الشواهد لا تصلح لتقوية الحديث، إما لشدة ضعف إسناده، وإما لاختصارها، اللهم إلا حديث عائشة، وحديث أنس بطريقيه؛ فإنها إذا ضما إلى إسناد حديث أبي هريرة اعتضد الحديث بمجموعها وارتقى إلى درجة الصحيح إن شاء الله تعالى، وقد صححه من سبق ذكره من العلماء. أ. هـ.

(٤) اخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/٤٠٦ - ٤٠٧) وفي «مكارم الأخلاق» (٤٥) من طريق أبي إسحاق السبيعي عن أبي ظبيان به.
قال المنذري في «الترغيب» (٣/٢٠٢): إسناده جيد قوي.
وقال الذهبي في «العلو» (ص / ٢٠) رواته ثقات.
وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/١٨٧) رجاله رجال الصحيح.

قلت : ولكن فيه أبو إسحاق السبيعي وهو صدوق مدلس وقد عنعن ثم أنه قد إختلط .

(٥) قلت أما رواية ابن مسعود فقد أخرجها أحمد في «الزهد» (٢/١٠٧) والدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٤) و«النقض» (ص / ١٠٣) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٤٧). وأبو يعلى في «مسنده» (ق ـ ٢٣٤/١ ـ التعليق على العلو) والطبراني في «الصغير» (١/١٠١) و«الكبير» (١٠/١٨٣) وفي «المكارم» (٤٦) والحاكم (٤/٢٤٨) وصححه ووافقه الذهبي ، واللالكائي (٦٥٧) والبغوي (١٣/٣٨ ـ ٣٩) والمقدسي في «العلو» (٢٢) و(٧٦) والذهبي في «العلو» (٦٤).

كلهم من طريق أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود به .
وعزاه الهيثمي في المجمع (٨/١٨٧) للطبراني في الثلاثة وإلى أبي يعلى وقال : رجال أبي يعلى رجال الصحيح ، إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه فهو مرسل.
قلت : إلا أن حديث عبدالله بن عمرو المتقدم يقويه. ولا يضره تدليس أبي أسحاق واختلاطه ، لأن الراوي عنه هنا هو شعبة ، وهو ممن سمع عنه قبل الاختلاط ، وروى عنه ما علم منه من سماعه من شيوخه.

(٦) قلت أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٩٧) والحميدي (٥٧٠) وأحمد (٣/٧ و٧٣) والترمذي (٢٤٣١) و(٣٢٤٣) وابن ماجه (٢/٥٧٠) وابن أبي داود في «البعث» (١٨) والطبراني في «الصغير» (١/٢٤) وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٩٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/١٠٥) و (١٧/١٣٠ ، ٣١٢) والخطيب في «تاريخه» (٣/٣٦٣) والبيهقي في «البعث» (٢٣٤) والبغوي في «شرح السنة» (١٥/١٠٢ ـ ١٠٣). من طرق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري به.
قال الترمذي : حديث حسن. قال شيخنا علامة الشام : يعني أنه حسن لغيره ، وذلك لأن عطية العوفي ضعيف ، فرواه جماعة عنه هكذا ، ورواه آخرون على وجهين آخرين. أ. هـ. الصحيحة (٣/٦٧).

قلت : وتابع عطية أبو صالح عند ابن حبان (٢٥٦٩) وأبو يعلى (١/٧١ - الصحيحة) والحاكم (٤/٥٥٩) وأبو يوسف في «الخراج» (٧) عن الأعمش عن أبي صالح به.

(٧) في إسنادة الحكم بن أبان قال فيه الحافظ : صدوق عابد وله أوهام. التقريب (١/١٩٠) والحديث أخرجه المقدسي في «العلو» (٧٨) وزاد السيوطي في «الدر» (٣/٤٢٧) نسبته لعبد بن حميد.

(٨) قلت : لم يخرج عبدالرزاق في مصنفه هذه الرواية وكأن المؤلف ـ رحمه الله ـ تبع محقق كتاب «عمل اليوم والليلة» للنسائي حيث عزى هذه الرواية لعبدالرزاق في «مصنفه» (١١/٤٤٤) والصواب أنها في (١٠/٤٤٤) وفيها أن المنادي هو الله تبارك وتعالى.

والحديث أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٤٨٢) والدارقطني في «النزول» رقم (٥٤) عن أبي إسحاق عن الأغر به.

إلا أن لفظ «ثم يأمر منادياً ينادي. . .» مخالف لرواية أبي هريرة وجبير وعبادة وجابر وعلي وابن عباس وابن مسعود وأبي الدرداء وعقبة وأبي سلمة وأبي سعيد ورفاعة وعمرو وعائشة وأم سلمة فعلى هذا تصبح هذه الرواية ورواية علي بن أبي طالب وعثمان بن أبي العاص المتقدمتان آنفاً منكرة لمخالفتها للروايات الصحيحة التي تنص على أن المنادى هو ربنا جلا وعلا. ولعل الوهم من حفص بن غياث فقد رواه عن أبي إسحاق كل من معمر عند عبدالرزاق (٩٦٥٤) والدارقطني (٥٦)، وأبو عوانه عند الدارقطني (٥٧) و(٥٨)، ومنصور عند مسلم (١/٥٢٣) والدارقطني (٥٢) و(٥٣)، ويونس وسليمان بن قرم ومحمد بن الفضل وجابر الحضرمي والأعمش عند الدارقطني (٥٥، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٤) كلهم بأن المنادى هو الله جل وعلا.

والله تعالى أعلم.

(٩) هذه رواية أبي هريرة أخرجها الدارقطني في «كتاب النزول» (٤٩) من طريق يحيى بن أبي كثير عن أبي جعفر انه سمع أبي هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : اذا بقي . . . .

وفي إسناده أبو جعفر الأنصاري المدني المؤذن قال فيه الحافظ في التقريب (٤٠٦/٢) مقبول .

(١٠) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٤٤) وآلآجري في «الشريعة» (ص / ٢٩٣) واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٦٦٠) ومن طريقه المقدسي في «العلو» (٧٧). كلهم عن سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد به.

وذكره ابن القيم في «جيوشه» (ص / ١٢٤) وعزاه للطبري ـ اللالكائي ـ في «شرح السنة».

وإسناد الدارمي ضعيف لأجل محمد بن كثير الثقفي قال فيه الحافظ في التقريب : صدوق كثير الغلط (٢٠٣/٢).

وإسناد الآجري ضعيف لأجل عبدالله بن حبيب المصيصي ذكره الحافظ في التهذيب (٣٨٩/٦ ـ ٣٩٠).

ولم يذكر فيه حرجاً ولا تعديلاً ولم ينقل عن أحد ذلك . والأثر علقه الذهبي في «العلو» (ص / ٤٨) عن يعلى بن عبيد ولم يتكلم عليه بشيء.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «العرش» (٥) من طريق أبي عامر الأسدي، نا سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد به. وإسناده ضعيف فيه :

(١) أبو عامر الأسدي وهو مهاجر بن كثير. قال أبو حاتم : متروك الحديث وكذا قال الأسدي. كما في اللسان (١٠٤/٦).

(٢) وابراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي قال فيه الحافظ في التقريب (٤٤/١): صدوق لين الحفظ.

(١١) وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٣٨) وابن حبان في «الضعفاء» (١٠٨/١) وابن عدي في الكامل (١٠٥٤/٣) والحاكم (٣٤٤/١ و ٢١٨/٤ ـ ٢١٩) وصححه، والبيهقي في «الأسماء» (ص / ٤٢٣) واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٦٤٨) والمقدسي في

«العلو» (١٨). جميعهم من طريق الليث بن سعد، عن زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء به.
وقال الذهبي متعقباً الحاكم: « زيادة » قال البخاري وغيره منكر الحديث. وقال في الميزان (٢/٩٨) إسناده ضعيف، وقال في العلو: رواه أبو داود وزيادة لين الحديث.

(١٢) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٢) من طريق سعيد بن أبي مريم، أنبأ يحيى بن أيوب، حدثني عمارة بن غزيه، عن قدامة بن ابراهيم، أنه حدثه، أن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه وقع بجاريه - فذكره.
وإسناده ضعيف، يحيى بن أيوب «صدوق ربما أخطأ» كذا في التقريب (٧٥١١) وقدامة بن ابراهيم «مقبول» التقريب (٥٥٢٥) وقد حكم الذهبي على هذا الإسناد بالإنقطاع بين قدامة وابن رواحة. كما في العلو (ص / ٤٢).
ـ وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (ص / ٣٤٠ - جزء عبدالله بن جابر - عبدالله بن زيد) والذهبي في «السير» (١/٢٣٨) والسبكي في «طبقات الشافعية» (١/٢٦٤ - ٢٦٥) وذكره ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١/٢٩٦) وصححه. ونقل تصحيحه المقدسي في العلو (ص / ٩٩).
كلهم عن عبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشون عمن حدثه عن عبدالله بن رواحة. وإسناده ضعيف لجهالة شيخ الماجشون ولإعضاله. وأخرجه الدارقطني في «سننه» (١/١٢٠) رقم (١٣) من طريق أبي نعيم نا زمعة بن صالح عن سلعة بن وحرام بن عكرمة به. وإسناده ضعيف لأجل زمعة بن صالح قال فيه الحافظ «ضعيف» (٢٠٣٥). قال الشيخ بدر البدر والطريقان - الأول والثاني - لا يقوى أحدهما الآخر لشدة ضعفهما. ومتن القصة منكر إذ كيف يوهم هذا الصحابي الجليل زوجه بأنه قد قرأ عليها قراناً؟ فكان عليه أن يجيبها بشيء آخر والله يعلم أ.هـ. والأبيات في «أمالي

اليـزيدي» (١٠٢) و«جمـع الجوامـع» (ص / ٣١) «وتهذيب تـاريخ دمشق» (٧/٣٦٥) والـطحاويـة (٢/٣٦٧) والصواعق المـرسلة. واجتماع الجيـوش (ص / ٣٠٨).

(١٣) أورده الـذهبي في «العلو» (ص / ٤٢ - ٤٣) وابـن القـيم في جيـوشـه (ص / ٣١٠) ولم يعزوا لأحد وقال الذهبي : إسناده منقطع .

ـ وذكره ابن حجر في الإصابة (٤/٣٧٦) وعزاه للفاكهي بإسناد فيه الكلبي وهو متهم بالكذب ورمي بالرفض .

ـ وذكـره السيوطي في «الجـامع الصغـير» (١/٥٧ - بشرح الفيض) وعزاه للأنباري في «المصاحف» والخطيب في «تاريخه» وابن عساكر.

ـ وذكر المناوي في «الفيض» (١/٥٩) إسناد الأنباري وفيه أبو بكر الهذلي، وهو متروك الحديث كما في التقريب (٨٠٠٢) .

ـ ثم حين ذكـر المنـاوي إخـراج الخـطيب وابن عسـاكـر قـال : «بـإسنـاد ضعيف» قال الشيخ بدر البدر بعد ايراده الكلام السابق :

ولكن قد ورد عن الشريد بن سويد الثقفي أنـه قال «ردفت النبي ﷺ يـوماً فقال : هل معـك من شعر أميـة بن الصلت شيئاً ؟ قلت : نعم . قـال : «هيه» .

فأنشدته بيتاً . فقـال : «هيه» . ثم أنشـدته بيتـاً . فقال : «هيـه» . حتى أنشدته مائة بيت. فقال : «إن كاد ليسلم . وفي رواية «فلقد كـاد يسلم في شعره » .

ـ أخرجه مسلم (٤/١٧٦٧) والترمذي في «الشـمائل» (٢٤٨) وابن مـاجه (٣٧٥٨) .

ـ وورد من حديث أبي هريرة مرفوعة «كـاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم» أخرجه البخاري (٧/١٤٩) و (١٠/٥٣٧) ومسلم (٤/١٧٦٨) والترمذي في «الشمائل» رقم (٢٤٢) وابن مـاجة (٣٧٥٧) وابن عسـاكر في «تـاريخه» (٣/١٢٣ - التهذيب) .

وذكر ابن حجر سبب مقالة النبي ﷺ لكونه قد أكثر في شعـره من التوحيـد والبعث ويـوم القيـامـة ، وقـد أورد المنـاوي في «الفيض» (١ /٥٨) بعض أشعـاره المتضمنة لتلك المـوضوعـات . أ . هـ. التعليق على العلو للمقـدسي (ص / ١٠١).

كتبه
عبدالرزاق بن خليفة الشايجي
بالكويت في ٢٤ من محرم الحرام سنة ١٤٠٩ هـ
الموافق ٥ من سبتمبر سنة ١٩٨٨ م

فهرس الكتاب

أقوال الصحابة في علو المولى جلّ في علاه:

أقوال التابعين في علو المولى جلّ في علاه وذكر أقوال طائفة من العلماء. . . :

مذهب الأئمة الأربعة:

الشـــعر